



الْعُدَّةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ
فِي الْإِسْتِغْلَالِ



مَسِيدُ قُطَيْبٍ

دار الشروق —

العدالة الاجتماعية في الإسلام

سَيِّدُ قَطِيبٍ

الْعَدْلَانَةُ
الْأَجْتِمَاعِيَّةُ
الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْأَمْرِ

دار الشروق

الهدوء

إلى الفتية الذين كنت ألمحهم بعين الخيال قادمين ، فوجدتهم في واقع الحياة قائمين .. يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، مؤمنين في قرارة نفوسهم : أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

إلى هؤلاء الفتية الذين كانوا في خيالي أمنية وحُلماً ، فإذا هم حقيقة وواقع ، حقيقة أعظم من الخيال ، وواقع أكبر من الآمال .

إلى هؤلاء الفتية الذين انبثقوا من ضمير الغيب كما تنبثق الحياة من ضمير العدم ، وكما ينبثق النور من خلال الظلمات .

إلى هؤلاء الفتية الذين يجاهدون باسم الله . في سبيل الله . على بركة الله . أهدي هذا الكتاب .

سيد قطب

رجب سنة ١٣٧٣ هـ
مارس سنة ١٩٥٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدين والمجتمع بين المسيحية والإسلام

في عالم الاقتصاد ، لا يلجأ الفرد إلى الاستدانة ، وله رصيد مذكور ، قبل أن يراجع رصيده ، فيرى إن كان فيه غناء ، ولا تلجأ الدولة إلى الاستيراد قبل أن تراجع خزائنها ، وتنتظر في خاماتها ومقدراتها كذلك .. أفلا يقوم رصيد الروح ، وزاد الفكر ووراثات القلب والضمير ، كما تقوم السلع والأموال في حياة الناس ؟!

بلى ! ولكن الناس في هذا العالم الذي يطلق عليه اسم «العالم الإسلامي» ، لا تراجع رصيدها الروحي وراثتها الفكرية ، قبل أن تفكر في استيراد المبادئ والخطط ، واستعارة النظم والشرائع ، من خلف السهوب ومن وراء البحار !

إن الناس تنظر قترى واقعاً اجتماعياً لا يسر ، وتبصر قترى أوضاعاً اجتماعية لا تحقق العدالة ، عندئذ تتجه بأبصارها إلى أوروبا وأمريكا وروسيا والصين ويوغوسلافيا ... وما إليها ! تستجلب منها الحلول لمشكلاتها ، كما تستررد منها السلع لمعاشها . غير أنها عند استيراد السلع تراجع أرصدها القديمة ، وتحصي موجوداتها في السوق ، وتنتظر في قدرتها على الإنتاج . فأما عند استيراد المبادئ والنظم والقوانين فلا تصنع شيئاً من هذا كله ، ولا تتخرج أن تلقي بكل تراثها الروحي ، وكل مقوماتها الفكرية ، وكل الحلول التي يمكن أن يتيحها لها النظر فيما لديها من أسس ومبادئ ونظريات ، لتستجلب المبادئ الديمقراطية ، أو الاشتراكية ، أو الشيوعية ، فتكل إليها حل مشكلاتها الاجتماعية ، مهما اختلفت أوضاعها ، وظروفها ، وتاريخها ، ومقومات حياتها المادية والفكرية والروحية ، عن ظروف القوم فيما وراء البحار ، وفيما خلف السهوب !

وهؤلاء الناس يعلنون أن دينهم هو الإسلام . ويزعمون أحياناً أنهم حماة الإسلام ودعائه ! ولكنهم بقصون هذا الدين من حياتهم العملية ، ليبقى في عزلة وجدانية ، لا يحكم الحياة ، ولا يصرف شؤونها ، ولا يعالج مشكلاتها ... فالدين - كما يقال - صلة ما بين العبد وربّه ، أما صلات الناس ، وعلاقات المجتمع ، ومشكلات الحياة ، وسياسة الحكم وسياسة المال ... فلا دخل للدين بها ، ولا دخل لها بالدين .. هذا ما يقوله الذين لا ينكرون الدين . فأما الآخرون فيقولون : لا تذكروا لنا هذا الدين ، فالدين إن هو إلا مخدر يستغل الرأسماليون والحكام المستبدون ، لتنويم الطبقات الكادحة ، وتخدير الجماهير المحرومة ! من أين جاء هؤلاء الناس بهذه النظريات الغريبة على طبيعة الإسلام ، وعلى تاريخ

الإسلام ؟.. لقد استوردوها هي الأخرى - كما يستوردون كل شيء - من خلف السهوب ،
ومن وراء البحار !

ذلك أن قصة العزلة بين الدين والدنيا لم تنبت في العالم الإسلامي ؛ ولم يعرفها الإسلام ؛
وقصة تحدير الدين للمشاعر لم تكن يوماً وليدة هذا الدين ؛ ولم تعرفها طبيعته . ولكنهم
يتلقفونها تلقفاً كاليفاء ، ويحاكونها محاكاة كالقردة ، ولا يحاولون أن يفتشوا عن أصلها
ونشأتها ، ولا أن يعرفوا مصدرها وموردها .. فلنتظر من أين جاءت ، وكيف جاءت هذه
القولبة الغريبة 1؟

* * *

لقد نشأت المسيحية في ظل الإمبراطورية الرومانية ؛ وفي وقت تحجرت فيه الديانة
اليهودية ؛ واستحالت طقوساً جامدة لا حياة فيها ، ومظاهر خاوية لا روح فيها . وكان
للإمبراطورية الرومانية قوانينها المشهورة التي لا تزال ينبوعاً للقوانين الأوربية الحديثة ؛
وكان للمجتمع الروماني نظمه الوضعية ، ومقوماته الاجتماعية ، فلم تكن المسيحية الكنسية
كما صاغها «بولس» وقدمها لأوربا ، وفي الظروف التي كانت قائمة يومذاك ، بقادرة على
أن تضع للدولة الرومانية الوطيدة ، وللمجتمع الروماني المعقد ، قوانين ونظماً ، وحدوداً للسير
على هداها في الدولة والمجتمع . بينما بنو إسرائيل الذين أرسل إليهم عيسى عليه السلام
والأرض المقدسة كلها مجرد مستعمرة رومانية ! فانصرفت بحكم هذه الظروف إلى التهذيب
الروحي ، والتطهير الوجداني ؛ وعينت بهذا الجانب بقدر ما كانت معنية بنقد الطقوس
الجامدة ، والمظاهر الخاوية في شعائر اليهودية ، ورد الروح والحياة إلى الضمير الإسرائيلي .
ولقد بلغت المسيحية في بعض فتراتنا مستوى عالياً في التطهر الروحي ، والتجرد المادي ،
والسماحة الوجدانية ؛ وأدت واجبها في هذا الجانب من حياة الإنسانية الروحية ؛ بقدر
ما نستطيع تعاليم روحية مجردة من الشريعة أن ترتفع بالروح ، وأن تسمو بالوجدان ، وأن
تنظف القلب والضمير ، وأن تكبت الغرائز ، وتعلو على الضرورات ، وتهدف إلى أشواق
مقدسة في عالم المثال والخيال ، تاركة المجتمع للدولة لتنظمه بقوانينها الأرضية في عالم الظاهر
والواقع ، إذ كانت هي معنية بعالم النفس والضمير ؛ وكانت بذلك منطوقة مع الصورة التي
رسمتها الكنيسة للمسيحية ، ومع نشأتها في بيئة خاصة ، ومع حاجة الأمة الإسرائيلية بصفة
خاصة في تلك الفترة .

ولما عبرت المسيحية في صورتها هذه البحر إلى أوربا وجدت الرومان ورثة الحضارة
الإغريقية المادية الوثنية ، كما وجدت أقواماً في أنحاء أوربا حديثي العهد بالبربرية ، يتناحرون
بجمعهم الكثيفة على رقعة من الأرض ضيقة ، ذات طبيعة قاسية وعرة ضئيلة شحيحة ،

لا يملك من يعيش فيها أن يذوق طعم الراحة فترة ، ولا أن يلقي سلاحه لحظة ، ولا أن يركن في واقع الحياة إلى نظريات المسيحية وتعلقها بملكوت السماء ، وانعزالها عن الحياة الأرضية الواقعية .

لقد رأى هؤلاء الأقوام أن الدين لا يصلح للحياة ، فقالوا : إن الدين صلة ما بين العبد والرب ، وأنه لا بأس عليهم أن يستظلوا بظله في الكنيسة ، وأن يسروحوا نسماته في الهيكل المقدس ، وأن يواجهوا صراع الحياة بعد ذلك في المجتمع بثقاليدهم البربرية ، وأن يدعوا السيف يقضي بحكمه في إبان همجيتهم ، ويدعوا القانون المدني يقضي بحكمه بعد أن تحضروا . فاما الدين فقد بقي في عزلة الوجدانية هناك في القلوب والضمائر ، وفي الهيكل المقدس وكرسي الاعتراف ! ولم تمثل المسيحية هنالك قط في نظام يهيمن على الحياة كلها ، ويربط ملكوت الأرض بملكوت السماء .

ومن هنا كانت تلك العزلة بين الدين والدنيا في حياة الأوربيين . بل كانت الحقيقة الواقعة التي ننطق بها طبائع الأشياء ، وهي أن أوروبا لم تكن مسيحية قط في يوم من الأيام . وقد بقي الدين في عزلة عن تكييف الحياة وتنظيمها من يوم دتحوله إلى يومنا هذا .

ولكن رجال الدين من الفسائسة ، والكرادلة ، والبابوات .. لم يكونوا يستطيعوا أن يضمّنوا مصالحهم ، ولا أن يحافظوا على نفوذهم ، إذا بقيت الكنيسة في عزلة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فلا بد إذن أن تكون الكنيسة سلطة تقابل سلطة الملوك والأمراء ، ولا بد أن تستغل سلطانها الروحي في ميدان الحياة العامة . وجاءت عصور كان للكنيسة أملاك وجيوش وسلطان لا تقل عن أملاك الملوك وجيوشهم وسلطانهم . ووقع النزاع - كما لا بد أن يقع - بين الكنيسة والسلطة ، بين البابوات والباطرة ، وكان الدهماء في الغالب في صف الكنيسة . ثم وقع الوفاق - كما لا بد أن يقع - بين هاتين السلطتين ، لالتقاء مصالحتهما في تسخير الجماهير ، واستغلال الدهماء ، ما دامت مصالح مادية واقتصادية في حقيقتها ، وما دام النزاع في أصله على السلطة الزمنية .

وكان هذا . وقيل : إن الدين مسخر لإخضاع الملايين للمستبدين ورجال الدين . لأنه هكذا كان عند الأوربيين !

• • •

وبقيت الكنيسة سلطة مقدسة ، تملك رقاب الناس في الدنيا ، وفي الآخرة كذلك بقيت تباع «صكوك الغفران» وتصدر «قرارات الحرمان» ، وظلت تتحكم في مشاعر الناس وأفكارهم على السواء ، ومن خلفها محاكم التفتيش ، تقتل وتحرق كل من يرفع رأسه ، أو يتهم بالزيف والإلحاد .. حتى جاء عصر الإحياء ، ورأت الكنيسة ما يهدد

سلطانها من تفتح الأذهان والمشاعر بعد القرون المظلمة ؛ ولم يكن حيناً عليها أن تفقد سلطانها أمام تيار الفكر الحديث والعلم الآخذ في النماء ؛ فانطلقت تقاوم وتجاهد لتكسب الأفواه الجريئة ، وتعطيل الأفكار المتحررة من الجهل والخرافة ، التي تنافس النظريات البالية العتيقة ؛ فكان العداء الشنيع بين الكنيسة وحرية الفكر منذ ذلك التاريخ . ولما كانت الكنيسة لا تريد أن تكتفي بملكوت السماء . ولا أن تقنع بالتحكم في الآخرة . فقد اصطدمت نظرياتها عن الأرض والأفلاك والمواد بنظريات العلم القائمة على الدراسة التطبيقية مما فرضته الكنيسة من مقررات ، لم تقم إلا على علم ناقص من علم البشر ، ولا علاقة لها بالدين في أصوله ... فقد نشأت أجيال من العلماء والمفكرين تكره الكنيسة وتحترقها معاً ؛ وتكن في نفوسها العداوة والاشمئزاز للدين ولرجال الدين .

ومن هنا كانت الجفوة بين الدين والعلم ، وبين الكنيسة والفكر ، في حياة الأوربيين ! ^(١)

* * *

ثم سارت الحياة في طريقها ؛ وآتى العلم الحديث ثمراته ؛ ونشأ عنه في عالم الصناعة ما يعرف بالإنتاج الكبير ؛ ونضجتم رؤوس الأموال ؛ وأصبح في ميدان العمل معسكران منفصلان : معسكر أصحاب رؤوس الأموال ، ومعسكر العمال ؛ وانفجرت الطوة بين مصلحة كل من المعسكرين ؛ وانتقلت السلطة الحقيقية من يد الدولة إلى أيدي أصحاب رؤوس الأموال . ولما لم يكن بدّ للكنيسة أن تنضم للسلطة الحقيقية ، فقد انضمت إلى معسكر رأس المال ! .

ولا أحب أن أظلم رجال الكنيسة الأوربية جميعاً ؛ فقد يكون منهم المستنفع الذي يلزم مركز القوة فينضم إليه ؛ ويتخذ من الدين مخرجاً للطبقات الكادحة ؛ يصددها عن الثورة لحقها ؛ ويأخذها عن طلب النصفة في الدنيا ، ويعينها العوض في الآخرة . ولكن بعضهم لا بد أن يكون مخلصاً في دعوة من هذا القبيل ، حسب فهمه لعقيدته المسيحية كما رسمها الكنيسة ، فالمسيحية هذه في جوهرها تزهد ، واحتظار للحياة الظاهرة ، وتطلع إلى ملكوت الرب ، وعالم السماء ، وانفصال كامل بين ملكوت الأرض وملكوت السماء . وعلى أية حال ، لقد وجدت الطبقات الكادحة التي تريد أن تصارع ، أن الدين لا يغذي رغبتها في الصراع ؛ وأن الكنيسة تتخذ منه مخرجاً للكادحين ؛ فأعلنت ثورتها الكاملة على الدين ؛ وفالت عنه ؛ إنه مخدر الملايين . وسواء كان دعاة المذهب المادي

(١) يراجع بترس فصل : الفصام الكد ، في كتاب : المسبيل لهذا الدين .

مخلصين في موقفهم من الكنيسة أم غير مخلصين ، فالحق أن الكنيسة كانت تقف في غير صف لكادحين !

ومن هنا كان العداء الظاهر الصريح بين الشيوعية والدين ^(١) !

* * *

ولكن نحن ! نحن الذين نسمي أنفسنا مسلمين ونسَمِّي بأسماء المسلمين - ما نال هذا كله ؟ وصروف التاريخ ، وصيحه الإسلام وصروعه يست في شيء من هذا حليمه ! لقد نشأ الإسلام في أرض لا سلطان لإمبراطورية ولا ملك علب - وشأ في مجتمع بدوي قبي ليست به أوضاع و قوانين من نوع ما كان في الإمبراطورية الرومانية وكان هذا أنسب وضع هذا الدين في شأنه الأولى ، ليتولى إنشاء المجتمع الذي يريد به علا عواقب حقيقة ، ويضع له قوانينه ونظمه ، ويتولى في الوقت ذاته صميمه وروحه ، كما يتولى سلوكه ومعاملاته ، ويجمع بين الدنيا والدين في توجيهه وتشرعاته . وقد قام على أساس توحيد عالم الأرض وعالم السماء في نظام واحد ، يعيش في صميم الفرد ، كما يعيش في واقع الجماعة ، ولا يفصل فيه النشاط العملي عن الوارع لشيء ، ولا يتعدد جوهره الموحدة ، وإن اختلفت مظاهره ومسالكه

ولم يكن الإسلام - ووظيفته الأولى هي إنشاء صورة جديدة وكاملة للحياة الإنسانية - مستطيع أن يعزل في الوجدان الشرقي ، بعيداً عن لحبه بعمية الواقعة ، ولم يكن مضطراً من ناحية شأنه التاريخي كذلك أن يصبى دائرة عمله لحظة وحدة خشية إمبراطورية أو سلطان ، فهو سيد صحتي وإحاطة الحرية تعارضه فهي تعارضه غير أوضاع اجتماعية ذات جلور راسخة وغير نظام اجتماعي وطيد الأركان كالمجتمع الذي صادفته المسيحية في أول عهدها وميدان عمله هو الحياة البشرية كلها ، روحية ومادية ، دينية ودينية . وقد نشأ في أنسب بيئة يراون طبعته كمنه ، وسور خصفته في صورة واقعة مد اللحظة الأولى والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وقد كان من قدر الله هذا الدين الذي سينقذ إلى آخر الزمان أن يعبق تطبيقاً كاملاً بلا عوائق مد موده لتلقى منه صورة كاملة للأحياء لا عيش فيها ولا شبة

ولن يستقيم هذا الدين في عزلة عن لمجتمع ، ولن يكون أهله مسلمين ، وهم لا يحكمونه في نظامهم الاجتماعي والعائلي والمالي ، وس يكون مجتمعهم إسلامياً ، وأحكام الإسلام

(١) لا ينبغي أن نسي - مع ذلك - أن الشيوعية موسسه يهودية كالأسوب ، وأن أولى ركائز لحظة اليهودية في تعبير عدم - غير يهودي - هو سلب الدين منه وإبعاده عن هذا المقوم الأساسي للحياة !

وشرائعه منية من قواهم ونظمهم ، وليس لهم من الإسلام إلا شعائر وعادات ، فالإسلام هو العبودية لله وحده ، وإفراده بخصائص الألوهية ، وفي أوه «الحاكمية» ، كما سنعرض فيما بعد

«فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (١) «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (٢) «وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» (٣) .

وبما يجعل هذا الطريق معيماً ، أن هذا الدين كل لا يسجراً عاداته ومعاملاته ، شرائعه وروحانياته ، ولشعائر التعدية ليست منحصنة في طبيعته وأهله عن النظم ومعاملات ، فالصلوة وهي من خصائص التعدية تعني توحه الفرد وتوحه الجماعة إلى إله واحد عزيز قادر ، لا تصواحيه إلا له ، وإلى قبله وحدة لا ريع عنها ولا فوج ، كما تعني المساواة أمامه ديان واحد ، الكل له عبيد ، وكل أممه سوء . «شهادته أن لا إله إلا الله» وهي الركن الاعتقادي الأول في هذا الدين تعني مبعث كمالاً للحياة يقوم على التحرر المطلق وحدانياً وعملياً من كل عبودية لغير الله . هذا التحرر الذي هو الخطوة الأساسية لتحقيق مجتمع صالح كريم ، الكل فيه متساوون

وعنى ية حال من يرتاب ناحت في هذا الدين في أن فكره مجتمع واضح وبارزة في شعائره ونظمه على السواء ، وأما فكرة الأولى القوية الشائعة في كيان كل واحد شاهدا في بعض لعصور محاولة لتصحيح الخاط «التعدي» في هذا الدين وعمله عن الخاط الاجتماعي ، أو عزل الخاط الاجتماعي عنه ، فتلك آفة العصر لا آفة الدين (٤) . وليس هذا الذي دعوه عن الإسلام مدعاً استدعه ، ولا تأويلاً جديداً لحقيقته ، إن هو الإسلام كما أنان عن وجهته ، وكما فهمه صاحبه لأول - محمد صلى الله عليه وسلم - وكما فهمه أصحابه المحضون له ، والقريبون من مسده لأصيل

جاء في القرآن الكريم : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ ارْجِعُوا إِلَى دِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ . ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ

(١) سورة النساء [٦٥]

(٢) سورة الحشر [٧]

(٣) سورة نائمة [١٤]

(٤) اتبع في الإسلام يشمل شعائر وشرائع والفكر والنشاط الإنساني كله وفكر عب في تأليف المفهوم اصطلاح «عبادات» على أحكام الشعائر اصطلاح «المعاملات» على كل من شئ والإسلام وحده لا تتجزأ راجع فصل «الشعائر» في كتاب «خصائص التصور الإسلامي ومفوماته»

فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ^(١) . وكلنا يعلم كم تستغرق الصلاة المفروضة من زمن في اليوم ، وما بقي فليس في العمل ، بوقت الصلاة نسبة ضئيلة في حياة الإنسان ، وللمجتمع ولحياة ما تبقى طوال الليل والنهار . وحيث في موضع آخر « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا^(٢) » لأن العال في النهار هو معاش لا لشعائر التعبدية

عني أن الإسلام لا يعد لعبادة فيه هي مجرد إقامة الشعائر ، إنما هي لحياة كلها حاصلة لشريعة الله ، متوجهاً يمكن نشاط فيها إلى الله . ومن ثم بعد كل خدمة اجتماعية وكل عمل من أعمال الخير فيه عبادة . قال صلى الله عليه وسلم « نَسَاعِي عَنِ الْأَمْنَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُحَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ نِصَائِمَ لَيْلٍ^(٣) »

واحدتان اثنتان قاصعتان في ندالة على روح الإسلام ، كما يفهمه صاحبه رسول الله عن أس رضي الله عنه قال كنت مع النبي في سفر . فلب نصائم ، ومب المفطر قال فتردنا منزلاً في يوم حار ، أكثرنا ظلاً صاحب لكساء ، فما من يتقي الشمس بيده قال فسقط الصوم ، وقام المفطرون فصرخوا الأسيه ، وسقوا بركاب فقاب رسول صدوت الله عليه وسلامه . « ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله^(٤) »

وعنه أيضاً أنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها قالوا أياكم خير من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد عسر له ما تقدم من دسه وما تأخر ؟ قال أحدهم أما أن فأصلي الليل أبداً . وقال الآخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر وأنا أعتز النساء ولا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم فقال « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأحشاكم لله وأتقاكم به . وبكفي أصوم وأفطر . وبكفي وأزهد ، وأتزوج النساء . فمن رعب من سني فليس مني^(٥) » .

ولم يكن ذلك من محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو أعرف بدينه ، استهانة بأمر الصوم والصلاة ، ولكن إدراكاً لحقيقة روح هذا الدين ، الذي يعمل بالحياة وهو يعمل للعقيدة ، فيمرح العقيدة بالحياة ، ولا يقف في معزل وجداني في عالم بصير

وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين رأى رجلاً يظهر السك والتماوت ، فحقيقته بالندرة وقال له « لا عت عبيد دينا أمانك الله » أو حين شهد عليه شاهد ، فقال انتني من يعرفك ، فأنا به رجل ، فأثني عليه خيراً ، فقال له عمر ثبت

(١) أخرجه الترمذي

(٢) سورة النبا والنسائي

(١) سورة الجمعة [٩ - ١٠]

(٢) سورة النبا [١٠٦ - ١١١]

(٣) الشيخان والترمذي والنسائي

جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال لا . قال : كنت رفيقه في السر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال لا . قال : تعاملته بالدينار والدرهم الذي يستين به ورع الرجل ؟ قال لا . قال : أظنك رأيت قائماً في لمسجد يهيمهم القرآن ، يحفض رأسه تارة ويرفعه أخرى ؟ قال : نعم ! فقد اذهب فست تعرفه ! وقال لرجل اذهب فأنني عن يعرفك !

فهذه من عمر - رضي الله عنه - كتلت من نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - فهم صحيح لحقيقة هذا الدين ، وتصوره للمعاد والسلوك ، وفي العقيدة المستسرة في الصمير ، والعمل لواصلح للعباد «وَاتَّبِعْ هَيْدَا تَنَالُ الْآلَةَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنَسْ نَفْسَكَ مِنَ الدُّنْيَا» (١) «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَلَكْتَ صَوَامِعُ وَبِعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» (٢) «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» (٣) «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَحُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالسَّلاَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّ ، وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبٍّ - ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَارْتَبَلَ النَّسَبِ وَالْإِنْسَانِ ، وَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْكُلِّ شَأْنٍ وَلَصْرٍ وَحِينَ النَّاسِ» (٤) «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُكْرًا فَلْيَعْبِرْهُ» .

فهذا هو قوام الإسلام في العمل والاعتقاد . ولا عرله إحد بين الدين والدين ، ولا بين العقيدة والاحكام . كما كان الحد في المسيحية التي صاعها المجمع الملهمة

• • •

والإسلام لا كهانة فيه ولا وساطة بين الخلق والخلق ، فكل مسلم في أطراف الأرض ، وفي فجاج البحر ، يستطيع عمده أن يتصل بربه ، بلا كهن ولا قسيس ولا إمام المسلم لا يستمد ولا يسه من «الحق الإلهي» ولا من الوساطة بين الله والناس ، إنما يستمد مباشرة للسلطة من الجماعة الإسلامية ، كما يستمد السلطة ذاتها من سيد الشريعة ، التي يستوي الكل في فهمها وتطبيقها متى فهموها ، ويحتكم إليها الكل على السواء .

فليس في الإسلام «رجل دين» بالمعنى المفهوم في الديانات التي لا تصح مراوغة

(١) سورة القصص [٧٧]

(٢) سورة الحجج [٤٠]

(٣) سورة البقرة [١٩٠]

(٤) سورة بكرة [١٧٧]

(٥) مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

الشعائر التعبدية فيها إلا بحضور رجل الدين ، بما في الإسلام علماء مبدعين ، وليس للعالم هذا الذين من حق خاص في رقاب المسلمين ، وليس لنحاكم في رقابهم إلا تنفذ الشريعة التي لا يبتدعها هو ، بل يعرضها الله على الجميع أما في الآخرة ، فالكل مصيرهم إلى الله «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا»^(١)

فلا صراع إذن بين علماء الدين واستطاب عن رقاب العباد ، ولا أمولهم ، وليس هالك مصالح اقتصادية ولا معنوية يتنازعها ؛ وليست هالك سلطة روحية وأخرى رمية في الإسلام فلا مجال لنصرع عليها ، كما كان الحال بين الأئمة والديوت والإسلام لا يعادي العلم ولا يكره العلماء ؛ بل يجعل العلم المؤدي إلى معرفة الله - وكل علم صحيح يؤدي إلى هذه الغاية - فريضة مقدسة دحلة في الطاعات الدينية ، «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٢) . «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»^(٣) .

ولم يعرف التاريخ الإسلامي تلك الاصطهدات المسكرة المظلمة لرجال الفكر أو رجال العلم كما عرفت محاكم بعتيش ، والمزمت انقلبة الدرة التي عوقب فيها رجال على أفكارهم ، تعد شاذة في تاريخ المسلمين ، وفي لعاب كانت تنفيس بها حالات سياسية ، ونكس خلفها نزعات حرية ، وهي على وجه العموم ليست طبعاً نارراً للحياة الإسلامية ؛ وقد جاءت على أندي ناس يكر عليهم الإسلام أن يكونو فهمه للإسلام وذلك طبعي في دين م يعتمد على لحوارق والمعبرات ؛ إنما قام على التأمل والنظر في آيات الله في لأفس والآفاق .

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاجْتِلاهِ الْبَلِّ وَالنَّهَارِ ، وَفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْتَعِ النَّاسُ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»^(٤) . «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْبِئِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ تَشْرُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

(٢) مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

(٤) سورة البقرة [١٦٤]

(١) سورة مريم [٩٥]

(٢) ابن ماجه

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْقَةُ
 النَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعِبَادٍ يَعْلَمُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَسْجِدُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِمَّا تَوْكَّه
 مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْفَرْقَ بَيْنَ حَافَاً وَطَمَعاً ،
 وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنُحْشِي بِهِ الْأَشْجَارَ نَعْدَ مُزَيِّنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١)
 ودلت طبعي أيضاً في دين برهنة انتهى بالعلم ، وبحصل العلم سبيلاً إلى معرفة الله
 وحقيقته « إنما يحشى الله من عباده العلماء » (٢) ... ويرفع منزله العلماء على السجدة
 « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » (٣) « فصل العام على العدد ،
 كمحصل القمر على سائر الكواكب » (٤)

فلا جفوة إذن بين الدين والعلم لصحيح المؤدي إلى معرفة الله عن طريق آياته في
 لأنفس ولآفاق لا جفوة بين الدين وهذا العلم ، لا في طبيعة الإسلام ولا في تاريخه ،
 كالجفوة التي وقعت بين الكيسه والعلماء في عصر النهضة وما تلاه

فأما وقوف « رجال الدين » (٥) في صف لسلطان وأصحاب المال وتخليد لهم ، ليس
 للعالمين والمحررين ، فلا تكرار بوقوعه في بعض عهود التاريخ الإسلامي وبكر روح
 الدين الحقيقية تنكر على هؤلاء موقفهم ، والذين تنوعت سماتهم وانكسر حواء
 ما اشكروا بآيات الله ثمناً قليلاً ونقد حط التاريخ بجانب سير هؤلاء سيراً لمعادح من
 « علماء دين » الذين لم تأخذهم في الحق يومه لائم ، والذين حاشوا السلطان وأصحاب
 المال بحق الفقراء وحق الله ، كما حرصوا أصحاب الحقوق على حقوقهم ، ويسودهم ،
 وتعرضوا لنظم الحكام ، ولسفي أحياناً والاضطهاد .

• • •

ليس لدينا إذن سبب واحد لتسحق الإسلام عن المجتمع ، لا من طبيعته الخاصة ، ولا
 من ظروفه التاريخية ، كالأسيب التي لارمت تسحقه في أوروبا ، فعزلت الدنيا عن الدين

(٣) سورة الزمر [٩]

(١) سورة الروم [١٩-٢٤]

(٤) أبو داود والترمذي وابن حبان والبيهقي

(٢) سورة طه [٢٨]

(٥) نحن نعرف بين اصطلاح رجال الدين واصطلاح « علماء دين » ، فهي بعض عهود يتجاوز أصحاب السلطان ان
 يسمو في الإسلام « فئة دينية » ، يستمدون في حريف لكلم من مرمية ، ولافتاء بما يرمي أصحاب سلطان
 رصفوا أقوالهم وأفكارهم التي لا سند لها من الدين ، وهي فتاات نشه « اكليروس كنيسة » لا يعرف
 الإسلام

وبركت للدين مهديب الصمير وتظهر الوجدان . بينما تركت لقوانين الوصية نظم المجتمع وسير الحياة

كذلك نست لدا أسباب حقيقية للعداوة بين الإسلام والكفاح لتحقيق العدالة الاجتماعية - في حدود المصح للإسلامي والشريعة الإسلامية - كالتي لانت اعداؤه بين المسيحية ونيوحيه ، للإسلام يفرص قواعد لعداوة الاجتماعية ، وبضمن حقوق الفقراء في أموال الأعياء ، ويضع للحكم وللمال سياسة عادلة ، ولا يحتاج لتحدير المشاعر ، ولا دعوة الناس لترك حقوقهم على لأرض ، ونظرة في مكتوت لسماء بل إنه يندر الذين يندلون عن حقوقهم الشرعية ، تحت أي ضغط ، سوء اعداء في الآخرة ، وسميهم « ظالمين أنفسهم » « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ، قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ! قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ رِضًا بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ فَتُهْجَرُوا فِيمَا ؟ فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ حَنُمٌ وَسَاءَتْ مَصِيرٌ » . ويحرصهم على قتال لحفهم اومن قتل دون مظلمته فهو شهيد^(١) »

فاد صطرب أوروبا لتحية لدين عن حياتها لعامة ، فلسا مصطربين أن يح في هذا طريق ، ودا صطربت الشيوعه أن تعادي الناس لتضمن حقوق الطبقات لكادحة - كما تزعم - فلسنا كذلك في حاجة إلى معاداة لدين ا

ولكن بعض الناس - وفيهم من يرعمون بهم مسمون ويتسمون بأسماء المسمين - يقولون ومن لني يضمن لنا أن هذا النظام الذي أقامه الإسلام في عصر تاريخي خاص ، لا يزال يحمل عناصر النمو والتجدد الكفلة بأن تحمه صالحاً للتطبيق في عصور تاريخية أخرى ، قد تختلف مقوماتها كثيراً أو قليلاً عن مقومات العصر التاريخي الذي شأ فيه الإسلام ؟

وهذا الكتاب يحملته هو الإجابة هؤلاء على مثل هذا السؤال . ولكننا نقول هـ في إجمال

إن للإسلام - وهو من صنع نرى هذا الكون ومنشئ يوميه ، والعالم كـ يحـ فيه وما يتطور كان في علمه هذا لتطور التاريخي ، وما يترتب عليه من تطور اجتماعي واقتصادي وفكري عام وإبه هذا وضع الخطوط لثابتة ، وأساسى العامة ، والقواعد

(١) سورة نـ، [٩٧]

(٢) رواد اساني

الشاملة التي لا تحرج تصور الإنسان في نهاية عن حدودها ، وترك لتطبيقات لتطور الزمان ، وبروز المحاحات ، في حدود مادته العامة ، وقواعده الشاملة ، ولم يُدَلَّ بتفاصيل جريئة مفيدة إلا في المسائل التي لا تتغير حكماتها ، والتي تؤدي أعراسها كمنة في كل بيئة ، والتي يريد الله تثبيتها في الحياة البشرية ، لأنها صياد للخصائص التي يرتضيها هذه الحياة . وإبه هذا الشمول وهذه المرونة ، قد كهل لأحكامه التطبيقية النمو والتجدد على مدى الأزمان

ولقد بدل فقهاء هذا الدين جهداً صحيحاً مشكوراً في التطبيق والقياس والتفريع كهل لأحكام الإسلام أن تنبي حاجات المجتمع المتحددة في ذلك الزمان ، الذي كان المجتمع فيه محكوماً بشريعة لإسلام . ثم وقف هذا الجهد عندما نحلى المجتمع عن الإسلام بتحية عن شريعة الإسلام ، عندما غلب الاستعمار الصيني على دار الإسلام في كل مكان ! ولم يكن العلاج لتلك الحال أن يدع دين شامل في عزلة تعديدية ، وينطق إلى التشريع الهوسي ستمد منه الناموس ، أو إلى النظريات السياسية العربية ستمد منها نظام الحكم ، أو إلى النظريات المادية ستمد منها نظام المجتمع ، قبل أن يئس من صلاحية هذه الشريعة لإقامة المجتمع الحديث ! ذلك أن النمو العصري الطبيعي لأي نظم في بيئة من البيئات ، يحججه أصلح بالقياس إلى هذه البيئة - على الأقل - من كل نظام مصنف غريب على طبيعة هذه البيئة ، لم يعم فيها نمو العصري الرتيب .. وذلك كله فضلاً عن ، تقتضيه ما دعوى الإسلام التي يدعيها وهي دعوى لا تقوم إلا على أساس من العبودية لألوهية الله وحده . ولن تتحقق العبودية لألوهية الله وحده إلا في صورة واحدة - صورة الحكم بشريعة الله ولكته . لمهل بحقيقة هذا الدين ، وبطبيعة المجتمعات وقوانين الحياة ، وبكسل العقلي والنمسي عن مراجعة لرصيد القديم ، والتفكير المصحح للاتجاه العربي أو الشرقي في فصل الدين عن الحياة ، حيث اقتضت ذلك طبيعة مشاة لدين عديم دون أن تقتضيا طبيعة مشاة الإسلام ، وحث قامت هناك الدعوة بين الدين والعلم والدولة لأسباب تاريخية يئساها ، ولا نظير لها في تاريخ الإسلام !

وبسر معنى هذا أساء يدعو إلى الوقوف بأوضاع المجتمع بعد شكل تاريخي معين فالإسلام مهج وإطار تصاع منه أشكال مجددة . وفي الوقت ذاته قائمة على أصول ثابتة - للمجتمع المسلم وفق ظروفه المحيطة . وكما يدعو - على الأقل - إلى مراجعة لرصيد المسحور ، ومعرفة أسسه العامة ، قبل أن يعمد إلى تقليد متسر ، مفقود الأسس التاريخية في حياتنا ، تصع فيه شخصيتها ، ونصح معه ديبلاً بلقافة الإنسانية . وديسا يدعو إلى أن يكون دائماً في المقدمة : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمَكْرَ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ^(١) ، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا^(٢) .

وما يُدري هؤلاء الناس أن لدينا ما يعطيه لهم لعالم الناس المكشود . الذي دبعته
حصارته ماددة الحاونه من الروح ، إلى حرب من عاصتس في ربع قرن من الزمن ، والذي
ما يزال يتحط في طريقه إلى حرب ثالثة تندر حصارته كلها بالنوار ١١٩

(١) سورة آل عمران [١١٠]

(٢) سورة بقره [١٤٣]

طبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام

من سرك طسعة العدالة الاجتماعية في الإسلام ، حتى نلذك مجملأ بالتصور الإسلامي عن الألوهية والكون والحياة والإنسان . فليست العدالة الاجتماعية إلا فرعاً من ذلك لأصل الكير الذي ترجع إليه كل تعاليم الإسلام .

إن الإسلام وهو يتولى تصيم الوحدة الإنسانية جميعاً ، لم يعالج براحيب مختلفة جز فاً ، ولم يناولها أحرأ وتدريق ذلك أن به بصوراً كلف متكملأ عن الألوهية والكون والحياة والإنسان ، يرد إليه كافة الفروع والتفصيلات ، ويربط إليه نظرياته جميعاً وتشريعاته وحدوده ، وعاداته ومعاملاته ، فيصير فيها كلها عن هذا التصور شامل متكامل ، ولا يرنح لرأي بكل حاله ، ولا يعالج كل مشكلة وحدها في عزة عن سائر اشكلات

ومعرفة هذا التصور الكلي للإسلام سر بساكت فيه فهم صونه وقواعده ، وتسهي عيه أن يرد الأحداث الى الكلمات ، وأن يتبع في بذه وعمق خطوطه واتجاهاته ، وسحظ بها متشاككة متكاملة ، وأنها كن لا يتحرأ ، وأنها لا تعمل عملاً مشمراً لخدمة الا وهي متكامله الأحرأ والإنجاهات

وطريق الباحث في الإسلام أن يتبين أولاً تصوره لشامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان ، قبل أن يبحث عن ربه في الحكم و رأيه في المال ، أو رأيه في علاقات الأمم والأفراد . فإنا هذه فروع تصدر عن ذلك التصور الكلي ، ولا تفهم بدونه فهماً صحيحاً عميقاً

والتصور الإسلامي لصحيح لا يتمس عداس سبب أو اس رشنا أو تعاريفي وأمشام عن يطلق عليهم وصف «علاسة الإسلام» ؛ فعلاسة هؤلاء عا هي ظلال للفسفة الإغريقية عربية في روحها عن روح الإسلام . وللإسلام تصوره الأصليل بكامل ، يلتبس في أصوله لصححة . انقرب واحديث وفي سيرة رسوله صلى الله عليه وسلم وبسه العمة وهذه الأصول هي حسب أي باحت متعمق ليدرك تصور الإسلام الكلي الذي يصدر عنه في كل تعاليمه وتشريعاته ومعاملاته

وقد تناول الإسلام طبيعة العلاقة بين الحالى والخلق ، وطبيعة العلاقة بين الكون والحياة والإنسان ، وطبيعة العلاقة بين الإنسان ونفسه ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الفرد والدولة ، وبين لجماعات الإنسانية كافة ، وبين الخيل والأحوال . ورد ذلك كله الى تصور كلي جامع ، مسحوظ المسحوظ في سائر فروع والتفصيلات

و بحث الفصل في هذا التصور ليس بحاله هذا الكتاب ، وهو موضوع بحث مفصل بعنوان « خصائص التصور الإسلامي ومقوماته »^(١) ولكي سأسير فقط إلى رؤوس موضوعات عامة ، تمهيداً لبحث في موضوعات متعددة الأهمية في الإسلام

• • •

لقد طلت الإنسانية أدهراً طويلاً لا تستقيم على تصور شامل عن الخالق والحلق وعن الكون والحياة والإنسان

و كانت كلما جاءها رسول من عند الله بصورة منه ، قننت بها فلة ، وأعرضت عنها كثرة ثم عادت بحسنتها فارتدت عنه في تصورات جاهلية مشوهة حتى جاء الإسلام تكملاً لتصور وأشمل شريعة مقترنين ، وأقدم عليهما دعماً واقعياً للحياة يتمثل فيه التصور ولشريعة في صورة عملية

فأما العلاقة بين الخالق « الخلق » (الكون والحياة والإنسان) فهي الإرادة المباشرة التي تصدر عنها المحبوبات جميعاً « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »^(٢) فلا واسطة بين الخلق والحلق من قوة أو مادة ، فمن إرادته المطلقة تصدر الموجودات صدوراً مباشراً ؛ وإرادته المطلقة تحمط وتنظم وتسير « يُنَزِّلُ الْأَمْرَ نُصُلًا لَا يَأْتِي »^(٣) « وَيُنْزِلُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَّ عَلَى الْأَرْضِ لَا يَذِيبُهَا »^(٤) « لَا الشَّمْسُ يَنْعِي هَا هُنَا تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ أَنشَأَ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »^(٥)

وهذا الوجود انبصار عن الإرادة المطلقة ، وحدة متكاملة ، كل جزء فيها ملحوظ فيه تناسقه مع سائر الأجزاء ؛ ولكن موجود فيه حكمة تتعق بهذا التماسق لتكامل ملحوظ ؛ « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرٌ »^(٦) « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَاهُ قَدْرًا »^(٧) « الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَائِفًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَآوُتٍ ، نَارْجِعُ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى

(١) صدر القسم الأول منه وهو يعرض « خصائص التصور الإسلامي » والقسم الثاني تحت الطبع وموضوعه « مقومات التصور الإسلامي »
(٢) سورة يس [٨٢]
(٣) سورة نوح [٢٤]
(٤) سورة الفرقان [٢٠]
(٥) سورة النجم [٤٩]
(٦) سورة النجم [٤٩]
(٧) سورة النجم [٤٩]

مِنْ طُورٍ ؟ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ، يَنْقَبْ إِلَيْكَ لَتَصْرِخَاسًا وَهُوَ خَسِيرٌ ^(١) . « فَوَجَّعَ فِيهَا رَوَاسِيَّ مِنْ قُوْنِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا » ^(٢) . « اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ، قَتَرَى الْوَدْقَ يُمْرَحُ مِنْ جَلَالِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ » ^(٣) . وهكذا وهكذا يبدو أن لكل موجود حكمة تناسب مع غاية الوجود ، وأن الإرادة التي تصدر عنها الوجود أولاً ، ويحفظها وينتظم ثانياً ، تلاحظ في كل موجود تناسبه وضعه لكل للوجود

ولأن الوجود وحدة متكاملة الأجزاء ، متناسقة الحلقة ولظام والاتجاه ، بحكم صدوره المباشر عن الإرادة الواحدة المطلقة الكاملة ، كان مهياً أصالها ومساعداً لوجود الحدة بصفة عامة ، ولوجود الإنسان - أرق نمدح الحياة - بصفة خاصة ، فليس لكون عبداً للحياة ولا عبداً للإنسان ، وليست « الطبيعة » - بتعبير الغاهية الحاصرة - حصماً للإنسان يصارعه ويعالجه ، إنما هي من خلق الله ، وهي صديق لا تختلف توجهاته عن اتجاهات الحياة والإنسان ، وليست وظيفة الأحياء أن يصارعوا الطبيعة ، وهم في حصصها نشأوا ، وهي وهم من ذلك الوجود لوحد الصادر عن الإرادة بوحدة وإنسان بالذات إنما يعيش في جو صديق وبين أصدقاء من الوجودات . « فإله حين خلق الأرض » وجعل فيها رَوَاسِيَّ مِنْ قُوْنِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا ^(٤) . « وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَّ أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ » ^(٥) . « .. وَأَوَّلَ الْأَرْضِ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ » ^(٦) . « هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا ، فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ » ^(٧) . « خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ حَمِيعًا » ^(٨) . « وَالسَّمَاءَ بِكُوَاكِيبٍ جُزْءٍ مِنْ لَكُونٍ مُتَكَامِلٍ مَعَ سَائِرِ أَجْرَانِهِ ، وَكُلِّ مَا فِيهَا وَمَا فِي الْأَرْضِ صَدِيقٌ وَمَعَاوِنٌ مُتَنَاسِقٌ مَعَ سَائِرِ مُفْرَدِهِ » ^(٩) . « وَرَبَّنَا لَسَاءَ أَندِيَا عَصَايِجَ رَجِيفًا » ^(١٠) . « وَأَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْدًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبُلًا ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ، وَنَبِّئَا قَوْمَكُمْ سَعَاءَ شِدَادًا ، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ، وَجَعَلْنَا الْهَافَا » ^(١١) .

(٦) سورة الرحمن [١٠]

(٧) سورة الملك [١٥]

(٨) سورة البقرة [٢٩]

(٩) سورة ص [١٢]

(١٠) سورة النبا [٦٦]

(١) سورة الملك [٤]

(٢) سورة فصلت [١٠]

(٣) سورة الروم [٤٨]

(٤) سورة فصلت [١٠]

(٥) سورة النحل [١٥]

وهكذا تمرر العقيدة الإسلامية أن الله رب الإنسان قد خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقاً ماعداً متعاوناً ، أما سبله إلى كسب هذه لصداقة فهو أن يتأمل هذه القوى وتعرف إليها ويتعاون معها ، وإذا كانت هذه القوى تؤديه أحياناً ، فإن تؤديه لأنه لم يتدبرها ، ولم يعرف الناموس الذي يسيرها .

واحاطق - مع هذا - لا يدع الأحياء ولباس نبات الكون الصديق بلا رعاية مباشرة . وعنده منصلة - فإرادته المباشرة متصلة بالكون كله - ومتصلة بكل فرد من موجوداته في الوقت نفسه . « إِنَّ اللَّهَ تَخَيَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَرُولا ، وَلَئِنْ رَأَيْتَ بِأَمْسِكُهُمَا مِنْ أَنْحِلٍ مِنْ نَعْدِهِ ^(١) » « وَمَا مِنْ دَينٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا ^(٢) » « وَلَقَدْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ فَقُلُوبُهُمْ قَتَلَتْ مَا يُرْسِلُ بِهِ نَفْسُهُ وَلَوْ أَنَّ اقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلٍ الْوَرِيدِ ^(٣) » « وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ^(٤) » « وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ - نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَأَبَائَكُمْ ^(٥) » .. الخ

ولأن الوجود الموحد صادر عن رده واحدة ، ولأن أساس حزم من الكون متعاون متناسق مع سائر أجزائه ، ولأن أفراد الإنسان خلايا متعونه متناسقة مع الكون لم يكن يذود أن يكون متعاون متناسق فيما سوا . بحيث كل تصور الإسلام أن الإنسانية وحدة . تفرق أجزاؤها لتجتمع ، وتختلف لتتسق ، ويذهب شتى المذاهب لتتعاون في النهاية بعضها مع بعض ، لكي تصبح صالحة لتعاون مع الوجود الموحد . « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعْرِفُوهُ ^(٦) »

ونظام الحياة الإنسانية لا يستقيم حتى يتم هذا التعاون والتناسق وفق مهب قد وشرعه وتحقيقه واجب لصالح الإنسانية كلها ، حتى ليباح استخدام القوة لإرجاع من يشد عن هذا النهج إليه . « إِنَّمَا حَرَّمَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَدْعُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَيَسْعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَاداً - أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَلُّوا أَوْ يَنْقَطِعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ جِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ^(٧) » « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ، فَاقْبَلُوا إِلَيْهَا فَيُجِبِ

- | | |
|--------------------|------------------------|
| (١) سورة طه [٤١] | (٥) سورة الأنعام [١٥١] |
| (٢) سورة هود [٦١] | (٦) سورة الحجرات [١٣] |
| (٣) سورة ق [١٦] | (٧) سورة المائدة [٣٣] |
| (٤) سورة غافر [٦٠] | |

حَتَّى تَجِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، مِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَقَسَطُوا^(١) ، «وَوَلَّا دَفْعُ
اللَّهُ النَّاسَ يَنْعَصِمُ يَنْعَصِمُ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ»^(٢) ،

فالأصل هو التعاون والتعارف والتناسق في حدود مذهب الله وشرعه ، ومن شد على
هد الأصل ، فيرد إليه بكل طريق ، لأن سبه الله في الكون أولى بالاسراع من أهواء
الأفراد وجماعات ، والتكاسل بين الجميع ينقو مع غاية الكون الواحد ، وعابة خائفة
لواحد سحابة .

فإذا نحن وصلنا إلى الإنسان الحس ، والإنسان الفرد ، فهو وحدة متكاملة ، وقواه
المتكاملة الظاهر موحدة الاتجاه في الحقيقة ، شأنه في ذلك شأن الكون كله ذي قوة
الواحدة المتعددة المظهر .

ولقد طلت الاساسة أدهراً طويلاً لا مهتدي إلى فكرة شاملة عن انقوى الكونية
والإنسانية طلت تفرق بين القوى الروحية والقوى المادية ، تنكر إحداها لتشت الأخرى ،
و تعترف بوجودها في حان تعارض وحضام ، وتصوغ تعانها على أساس أن هناك
تعارضاً أساسياً بين هذه لقوى وتلك ، وأن رجحان إحداهم مرهون بحقه الأخرى ، وأنه
لا مفر من رجحان كفه وجهه كفة ، لأن لتعارض في نظرها أساس في فطرة الكون
ولناس .

والمسيحية - كما صاغها الكيسة والمجمع المقدسة - من أظهر الأمثال على فكرة
هذا التعارض في الإنسان ، وهي متعقة إلى حد ما في هذه المفكرة مع اليهودية ، ثم مع
البودية - على اختلاف سببها فيها - فحلل من أرواح مرهون بكب الحسد و تعديبه ،
أو بفائه ، أو على الأقل بإهماله ونكف عن لدائه

وهذا الأصل كبير في نسخة المعرفه ، وفي المبادئ التي يشهها ، تترتب على
تفريعات كثيرة في النظر إلى لحياة ومتاعها ، وإلى سلوك الفرد وسلوك الجماعة حياها ، وفي
النظر إلى الإنسان وما يصطرب في كيبه من قوى وصفات

وقد ظلت المعركة ثمة بين هذه لقوى وتلك ، وظل الإنسان ممزقاً في هذه المعركة ،
حيران لا يهتدي إلى قرار حتى جاء الإسلام ، فإذا هو يعرض صورة كاملة متساقطة ،
لا عوج فيها ولا اضطرب ، ولا تعارض فيها ولا حضام - جاء يبوحد لقوى والصفاء
جميعاً ، ويمرح لأشواق واسرعات وليوب ، ويسوي بين تحدياتها جميعاً ، ويعترف بها
وحدة متكاملة في الكون والحياة والاساس - جاء يجمع بين الأرض والسماء في نظام

(١) سورة الحجرات [٩]

(٢) سورة البقرة [٢٥١]

الكون ، ولدينا والآخرة في نظام تدبير ، والروح والحمد في نظام الإيمان ، والعبادة والعمل في نظام الحياة . ويسلكها جميعاً في طريق موحد . هو الطريق إلى الله ! وعصمتها كنها لسلطان واحد - هو سلطان الله !

فالكون وحدة . مركبة من الظاهر لمعنوم ولعيب مخفون ، وسجده وحدة مركبة من طاقات مادية وطاقات روحية لا تنفصل أبداً لا وقع الاحتلال بها والاضطراب ، والإنسان وحدة مركبة من الأشواق المتطلعة إلى السماء والسرعات اللاصقة بالأرض . ولا انفصام بين هذه وتنك في طبيعة الإنسان ، لأنه لا انفصام بين لسماء والأرض أو بين معلوم ومخفون في طبيعة الكون ، ولا عرله بين الدنيا والآخرة أو السوء والعبادة أو العقيدة والشرعية ، في طبيعة هذا الدين

ومن وراء هذا جميعه قوة لأزل والابد . تلك التي لا أول لها يعرف ، ولا آخر لها يوصف ، تسيطر في النهاية على الكون والحياة والناس . إنها قوة الله

والفرد الذي يملك أن يتصل بهذه القوة الأزلية لأبدية ، وهي مرجعه في الحياة ، وهو يستمدد في الشئدائد يملك أن يتصل بها وهو في انحراق يصلي ويتطلع إلى لسماء ، كما يملك أن يتصل بها وهو في الأرض يعمل مشغولاً بمعاشه ومعناه

والفرد يملك أن يعمل بالآخرة ، وهو يصوم فيسمع عن الحمد كل بدائده ، وهو ينظر فيستمتع بكل طيات الحياة . م د م يعمل هذا أو ذاك متوجهاً نفسه إلى الله

والحياة تدبى كقرب من صلاة وعمل وى فيها من متاع وحرمان ، هي وحدها الطريق إلى الآخرة كقرب من جنة ونار ، ومن عقاب ورضوان

إنها الوحدة بين أجزاء الكون وقواء ، ولوحدة بين كل طاقات الحياة . والوحدة بين الإنسان ونفسه ، وبين واقعته ورؤاه !

بـ الوحدة التي تعهد اسلام اندائم بين الكون والحياة . وبين الحياة والأحياء . وبين الجماعة والفرد . وبين أشواق الفرد وضرعائه وفي النهاية بين الدنيا والدين ، وبين الأرض والسماء

وهي لا تعقد هذا السلام على حساب الحمد ولا على حساب الروح ، بل نطوق لكل مسما بشئطه ، لتوحد هذا شئط ، وتتحه به إلى الخير والنصلاص والسماء

ولا تعهده على حساب الفرد أو على حساب الجماعة أو لحساب طائفة على طائفة . أو لحساب حبس على حبل . فكل حقوه وكل وحشاته ، على سنة العبد والمساوة

ولفرد والجماعة وانصائمه والأمة والحبل والأحياء كلها يحكمها قانون واحد ، ذو

هدف واحد أن يطلق نشاط الرد وأن يطلق نشاط الجماعة - غير متعارضين - وأن يعمل - بل وتعمل الأجيال لساء الحياة وإثباتها والتوجه بها إلى خالق الحياة .

• • •

الإسلام دين بوحدة بين القوى مكتوبة جميعاً ، فلا حرم هو دين التوحيد . توحيد الإله . وتوحيد الأديان جميعاً في دين الله . وتوحيد الرسل في انتم هذا الذي الواحد مدحجر الحياة^(١) «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»^(٢) .

والإسلام دين بوحدة بين عبادة والمعاملة ، والعقيدة والشريعة ، والروحيات والماديات ، ولقيم الاقتصادية والقيم المعنوية . والمساواة والآخرة ، والأرض والسماء .

وعن تلك الوحدة الكبرى تصدر تشريعاته ومقرراته ، وتوجيهاته وحدوده ، وقواعده في سياسة الحكم وسياسة ما ، وفي توزيع المعام والمعارم ، وفي لحقوق والواجبات وفي ذلك الأصل الكبير تصوري مآثر الأحرار والتفصيلات

وحيث يدرك هذا ، يسمون في طبيعة النظرة الإسلامية للألوهية والكون والحادثة والإنسان ، يدرك معها الخطوط الأساسية لعادلة الاجتماعية في الإسلام

فهي هل كل شيء عدالة إنسانية شاملة لكل حوائج الحياة الإنسانية ومقوماتها ، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة وهي إذن تتناول جميع مظاهر الحياة وحوائج النشاط فيها ، كما تتناول الشعور والسلوك ، والصائرات والوحدات ، وقيم التي تتناولها هذه العدالة ليست القيم الاقتصادية وحدها ، وليست القيم المادية على وجه العموم . إنما هي هذه ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية جميعاً .

وحيثما سطر المسيحية لمعرفة للإنسان من خلال أشواقه لروحه وحدها ، وتحاول أن تكتم برعائه لتعطين أشواقه وحيثما تنظر الشيوعية إلى الإنسان من خلال حاجاته المادية وحدها ، وتنظر إلى الإنسانية ، بل إلى الكون كله ، من خلال أدلة مفردها . ينظر الإسلام إلى الإنسان على أنه وحدة لا تنفصل أشواقه الروحية من برعائه الحسية ، ولا تنفصل حاجته المعنوية عن حاجته المادية ، وينظر إلى الكون والحياة هذه النظرة الشاملة التي لا تعددها ولا انفصام . وهذا هو مفرق الطريق بين الشيوعية والمسيحية والإسلام . مفرق الطريق السليم من أن الإسلام من صفة الله المحالصة ، والمسيحية دخل فيها من تحريفات اشتر ، والشيوعية من أوهام الإنسان المحالصة !

(١) يراجع فصل القيمة في القرآن من كتاب «التصوير الفني في القرآن» للمؤلف

(٢) سورة الأنبياء (٩٢)

ثم إن الحياة في نظر الإسلام تراحم وتعاون وتكامل محدد الأسس مقرر النظم ، بين المسلمين على وجه خاص ، وبين جميع أفراد الإنسانية على وجه عام وهي كذلك في نظر المسيحية ، ولكنها لا تقوم على تشريع وصح رسوم ولا على واقع محدد معلوم بينما هي في نظر الشيوعية تنازع وصراع بين الطبقات ، ينتهي إلى انتصار طبقة على طبقة ، ويتم الحلم الشيوعي الكبير ! ومن هنا يبدو أن المسيحية رؤيا في عام المثال المحدود بلوح بها نشر في ملكوت السماء ، وأن الإسلام هو حتم الأساس الحالد ، محمداً في حصة تعيش على الأرض ؛ وإن الشيوعية هي حقد البشرية العرص في جيل من أجيال الناس !

* * *

على هذين المحطين الكبيرين : الوحدة المطلقة المتعددة المتناسقة ، والتكامل العام بين الأفراد والجماعات ، يسير الإسلام في تحقيق العدالة الاجتماعية ، مراعيًا العاصر الأساسية في فطرة الإنسانية ، عبر متجاهل كذلك للطاقة البشرية

يقول لقول الكريم عن الإنسان «وَيُؤْتِيهِ لُحُبَّ الْحَبِيرِ لَشَدِيدٌ»^(١) ، حب الحبر بذاته ولما يتصل بداته ويقول في وصف الإنسان بالنحن فطرة وطبعاً «وَأُخْضِرْتُ الْأَخْضَرَ الشَّعْخُ»^(٢) . فهو حاصر فيها أنداء ، ووردت فيه صورة مية معجزة هذه العطرة بشرية العجينة «أَقُلْ لَوْ أَنَّمْ تَمْلِكُونَ خَرَابِقَ رَحْمَةِ رَبِّي ، إِذَا الْأُنسَكُمُ حَشْبَةً لِّلْإِيمَانِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا»^(٣) . على حين يقرر أن رحمة الله وسعت كل شيء ، فيبرز بهذه السعة وبدلت الإنسان مدى الشح في فطره الإنسان ، لو ترك فلا تهذيب أو توجيه

وعندما يصنع الإسلام نطمه وشريعته ، وعظاته وروحانياته ، لا يعمل ذلك لحب الفطري للذات ، ولا يسعى ذلك أشح الفطري العميق ، ولكنه يعالج لأثرة ، ويعالج الشح ، بالتوجيه وبالشرع . فلا يكلف الإنسان إلا وسعه ، ولا يغفل في الوقت ذاته حاجات الجماعة ومصلحتها وغايات الحياة العليا في فرد والجماعة على توالي العصور والأجيال .

وإذا كان من العظم الاجتماعي الذي يتدفق مع العدالة أن تطمئطم الفرد ومطامحه على الجماعة ، فإنه من العظم كذلك أن تطمئطم الجماعة على فطرة الفرد وطاقته . إنه من العظم

(١) سورة الباديات [٨]

(٢) سورة النساء [١٢٨]

(٣) سورة الإسراء [١٠٠]

لا هدف الفرد وحده ، بل للجماعة داتها . فتعظيم نشاط الفرد وتعظيم ميوته وبوارعه لا ينفك أثره السيئ عند حرمان هذا الفرد مما هو حق له ، بل يتجاوز به إلى حرمان الجماعة أن تنتفع بكامل طاقته . ومتى كفل النظام بجماعة حقها في جهد الفرد وطاقته ؛ ووضع لحرية الفرد وبوارعه وأطماعه الحدود بكافة ؛ فلا يبغي أن يفعل حق الفرد في بطلاق بشاخصه ، في الحدود التي لا تصار بها جماعة . ولا يصار بها هذا الفرد ذاته ؛ ولا تصطدم بأهداف الحياة العليا فالحيوة تعاون وتكافل في نظر لإسلام ، لا حرب وتنازع وحصام كما أنها إطلاقاً للطافات الفردية وبعمامة ؛ وبست كتماناً وحرماناً وسحقاً وكل ما ليس حراماً فهو مباح ؛ وعمره يثبت على كل نشاط حيوي في حدود مباح لله وشرعه يراعى فيه وجه الله وحده ، ويحظونه انفايات العباد للحياة كما ارتضاه الله

وبمباح المحال في نظرة لإسلام إلى لحياة ، وتجاوز به القيم الاقتصادية السخنة إلى سائر القيم التي تقوم الحياة عيب . فمما أفكر على إيجاد توازن وتعادل في المجتمع وعلى تحقيق العدالة في دائره الإنسانية كلها ، وبمعه من التصير بصيق عدالة كما تفهمها الشيوعية فالعدالة في نظر شيوعية مساوية في لأحر جمع الثروات لاقتصادي - وإن كانت حين اصطدمت بالتطبيق العملي لم تستطع بهذا المساواة لآلية لتحكميه - ولعدالة في نظر لإسلام مساوية إنسانية نظر فيها أن تعادل جميع القيم . عما فيه قيمة لاقتصادية البحتة وهي على وجه لدقة تكفو في الفرص . وركب انوهاب بعد ذلك تعمل في الحدود التي لا تتعارض مع الأهداف العليا للحياة

ولأن القيم في نظر الإسلام كثيرة ومتفرقة كانت البعد في مجموعها أيسر ؛ لذلك لم يصطر إلى تحتم المساواة الاقتصادية بمعناه الحرفي الصيق . الذي يصطدم بالنظرة ، ويتعارض مع طبيعة المواهب المتفاوتة ، ويعوق الاستعدادات الفائلة ، ويسوي بينها وبين الاستعدادات الضعيفة . ويمنع أصحاب المواهب من إيفاق مواهبهم بحير أنفسهم ، وبحير الأمة ، فيحرم الأمة ، ويحرم الإنسانية نتائج هذه المواهب .

إنه لا حد في من المعاطة في أن استعدادات الأفراد الطبيعية ليست متساوية ، فمن يد عاظاً في المواهب الكاملة ولا سبيل للمعاطة فيها عندما تجري حياة العمية مجراها فمن لا يستطيع أن يعاظ في أن بعض الأفراد يولد باستعدادات فطرية للصحة والاكتمان والاحتياات ، وبعضهم يولد باستعدادات حسدية للمرض ونقص والضعف ، ولا سبيل إلى تسوية جميع الاستعدادات والمرهب ما دمت الآلة لم تستطع بعد صنع لأحياء ، بتصميم في قلب واحد ، على نظام الأهرة والآلات !

إن إنكار الاستعدادات حسدية والفكرية وانروحة الفائقه هو صرب من لعث لا يستحق المدقشة . فلا بد أن يحسب حساباً ، وأن يمحها الفرصة لتؤدي أقصى ما تستطيع

من ثمراتها ، ثم يحاول بعد ذلك أن يحدد من هذه الثمرات ما يراه لازماً لصحة المجتمع
لا أن يقطع الطريق على هذه الاستعدادات فطرياً بتسويتها بالاستعدادات الصعبة ،
وبعلاها عن العمل ، وببدها على الأمة والإساية تديباً

وقد قرر الإسلام مبدأ تكافؤ الفرص ، ومبدأ العدل بين الجميع ، ثم ترك الباب
مفتوحاً لتفصيل الجهد والعمل ، ثم جعل القيم الأصيلة في المجتمع المسلم قيمة أخرى غير
القيم الاقتصادية «إِنَّ كَرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^(١) . «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ
كَانُوا لَكُمْ دَرَجَاتٍ»^(٢) . «الْمَالُ وَالنَّسْلُ رِسَالَةٌ حَيَاةٍ لِلدُّنْيَا ، وَالَّذِينَ اتَّصَلَتْ
بِهِمْ عِندَ رَبِّكَ ذُرِّيَّتُهُمْ بِمَا كَرِهُوا وَأَجْرُهُمْ أَتَمًّا»^(٣) .

وهكذا يبدو أن هناك قيمة أخرى غير القيم الاقتصادية العتمة ، بحسب الإسلام
حسابها ، وبحسبها هي القيم الحقيقية ، وبحسبها وسيرة للتعدد في المجتمع حين تتفاوت
الأوراق المالية بين الناس ، بأسبب التفاوت المعقولة القائمة على الجهد والموهبة لا على
بوسائل المكررة التي يحرمها الإسلام تحريماً (كما سبق في فصل سياسة المال)

لا يفرص الإسلام إذن المساواة العرقية في المال ، لأن تحصيل المال تابع لاستعدادات
ليست متساوية . فالعدل المطبق يقتضي أن تتفاوت الأوراق ، وأن يفصل بعض الناس
بعضاً فيها ، مع تحقيق لعدالة لإسائه . بذاتة الفرص المتساوية للجميع ، فلا ينفذ أمام
فرد حسب ولا ساة ، ولا أصل ولا حس ، ولا قيد وحد من القيود التي تغل للجهد
ويبدخل القيم الأصيلة الأخرى في الحساب . وتحرير ، بوحدة البشري تحريراً كاملاً
من صبط القيم الاقتصادية العتمة ، ووضع هذه القيم في مكانها الحقيقي المعقول . وعدم
إعطائها قيمة معوية صحيحة كالتى تعطاه في المجتمعات البشرية التي تفقد الإحساس بالقيم
الإيمانية ، أو تصغر من أهميتها ، وتعمل بمال وحده القيمة الأساسية الكبرى

وإن الإسلام ليرفض أن يجعل للمال كل هذه القيمة ، وبأنه أن تستحيل الحياة لقيمة
حيز ، وشهوة حسد ، ودراهم معدودات . ولكنه في الوقت ذاته يحتم الكفاية لكل فرد ،
وأحياناً فوق الكفاية ، ويفصل أن تكون هذه الكفاية عن طريق الملكية لفردية . أو
العمل المنتج بأنواعه ليرفع عنه ضغط العوز من ناحية وصعب الخطة التي تمتد موارد
الردق من ناحية أخرى . ويحرم الذرف الذي يطلق العنان للمتاع ولشهوة ، وسبب

(١) سورة الحجرات [١٣]

(٢) سورة الحديد [١١]

(٣) سورة الكهف [٤٦]

الفوارق في مستويات الحياة ويرتب في الأموال حقوقاً للفقراء بقدر حاجتهم ، ويصدر ما يصلح المجتمع ، ويضمن له التكافؤ والتعدد والسماء ، ويدلث لا يعمل حاداً واحداً من حواس الحياة المادية والشعورية ، الدبسة والديوية دون مرعاته ، تنصهر هذه الجوانب كلها ، وتستحيل وحدة متماسكة ، يصعب إهمال عنصر من عناصرها المترجمة المتناسقة ، ولتتسق وحدتها مع وحدة الكون الكبير ، ووحدة الحياة والإنسان

أسس العدالة الاجتماعية في الإسلام

يقم لإسلام هذه العدالة الاجتماعية التي كشفها عن طبيعتها بجمالاً . على أسس ثابتة ، ويحدد بلوغ أهدافها وسائل معينة ، فلا يدعها قصة عاصفة ، ولا دعوة محممة ، فهو بطبيعته دين نهيد وعمل في واقع الحياة ، لا دين دعوة وإرشاد محدد في عالم المثال وقد رأيت هناك بجمالاً أن للإسلام تصوراً أساسياً عن الأوهة ولكون الوحدة والإنسان ، وأدركنا أن قاعدته «العدالة الاجتماعية» متأثرة بدلت التصور الأساسي ، دأبه في طوره العام ، وأن طبيعته نظره الإسلام إلى الحياة الإنسانية . تجعل العدالة الاجتماعية عدية شاملة لكل مقومات الحياة الإنسانية ، ولا تقف عند الماديات ولا اقتصاديات ، وأن القيم في هذه الحياة مادة معنوية في الوقت ذاته ، لا يمكن الفصل بين صفتي المتحد . وأن الإنسانية وحدة متكاملة متسقة ، لا حركات متعارضة متفرقة .
ورعنا بدا في بعض الأحيان أن الواقع يخالف هذه لفكرة الأساسية للإسلام فيجب أن نعرف أولاً ما هو هذا الواقع ؟

إن الواقع الذي يعده الإسلام حقيقة . ليس واقع فرد . ولا واقع أمة . ولا واقع جنس فهذا ، هو الواقع الصغير المحدود لمقوت ، الذي تقف عنده يدرك الأفراد شريين العدين ، حين يكفون بصيرتهم عن الاستشراف لما هو أكبر وأشمل في حياة البشرية الكبرى وحياة الكون كله . قام الإسلام فيه بمد سطره إلى جميع الآفاق ، ويعتصم حسناً لجميع المصالح ، ويهدف إلى تحقيق عناية تشمل الإنسانية كلها مد البدء إلى النهاية . فلا تبدو تعارضاً في الواقع المحدود ، فلا يبدو كذلك حين نتجاوز إلى الواقع الشامل واقع الإنسانية كلها ، لا واقع فرد ولا أمة ولا جنس .

وهذه الطرة الكلية البعيدة الأهداف إلى العدالة الاجتماعية ، هي التي ندر لنا فيما بعد بجمالاً عدة في الإسلام ، لا نفهم حق لفهم إذا هي أحدث جرئيات وتدابير ، وإذا حسب فيها حساب الفرد وحده في جماعه ، أو حساب الجماعة وحده في أمة ، أو حسب الأمة وحدها في جنس ، أو حسب الجيل وحده في أجيال . وهي التي تفسر لنا نظام الملكية الفردية ، ونظام الإرث ، ونظام الركعة ، ونظام الحكم ، ونظام المعاملات . إلى آخر ما يتضمنه الإسلام من نظم . تتناول الأفراد والجماعات والأمة والأجيال .
ولسا هذا بصدد الحديث عن ذلك كله ، فسنتنصر إذن على تناول لأسس العامة التي

قام عليها الإسلام براء العدالة الاجتماعية ، في حدود فكرته لكنية وسرى من طبعها أن للإسلام قد نظر إلى وحدة الروح والحد في الفرد ، وإلى وحدة المعنويات والماديات في الحياة كما نظر إلى وحدة هدف بين الفرد والجماعة ، ووحدة المصلحة بين الجماعات المختلفة في الأمة الواحدة ، ووحدة رعاية من الأمم الإنسانية ، ووحدة الصلة بين الأحياء متعاقبة على اختلاف المصالح القريبة المحدودة

هذه الأسس التي أقام عليها الإسلام العدالة الاجتماعية هي

١ - التحرر الوجداني المطلق

٢ - المساواة الإنسانية الكاملة

٣ - النكاح الاجتماعي الوثيق

فسرد لكل أصل من هذه الأصول كلمة تكشف عن طبيعته وعمايته

التحرر الوجداني

من تتحقق عدالة اجتماعية كاملة ، ولن يصمم لها التمسك والبقاء ، مما تستند إلى شعور بصبي بطل باستحقاق فرد لها ، وبحاجة الجماعة إليها ، وبعبقيرة في أنها تؤدي إلى طاعة الله وإلى واقع إنساني أصمى وما تستند كدث إلى واقع مادي يهين للفرد أن تمسك بها ، ويحتمل تكاليفها ويدافع عنها . ولن يستحقها الفرد بالتشريع قبل أن يستحقها بالشعور . وبالصدرة عملية على استدامة هذا الشعور ولن تحافظ الجماعة على لتشريع إن وجد ، إلا وهناك عقيدة تؤيده من الداخل ، ومكبات عمية تؤيده من الخارج وهذا ما نظر إليه للإسلام في توجيهاته وتشريعاته جميعاً

وبذهب المسيحية كما صورها لكنيسة وجامع مقدسة - واسودية كدث ، إلى أن المحرر الواحد في من سائد الحياة وشهواتها والتوجه إلى مكوت الرب في السماء ، واحتقر بحياه الدنيا ، كميل بأن يصمم للإنسان حريته ، ولصير سعادته وهذا حق ولكنه ليس بحق كله فتوقع الحياة لا تفهر في جميع الأحوال ، وضروريات الحياة الواقعية لا تغلب أبد ابدهر ، ولا بد أن يحصع الإنسان لصنعها في أكثر الأحياء

على أن فهر دوقع لحياة وكنها ليس خيراً دائماً ، فالفه خلق الحياه لم يخلقها عبثاً ، ولم يخلقها ليعطيها الشر ويوهو بموها . وبه لمن الحبر أن سمو الإنسان على ضروراته ، وأن يرتفع عن شهوته ، ولكنه لس من الحبر أن يعطل الحياه داه بذلك السمو وهذا لارتفاع

فإذا كان هذا طريقاً لأن تطبق بقوى المكنونه في كدث الشرية ، وأن يرتفع الإنسان على الحصوصع المذل بضروره ، فكدث هو الطريق الأقوم والأسم وهذا م هدف إليه

الإسلام وهو يوحد ضرورات الحسد وأشواق الروح في نظم ، ويكمل التحرر الوحداني بالشعور بالاطمئنان والإمكان الواقعي ، ولا يفعل عن هد أو دأك

وتذهب لشيوعية في أن التحرر الاقتصادي وحده كهيل بالتحرر الوحداني ؛ وأن الصعق الاقتصادي على الفرد هو الذي يجعله يتحلى عما تكفى له لقوانين النظرية أحياناً من عدالة ومساواة وهذا حق ولكنه ليس الحق كله بالتحرر الاقتصادي ذاته لا يكفى له لفاء في المجتمع إلا بالتحرر الوحداني من داخل الصميم . فهو عرصه لصعق آخر

صعق الضرورات والاستعدادات والميول ، التي لا تكفى لتشريعات وحدها لمقاومتها والفرد الذي يفعله استعداداته الطبيعية عن محاربة الآخرين في الإنتاج ، وعن مجاراتهم في التطمع والطموح . هذا الفرد لا بد أن يفقد عرصه على مساواة ، التي قد يكملها له القانون ، لإحساسه بالاطمئنان أنه أقل من سواه ، ولو تبجح قفزة وكبير . والفرد ذو الاستعدادات الفارقة ويستج الموهور ، لا بد أن يغلب قنوب المساواة المطلقة ونظم الملكية العامة الشامل ، فإن لم يستطع فقد عديهما وحق ، فاما أن يثمر ، وإما أن يحبو ذكاؤه ، وتكتمش استعداداته ، ونقل نتاجه

فأما حين تستند المساواة إلى تحرر رجلي عميق ، كما تستند إلى تشريع والتنفيذ . فإن الشعور به يكون أقوى عند القوي وعند الضعيف ، بها تستحيل في الضعيف تسامياً . وفي لقوي توصعاً ، وتنقي في النفس بالعقيدة في الله ، وفي وحدة الأمة وتكفها . وهذا هدف إليه الإسلام حين حرر الوحدان الشرعي تحريراً مطلقاً كاملاً ؛ بعد ما كفى في انوفت ذاته حاجات الحسد ، وضرورات الحياة ، بحكم الأوصع وبحكم لقابون ، وبحكم الصميم سواء

• • •

نقد بدأ الإسلام بتحرير لوحدان الشرعي من عبادة أحد غير الله ، ومن المحصوع لأحد غير الله ، لا لأحد على غير الله من سلطان ؛ وما من أحد يعبته أو يحييه إلا الله ، وما من أحد يملك به صراً ولا بقاء ، وما من أحد يورقه من شيء في الأرض ولا في السماء ، وليس به وبين الله وسيط ولا شفيع ؛ والله وحده هو الذي يستطيع ، وبكل سواه عبيد ، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً

«لَقَدْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (١)

وإذا توحد الله توحدت عبادته ، واتمخ الجميع إليه فلا عبادة سواه ، ولا حاكمية

(١) سورة الإخلاص

لغيره ، كي لا يتحد الناس بعضهم بعضاً زبناً من دون الله ، ولا يكون لأحد منهم حصص على أحد إلا بعمله وتقواه .

«قُلْ إِنِّي أَنَا نَذِيرٌ لِّكُتَابٍ تَدْعُونَ إِلَى كَيْفٍ سِوَايَ بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» (١) .

ويحرص الإسلام على هذا المعنى حرصاً شديداً ، فتكفى عنه قرآن في مناسبات شتى . ولك كان لأسياء هم مطلة أن يتجه إليهم بناس شيء من العادة ، أو ما في معناه على وجه من الوجوه ، فقد عني للإسلام تحرير وجدل البشرية من هذه ناحية تحريراً كاملاً

يقول عن نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» «إِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ تَلَّيْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» (٢) .

ويحصد هذا السبي في صراحة قوية «لَنْ يَكُنَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» (٣) كما يحاطه في موضع آخر بما يشبه التهديد «وَبَلَا أَنْ تَشْكُنَا لَقَدْ كُنْتَ تَرْكُرُ بِتِهْمٍ شَيْئاً قَبِيلاً . دَنْ لَأَذْقَاكَ صَعْفَ الْحَبَاةِ رَصْعَفَ الْمَمَاتِ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً» (٤) .

ويأمره أن يجهر بحقيقته موقفه جهر «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا» «قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا وَلَا رَشَدًا» «قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، وَلَنْ أُحْدِثَ دُونَهُ مَلْجَأً» (٥) .

ويحدث عن أهلوا عيسى ابن مريم - فيصمهم بالكفر والسحف «لَقَدْ كَفَرَ الْكَذِبِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأَمَّهُ وَهِيَ فِي الْأَرْضِ حَمِصًا» (٦) .

ويقول عن مسيح في موضع آخر «إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» (٧) .

ويعرض مشهداً من مشاهد يوم القيامة يستجوب فيه عيسى ابن مريم عما رعمه بعض الناس عنه من ألوهية ، ويشت رعمه عيسى من هذا الرعم الذي لا يد له فيه ، في أسلوب

(٥) سورة النور [٢٠ - ٢٢]

(٦) سورة المائدة [١٧]

(٧) سورة الزخرف [٥٩]

(١) سورة آل عمران [٦٤]

(٢) سورة آل عمران [١٤٤]

(٣) سورة آل عمران [١٣٨]

(٤) سورة الإسراء [٧٤ - ٧٥]

قوي أحاد «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّبِعُونِي وَأَمْنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَالَ: سُبْحَانَكَ! مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ بِهِمْ، وَمَا تَوَيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ لَرَقِيبٍ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ قُلُوبُهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَعْفُ عَنْهُمْ فَانْتَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»

كما يعرض صورة من تأليه عبادة للعدد لا تتمثل في اعتقادهم بألوهيتهم، ولكن تتمثل في تلقي اشترائع منهم، وجعلهم بذلك أرباباً ولو لم يعتمدوا بألوهيتهم أو يقدموا هم شعائر عباده «اتَّخِذُوا حَتَّارَهُمْ وَرُفَّاهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمِمَّا أُمِرُوا إِلَّا يَتَخَبَتُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ»

وهكذا، يستمر القرآن في تأكيد هذه العقيدة وتثبيتها، وتوصيحها، لتصل إلى تحرير الوجدان الشرقي من كل شبهة شرك في ألوهية أو ربوبية، فذ تصعد هذا لوحداً، وتخصصه لمخلوق من عبادة الله، إن يكن نبياً أو رسولاً، فإنه عبد من عباده لا إله إلا الله، فإذ انتهى أن يكون عبد بعبادته أمير عبد الله من عبد بعبادته، انتصب بوسائط بين الله وعباده جميعاً، فلا كهانة ولا وساطة، بل يتصل كل فرد صلة مباشرة بحالقه، يتصل شخصه الضعيف العالي بقوة الأزل والأبد، يستمد منها القوة والبر والشفاعة ويشعر برحمة الله وعبادته وعظمته، فيشتد إيمانه وتقوى مصويته

والإسلام حريص كل الحرص على تقوية هذه الصفة، ويشعر الفرد أنه عندئذ لاستعانة تلك لقوة الكبرى آلاء البلى وأطراف النهار «اللَّهُ أَطِيفٌ بِعِبَادِهِ» (٣) «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي، وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَنَهُمُ يَرْسُدُونَ» (٤) «وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» (٥) «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» (٦)

(٤) سورة البقرة [١٨٦]

(٥) سورة يوسف [٨٧]

(٦) سورة الزمر [٥٣]

(١) سورة هائلة [١١٦-١١٨]

(٢) سورة التوبة [٣١]

(٣) سورة النور [١٩]

وقد شرع الإسلام خمس صلات . يصف فيها العبد كل يوم أمام ربه . ويتصل فيها مخلوق بحالقه ، في أوقات منظمة ، غير ما يعين له هو أن يقف أمام إلهه ، أو يتصل به في توحه ودعائه

وليس لعرص من لصلاة أو الدعاء ألفاظاً وحركات ، بل المقصد هو التوجه الكامل بالقلب والفكر والوجد في وقت واحد إلى الله ، تمثيلاً مع تصور الإسلام الكلي عن وحدة الإنسان في تكوينه ، ووحدة الخالق في ألوهيته «قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ»

• • •

فإذا تحرر الواحد من شعور عبادة والخصوع لعبد من عبد الله ، و متلاً بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله ، لم يتأثر شعور الخوف على الحياة أو الخوف على الرزق ، أو الخوف على المكانة . وهو شعور حيث بعض من إحساس لفرده نفسه ، وقد يدعو إلى قبول الدين ، وإلى التنازل عن كثير من كرامته ، وكثير من حقوقه ، ولكن الإسلام لشدة حرصه على أن يحقق للناس العزة والكرامة ، وأن يثبت في نفوسهم الاعتزاز بالحق ، والحفاظ على العبد ، وأن يصمم بذلك كله - علاوة على التشريع - عدالة اجتماعية مطلقة ، لا يعرط فيها إنسان ضد كماله يعني عبادة خاصة بأن يقوم الشعور بالخوف على الحبة وعلى الرزق وعلى المكانة . فالحياة بيد الله ، وليس لمخلوق قدرة على أن يقصر هذه الحياة ساعة أو بعض ساعة ، كذلك ليس له أن يحدثها حدثاً حقيقياً بضرر خفيف «وَمَا كَانَ يَنْفُسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، كِتَابًا مُؤَجَّلًا» (١) «قُلْ لَنْ يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلَانَا» (٢) «لِكُلِّ نَفْسٍ عَمَلٌ بِإِحْسَاءٍ أَحْنَاهُمْ فَلَا يَسْتَحْزِنُونَ» (٣) ساعة ولا يستعذبون» (٤)

وإذن فلا كان الخس والخساء ، والحياة والأصل ، ورفع والصر بيد الله دون سواه «قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَحَدٌ وَبِأَمْرِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ» (٥) «اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» (٦) «وَكَايُنَ مِنْ دَآئِهِ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَيَرْزُقُكُمْ» (٧) «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ

(١) سورة غافر [٤ - ٥]

(٢) سورة آل عمران [١٤٥]

(٣) سورة التوبة [٥١]

(٤) سورة يونس [٢٩]

(٥) سورة الأنعام [١٤]

(٦) سورة الرعد [٢٦]

(٧) سورة المائدة [٦٠]

مَرَّ الْمَيِّتَ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ؟ وَمَنْ يَدْرُ الْأَمْرَ ؟ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، (١) وَإِنْ يَشَاءُ
لَنُؤْتِيَنَّكَ آيَاتٍ فَتَذَكَّرَ أَفْهَمًا ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَهَلْ تَرْجُونَ أَنْ يَخْلُقَ كَمَا خَلَقَ الْأَوَّلَ ؟ (٢) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ، مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
يُضِلَّ سَبِيلَهُ ، وَإِنْ جِئْتُمْ عِيْلَةً فَمِنَ بَعْثِ اللَّهِ بَكْرًا (٣) وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا مَحْفُوظَةً

وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ أَنْ حَوِّفَ مِنْهُ فَقَدْ قَتَلَ ، وَإِنْ قَتَلَ نَفْسًا مَحْفُوظَةً ، وَبَصَدَهَا
عَنِ الثَّمَنِ فِي اللَّهِ ، وَعَنِ الثَّمَنِ فِي الْحَيْرِ ، وَالشَّيْطَانُ يُغْوِيكُمْ لِقَوْلِهِمْ وَيَا مَرْكُومًا بِالْقَحْشَاءِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ مِنْهُ وَفَصَلَّ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٤)

وَدِدَّ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُدَلَّ الْإِسْتِرْقَاقُ رِقَابَ الدَّاسِ ، فَإِذَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ، وَبِيدِ اللَّهِ وَحْدَهُ ،
وَمَنْ يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِهِ الصَّعْدَةَ أَنْ يَمْلُغَ رِزْقَ إِنْسَانٍ ، وَلَا أَنْ يَصِيقَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ شَيْئًا
وَهَذَا لَا يَنْهِي الْأَسْبَابَ وَالْعَمَلَ ، وَلَكِنَّهُ يَقْوِي لِمَلِكٍ وَيُشْجِعُ الصَّامِرَ ، وَيَجْعَلُ الْغَنِيَّ
الْمُسْتَرْقَ يُوَاجِهَ مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَبْدِيَ رِزْقَهُ بِكُلِّ قُوَّةٍ وَبِكُلِّ شَجَاعَةٍ ، فَلَا يَقْعُدُهُ شَعُورُ خَوْفٍ
عَنِ الْمَطَالِبَةِ بِحَقِّهِ ، وَعَنِ الْأَعْتَرَاةِ بِنَفْسِهِ ، وَبِدَعْوِهِ إِنْ تَرَكَ بَعْضُ أُخْرَاهُ ، أَوْ بَعْضُ دِينِهِ أَوْ
بَعْضُ عِزِّهِ احْتِصَاطًا بِرِزْقِهِ ، وَعَلَى هَذَا الْحَوِّجِ بَحْتٌ بِنَفْسِهِ تَوْجِيهِ الْقُرْآنِ وَتَحَاةَ الْإِسْلَامِ ،
فَهَذَا هُوَ الْفَهْمُ الْحَقُّ الَّذِي يَتَمَشَّى مَعَ سَبْحَةِ الْعَامِ فِي التَّوَجِيهِ وَالتَّشْرِيعِ

وَالْحَوِّفَ عَلَى الْمَرْكَرِ وَالْمَكَانَةِ قَدْ يَكُونُ عَدْلًا لِلْحَوِّفِ مِنَ الْمَوْتِ وَالْأَدَى ، وَالْحَوِّفَ
مِنَ الْفَقْرِ وَالْعِلَّةِ ، وَالْإِسْلَامَ يَحْرُسُ عَنْ أَنْ تَحْرُرَ الْفَرَادُ مِنْ هَذَا لِحَوِّفٍ أُنْصَأَ ، فَتَنْ يَمْلِكُ
مَخْلُوقٌ لِحَقِّقٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا

«قُلْ أَلَيْسَ لَكُمْ مَالِكُ الْمَلِكِ ، تُوَفِّي لِمَلِكٍ مَرَّ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُغْنِي
مَنْ تَشَاءُ ، وَتُبْدِلُ مَنْ تَشَاءُ ، بَيْنَكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (٥) «قُلْ مَنْ
بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ كُلُّ
شَيْءٍ مُسْحُورٌ » (٦) «إِنْ يَتَصَرَّكُمْ اللَّهُ فَلَا عَالِيَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَحَسْبُ دَنِّي بِتَصَرُّكُمْ

(٥) سورة العنكبوت [٢٦٨]
(٦) سورة آل عمران [٢٤٦]
(٧) سورة الزمور [٨٨-٨٩]

(١) سورة هود - [٣١٦]
(٢) سورة طه [٢٣]
(٣) سورة الأنعام [١٥١]
(٤) سورة التوبة [٢٨]

مِنْ تَعْدِهِ ٢٠ «مَنْ كَانَ يُرِيدُ غَيْرَ اللَّهِ لَغَيْرَةٍ جَمِيعًا» (١) «وَلِلَّهِ الْغَنَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ» (٢).

وإذن فلا خوف من هذه الدحية بَصًا ، فإن القدرة لله وحده ، وإن لغرة لله جميعاً
«وَمَوْ الْقَاهِرُ تَوَكُّ عَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» (٣)

* * *

ولكن النفس البشرية قد تتحرر من عبودية القداسة ، ومن عبودية الخوف على الحياة
أو لرزق أو مكانة ؛ ثم تتأثر بعبودية القيم الاجتماعية قيم المال والجاه والحسب واللبس ،
ولو لم يلبها منها شيء ولا صر . هذا يستشعر الواحد عبودية معوية لأية قيمة من هذه القيم ،
فليس يملك حريته كاملة إرادتها ، وليس يشعر بالمساواة الحقيقة مع أصحابها وهما يتصدى للإسلام
لهذه القيم جميعاً . فيضعها في موضعها الحقيقي بلا إعمال ولا معالاة ؛ ويرد بقيم الحقيقية
إلى اعتبارات معوية دنيئة ، كمنه في نفس الفرد ، أو واضحة في عمله ، ولذلك يصعب
تأثير تلك القيم المادية ، وتضؤل آثارها النفسية ، فيكون هذا - بحسب ما يكمنه الإسلام
من صفات معيشية وقانونية - وسيلة لتحرير الواحد في الكمال .

«إِنْ كَرَّمَكُمُ عَبْدُ اللَّهِ أَنْفُسَكُمْ» (٤) والكريم عبد الله هو الكريم حقاً وصدقاً .
«وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ . قُلْ : إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ يَمَسُّ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالْأَيْمَنِ تُفَرِّقُكُمْ
عَيْنَانَا زُلْفَى ، إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَأُولَئِكَ نَهْمُ خَرَاءٍ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا ، وَهُمْ فِي
الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ» (٥)

فيكونوا أكثر أموالاً وأكثر أولاداً ، فما لهذا من قيمة تجعلهم ميرة أو استعلاء ،
«إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا» فلا بد ، وهو قيمة مكونة في بصير ، ولعمل الصالح
وهو قيمة نادرة في الحياة ، هما القيمتان الحقيقيتان لتأنيهما كل الاعتدال
والإسلام لا يعرض مع هذا من قيمة ، بل ولا من قيمة الأسماء «الْعَمَلُ وَالسُّنَنُ رِبِيَّةٌ

(٤) سورة الأنعام [١٨]
(٥) سورة الحجرات [١٣]
(٦) سورة سبأ [٢٥ - ٢٧]

(١) سورة آل عمران [١٦٠]
(٢) سورة فاطر [١١]
(٣) سورة المنافقون [٨]

الْحَيِّةُ لَدَيَّ ۖ رِيَّةٌ وَلَكُمَا لَبَاسٌ قَمِيصٌ مِّنْ قَمِيصِي أَنِّي تَرَفَعُ وَيَخْفَى ۖ وَأَلْبَاسَاتٌ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٌ وَخَيْرٌ أَعْلَى ۝ (١)

ويعصر الثمران للقيم الدنية والقيم المعوية مثلاً في نفسي رجلين . لا مدح عالياً لشك في إظهار أحدهما على الأخرى في الوقت الذي يرسم صورة واضحة قوية لنفس المؤمنة ، وحقيقته نعم فيها

«وَأَصْرَبْتُ نَفْسِي مِثْلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْتُ لِأَحَدِهِمَا حَتَّيْنِ مِنْ أَعْتَابٍ ، وَحَقَّقْتُ لَهُمَا سَجَلِي . وَجَعَلْتُ بَيْنَهُمَا رَزْعًا ۖ كِلَيْتَا الْحَبِيبِ آمَنَ أَكْثَرُهَا . وَلَمْ يَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئٌ ، وَفَحَرَنَ جِلْدُهُمَا سِرًّا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ۖ أَلْ أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۖ وَدَخَلَ حِثَّهُ - وَهُوَ ظَلِيمٌ بِنَفْسِهِ - قَانٍ ۖ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أُنْدُ ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ فَائِئَةً ، وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَسًا ۖ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ۖ أَكَفَرْتُ بِنَبِيِّ حَقِّكَ مِنْ تَرْسٍ ، ثُمَّ مِنْ نُّطْقَةٍ ، ثُمَّ سَوْدٌ رَحَلًا ؟ لَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ دَيُّ ، وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۖ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ حَنَّتْ حَنَّتْ قُلْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلٌ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ، فَنَسَىٰ رَبِّي أَن يَأْتِيَنِي خَيْرٌ مِنْ حَنَّتِ ، وَيُرْسِلَ عَلَيَّ حُسَامًا مِنْ أَسْمَاءٍ مُّتَضَاعٍ صَعِيدٍ رَلَقًا ۖ أَوْ يُصْخِرَ مَأْوَاهُ غَوْرًا ، فَنَسْتَطِيعَ لَهُ طَنًا ۖ وَأُحْيِي شَمْرَهُ ، فَأَصْخِرَ يَطْلُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَتَقَىٰ فِيهَا - وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا - وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۖ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ (٢)»

وهكذا يبرز اعتراف المؤمن بإيمانه ، واسهباته تلك القيم التي عثر بها صاحبه وهو يحاوره . وفي بفت النظر أن صاحبه هذا الاعتراف بحته لم يظهر الشرك بالله ولكن الثمران عده مشركاً ، وحمه يعترف بشراكه في النهاية . ذلك أنه أشرك قيمة دنية صرعه ، وحمل لها هذا الاعتبار في وحدانه . والمؤمن الحق لا يشرك بالله شيئاً

وفي قصة «قارون» يعرض صورتين نفسيين يراء فتنة المال والثراء صورة نفوس تردها هذه القيم فتضعف وتتضاءل ، وتحس بالنصر أمام الأغنياء ، وصورة نفوس مؤمنة تعثر وتقوى ولا تصعر أو تضعف أبداً . «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَرْسِي فَنَقَىٰ عَنْهُمْ ،

(١) سورة كهف [٤٦]

(٢) سورة كهف [٣٢-٤٣]

وَاتَّيَاهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا رَدَّ مَفَاتِحَهُ لَتَشُوهُ بِالْعَصْبَةِ وَلِي الْقُوَّةُ ، إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ،
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ، وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ لَدَارَ الْآخِرَةِ وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ،
 وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ
 قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ
 مِنْهُ قُوَّةً وَكَثَرَتْ جَمْعًا ؟ وَلَا نَسْأَلُ عَنْ دُونِهِمْ الْمُتَحَرِّمُونَ مَحْرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي رَبِّبِهِ
 قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا كُنَّا نَمُوتُ قَبْلَ هَؤُلَاءِ فَأَرْوَاهُ فَارُودُ إِنَّهُ يَدُو حَظٍّ عَظِيمٍ
 وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَنْتَهُمُ ! ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَلَا يُلْقَاهُ إِلَّا
 لَصَابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدْرِهِ الْأَرْضَ ، فَمَا كُنْ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَصُورُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ، وَأَصْبَحَ الَّذِينَ نَمُوا بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْ ! كَأَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرَّزْقَ
 لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَعَذِّبُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْ ! كَأَنَّهُ لَا يُفْخِحُ الْكَافِرُونَ (١)
 ويرتب الإسلام على نظرك هذه نتائجها ، فيهي الله بيه - صلى الله عليه وسلم - أن
 يعطي قيمة له يتمتع به بعضهم من متاع حلال ، فإنما هو فتنة واختبار وانتهاء
 «وَلَا تَحْسَبُ أَنَّ الدِّينَ إِذَا مَا مَتَّعْنَا بِهِ رُوحًا مِنْهُمْ رَهْمَةً الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتِنَهُمْ فِيهِ ، وَرَرُّ
 رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَنَّى » (٢)

وبهمم بعضهم أن هذه الآية وبظايرها إنما ندعو إلى ترك الأعياء يعتنون كما يشاءون ،
 ورضي بفقراء بحرمانهم حقوقهم التي يكملها الإسلام لهم وهو حاشي لا يلتفت إلى
 التصور الإسلامي العام وهو تفسير لمخترين من «رجال الدين» في عصور الاستبداد
 تنويم الشعور العام ، وكفه عن المطالبة بالعدالة الاجتماعية وعليهم ورهم ، والإسلام
 من ناويلهم بريء ، فإن جاءت هذه الآية وأمثالها لرد عسر العيم لإسافية ، ولإنقاذ
 أئس الفقراء من يلحقها من ضعف أو بكسار أمام تقم للمادية السخنة من مان ومتاع .
 ومما يؤيد اتجاهنا هذا أمر الله سبحانه له صلى الله عليه وسلم بالآية بغير ورنا
 هذه القيم ، وألا يرتب اعتبارات الدين عليها

«وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيسُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ
 عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ، تُرِيدُ رِيشَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تُصْعَقْ مِنْ أَغْلَقِ قَبْهِ عَنْ دِكْرِنَا . وَاصْبِرْ هُوَ

(١) سورة النضر [٧٦ - ٨٢]

(٢) سورة طه [١٣١]

وَكُنْ أَمْرَهُ قُرْطًا^(١) . « فَلَا تُعَذِّبْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ ، إِنَّكَ بِرَيْدِ اللَّهِ لِجُوعِهِمْ هَا فِي أَحْيَاءِ الدُّنْيَا ، وَتَرْهَقُ نَفْسُهُمْ وَهُمْ كَايِرُونَ »^(٢)

وفي هذا المحاج تعرض قصة النبي صلى الله عليه وسلم - مع برحق الأعمى لمقبر « ابن أم مكتوم » ومع « تولد من العيرة » سيد قومه تلك القصة التي عتب الله فيها على نبيه عتبا شديدا

« عَسَّ وَتَوَلَّى ، إِنَّ حَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُزِيرُكَ لَعَنُهُ يَرْكُنِي ، « وَ يَسْكُرُ تَشْمَعُ أَنْذَرِي ، أَمَّا مِنْ أَمْتَعَنِي ، فَأَنْتَ بِنُصْدَى وَمَا عَلَيَّ إِلَّا يَرْكُنِي ؟ وَأَمَّا مَنْ حَاءَتْ يَسْعَى ، وَهُوَ يَخْشَى . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ! كَلَّا ! يَهَا نَذْرُهُ ، هَمَّ شَاءَ ذَكَرُهُ »^(٣)

نقد كانت لحظة حرص بشري ساورت محمداً - صلى الله عليه وسلم - طمعاً في أن يهدي الله توليد إلى الإسلام ، وكان بأمره مشغولاً حينما حاءه ابن أم مكتوم بطلب شيئاً من نقرآن . ويدعو مرة ومرة ، وهو أمر الوليد مشغول ، فتصديق منه لني - صلى الله عليه وسلم - رعى في وجهه ، فعدسه ربه هذا لعتاب الشديد ، الذي كاد يسع حد التأنيب ، نصحيحاً للقيم التي يعبر بها الإسلام ، وبحقيقاً منهجه الصحيح ، وانحاده القوم ، في تحرير الوجدان

• • •

وأخيراً فقد تتحرر انفس لشبهة من عبودية افقاسة ، ومن خوف الموت والأذى والفقر والخوان ، ومن كل الاعتبارات الخارجية والقيم الاجتماعية ، ثم تفتى مستندة لدها ، مستدلة لذاتها وشهواتها ، مستندة لمطامعها وأهوائها ، فيأتي لها القيد من داخل حين تنفلت منه من حارج ، فلا سلح التحرر الواحداني الكامل بلدي بربله الإسلام ها ، بتحقيق لها العدالة الاجتماعية الإنسانية الكبرى

والإسلام لا يعمل هذا لخطر لك من على التحرر لوحدي ، فيبقى إليه النجاة عميقة ، تشهد بعنايته مدخائل لنفس البشرية وأعوارها ، وبدل على رعيته بكل استعداداتها وملابسها ، ويتم عما تظن به للمسيحية وتحمده عانة عابثها

« قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ، وَرُوحُكُمْ ، وَعَشِيرَتُكُمْ ، وَتَوَلَّى

(١) سورة كهف [٢٨]

(٢) سورة لقمان [٥٥]

(٣) سورة عس [١٦]

قَتَرْتُمُوهَ ، وَتَجَارَةً تَخْسُونَ كَسَادَهَا . وَمَتَّكَيْ تَرْضَوْنَهَا . أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ أَقْدَرِ رَسُولِهِ ، وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ . فَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ . وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ^(١)

وهكذا يجمع في آية واحدة جميع سائر المطامع والرجاء ونقط الضعف في نفس الإنسان ، ليضعها في كفة ، ويضع في لكفة الأخرى حب الله ورسوله ، وحب الجهاد في سبيله ، لتكون تصحيحية كدالة . والتحليص من أوهام الشهوات كاملاً فالنفس التي تتحرر من هذا كله هي النفس التي يتطلبها الإسلام ، ويدعو إلى تكوينها لتستعمل على بصيرة مسئلة ، وتمت قيادة أمرها . وتسرع إلى ما هو أكبر وأبعد مدى من الرغبات الوقتية لصغيرة

أو يعرفون الرُّيِّين يَدَّسُ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ سُوءِ وَأَلْسِنٍ ، وَأَلْقَاطِ الْمَقْتَضَةِ مِنْ أَلْهَبٍ وَلَهْصَةٍ ، وَالْحِيلِ الْمُسَوِّمَةِ ، وَالْأَنَامِ . وَلَحَرِثَ ذِيكَ مَتَاعُ نَجْبَةِ الدُّنْيَا . وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ . قُلْ أَوْسَتْكُمْ نَجِيرٌ مِنْ دِينِكُمْ ؟ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ حَسَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، خَالِدِينَ فِيهَا . وَأَرْوَحُ مَطْهُرَةٌ وِرْضَاؤُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ نَصِيرٌ بِالْعِبَادَةِ ^(٢)

وما كان هذا تحديراً ولا دعوة إلى الزهد وترك طمعات الحياة كما يحلو لبعضهم أو نصر القرآن ، أو كما يحلو لبعضهم أن يتهم للإسلام ، بما كان دعوة لتحرير والاطلاق من ضعف الشهوات والغرائر . ثم لا صبر بعد ذلك من الاستمتاع بالحياة حين يمكنها الإنسان ولا تملكه . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ ^(٣) « وَلَا تَنْسَ نَجْسَ بَصِيصَتِ الدُّنْيَا »

وفي هذا الاتجاه نفسه كانت فريضة الصوم ترتفع النفس على ضرورات الفطرة الفوقية فترة من الوقت ، فتؤيها بإرادتها وتستعني ويسموها للإنسان على ذاته حين يرتفع على ضروراته .

ويسلك القرآن في هذه العاية حتى السبل . ومن بينها التحذير الإيحائي من ممتنة لأموال والأولاد حين يقول « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » . وذلك يشير عاملاً الحذر من الاندفاع وراء ضعف البشري ببراء الأموال والأولاد فكثيراً ما يؤتي المرء من ناحية حرصه

(٤) سورة القصص [٧٧]

(٥) سورة التغابن [٦٥]

(١) سورة التوبة [٢٤]

(٢) سورة آل عمران [١٥٦]

(٣) سورة الأعراف [٣٢]

على ما به أو به . فيقول ما لم يكن ليس ، ويصح لما لم يكن ليصحح ، ويرتكب ما لم يكن ليرتكب . وقد حرح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم وهو محتضن أحد أبيه بنته فاصمة - رضي الله عنها - وهو يقول : **«يُكْمُ لَتُبَحِّرُونَ وَتُبْهَرُونَ وَتُجْهَلُونَ»**

وبعد ، فقد يتحرر امرء من كل ما يعص شعورياً من كرامته . ولكنه يحتاج بحذق إلى النعمة فيس . فليس أشد من الحاجة إدلالاً ، والطمع الحائمه لا تعرف انساني مادية . وقد يضطر للاستجداء فدهب كرامته كدها صاعاً . هنا يتولى الإسلام الأمر بالتشريع لمنع أسباب الحاجة ، ولإدائها حين توحيد . يجعل للمرد حقه في الكفاية مفروضاً على الدولة وعلى القادرين في الأمة ، فرصاً بعاقب عنه في الآخرة ونقائص عليه في الدنيا (وسأتي تفصيل ذلك عند الكلام على التنكف من الاجتماعي في الإسلام) ثم يهي عن الاستجداء فيصف جماعة من المسلمين بـ **«مذبلين أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً فِي الْأَرْضِ»** . وصف ستحيات بهم **«لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِعْجافاً»** ^(١) والهي صلى الله عليه وسلم يعطي سائلاً درهماً ثم يقول **«لأن يأخذ أحدكم حمله بيأتى محرمه حطب عن ظهره»** . فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ، خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه ^(٢) ويقول **«إسد العسا خير من اليه السمل»** ^(٣) . يحرص على الاستعاء بوسائل أخرى غير وسيلة الاستجداء التي يرها الإسلام ضرورة مكروهة . أما أموال الزكاة فهي حق حق يؤخذ ، لا فصل يعطى **«وفي أموالهم حقٌ للسائل والمحروم»** ^(٤) . حق تأخذه الدولة لتمسكه لأصحابه ، وتنفق منه في مصالح المسلمين كما يدفع حاجة الجسد ، ويحفظ كرامة النفس ، ويصون عزة الوجدان . **«إن لم يكف شرعت من الفرائض ولو دئف في أموال القادرين والأعياء بقدر ما يسد حاجه الصعاء والمفقاء»** (وسأتي بيان هذا في فصل مياسة المدن)

• • •

وكذلك يأخذ الإسلام لأمر من وجوه كلها ، ومن صاحبه جميعاً ، فيكفل التحرر الوحداني تحرراً مطلقاً ، لا يقوم على المعويات وحده ، ولا على الافتصديات وحده ، ولكن يقوم عبيها جميعاً . يعرف لهجة رقعها ، وللمس طاقتها ، ويستثير في الطبيعة لشربة عاية أشواقها وأعنى طاقتها ، وفع بها إلى التحرر الوجداني كاملاً صريحاً .

(١) الترمذي

(٤) الشيخان

(٢) سورة البقرة [٢٢٣]

(٥) سورة الداريات [١٩٩]

(٣) الشيخان واللفظ البخاري

التحرر الكامل لن تقوى على عوامل الضعف والخصوع والموودية ، ولن تتطلب نصيبها من العدالة الاجتماعية ، ولن تصير على تكاليف عدالة حين تعطاها
وهذا التحرر هو أحد الأسس الركيزة لبناء العدالة الاجتماعية في الإسلام . من هو
الركن الأول الذي تقوم عليه الأركان

المساواة الإنسانية

إذا استشعر الضمير كل هذا تحرر الوجداني ، فحصر من كل ظن للموودية . لا الله .
وأمن الموت والأذى والعقر والدن لا يبدل الله ، وبعت من ضعف القيم الاجتماعية والمالية ،
ونحنا من دن الحاجة والمسألة ، وتسامى على شهواته ومضاميه ، وتوجه إلى الحائق الواحد
الأحد الذي يتوجه له جميع بلا استثناء ولا استعلاء ، ووجد بعد ذلك كله كهيته من
ضرورات الحياة مكفولة به بحكم التشريع والنظام

إذا استشعر الضمير البشري هذا كله ووجد من الضمانات الواقعة والقانونية ما يؤكد
في نفسه هذا الشعور ، فلن يكون في حاجة لمن يهتم به بالمساواة لفظاً وقد استشعرها في
أعمقها معنى ، ووجد لها في حياته وقماً ، بل لن يصير على التصورات لقائمه على تلك القيم
إطلاقاً سيطلب حقه في المساواة ، وسيجاهد لتقرير هذا الحق ، وسيحتمط به حين يبدى ،
ولن يقبل منه بدلاً ، وسيصير على تكاليف الاحتفاظ به ، والزيادة عنه ، مهما بدى في
ذلك من جهد وتصحية

ولن يكون الفقير والضعيف وحدهما الحر يصير على مبدأ المساواة النابع من الضمير ،
المصون بالتشريع ، المكفول بالاكتماء وحرية النشاط والارتقاء ، بل إن العبي والفقير
سرلان عدده بحكم استشعار ضميرهما تلك المعاني ، التي حرص الإسلام على تقريرها
وثبتها فيما أسلف . وذلك ، وقع بالفعل في مجتمع الإسلامي قبل أربعة عشر قرناً .
فما سيأتي في موضعه في هذا الكتاب .

ولكن الإسلام مع ذلك لم يكتف بمفاهيم الضمنية استفادة من التحرر الوجداني ،
فقرر مبدأ المساواة باللفظ والنص ، ليكون كل شيء واضحاً مصرراً مطبوعاً وفي الوقت
الذي كان بعضهم يدعي ويصدق أنه من سل الآلهة . وبعضهم يدعي ويصدق أن الدماء
التي تجري في عروقه ليست من نوع دماء العامة ، إنما هو الدم الأرق الملوكي لسبل ! وفي
الوقت الذي كانت بعض الملل والنحل تهرق الشعوب إلى طبقات خلق بعضها من رأس
الإله فهي مقدسة ، وخلق بعضها من قدميه فهي مبيدة ! وفي الوقت الذي كان الخذل
ينور حول المرأة أنه ذات روح أم لا روح لها ! وفي الوقت الذي كان ساح فيه بالسيد
أن يقتل عبيده ويعدسهم ، لأهم من نوع آخر عبر نوع السادة

في هذا الوقت جاء لإسلام ليقرر وحدة الحسن الشرعي في المنشأ والمصير ، في الحيا
والممات ، في الحقوق والواجبات ، أمام القانون وأمام الله ، في الدنيا وفي الآخرة ، لا فصل
إلا للعمل الصالح ، ولا كرامة إلا للأنقى .

لقد كانت وثنة الإنسانية لم يعرف التاريخ لها نظير ، ولا تراث إلى هذه اللحظة قمة
لم يرتفع إليها البشر أبداً بل لقد كانت نشأة أخرى للشرية بولد فيها «الإنسان» لأسمى
الأمر لسي تراجعت عنه الشرية ، ولم تلح إليه أبداً إلا في ظل هذا المهبج الرباني

كلا لم ينسل الإله أحداً «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» . «وَقَالُوا سُبْحَانَ الرَّحْمَانِ وَلَدًا نَقَدْ حَتَمَ شَيْئًا إِذَا ، تُكَادُ السَّمَاوَاتُ
بِعِطْرِهِ مِينٌ ، وَتَشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتُخْرِجُ الْجِبَالُ تَبَايُهَا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا لِي الرَّحْمَانِ عَبْدٌ لَقَدْ
أَخْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكَلَّمَهُمْ آتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْدًا» (١) .

ثم كلا ١ ليس ههنا من دم أروق ، ودم عادي ، وما خلق أحد من رأس وحق
أحر من قدم «لَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَحَلَلْتَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا
فَعِمْ الْقَادِرُونَ ؟» (٢) «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَاقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ
الْعِظْمِ وَالْزَّرَائِبِ» (٣) «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ رُوحًا .
وَمَا تُحْسِنُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا تَصْعُقُ إِلَّا مَعْلَمُهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصْ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي
كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (٤) «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ حَبٍّ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ
نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا نُطْفَةً عُلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلْقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ،
فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» (٥)

ويعصي القرآن يكرر هذا المعنى في مواضع كثيرة ، ليقر في جلد «الإنسان» وحدة
أصله ونشأته الحسن كله من تراث ، والهرد - كل فرد - من ماء مهين ، ويكرر النبي
صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في أحاديثه «أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب» (٦) كيما يريد
استقراراً في المشاعر والأخلاق

(٤) سورة فاطر [١١]

(٥) سورة المؤمن [١٢ - ١٤]

(٦) مسم وأبو داود

(١) سورة مريم [٨٨ - ٩٥]

(٢) سورة المرسلات [٢٠ - ٢٣]

(٣) سورة الطارق [٥ - ٧]

فإذا شئى أن يكون فرد أعصى طبيعته من فرد فليس هناك من حسن وليس هـ لك من شعب ، هو نشأته وعصره أفضل كذا لا يرب بعض لأجناس إلى هذه اللحظة يتشقق - كلا ^(١) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وثث منها رحلاً كثيراً ونساءً ^(٢) فهي نفس واحدة وزوجها مه ، ومهما سث الرحا والساء مهم من أصل واحد ، وهم إخوة في النسب ، وهم متساوون في الأصل ونشأة ^(٣) يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل يتعارفوا ^(٤) إن أكرمكم عند الله أتقاكم ^(٥) فليست هذه شعوب والقبائل لتتفاخر أو تتذكر ، بل للتعارف وتتآلف وتكفي عبد الله سوء ، لا يتفاضل إلا بالتقوى وست مسأله أخرى لا علاقه هـ بالأصل ونشأة ، ذلك أن ليس بينهم سواء لا فصل لأحد على أحد إلا بالتقوى وأول التقوى للإسلام لله وحده وإلا علا تقوى ولا صلاح أصلاً

ونقد يرى الإسلام من العصبية القسبية والعصبية إلى جانب برأته من عصبية النسب والأسرة جميع بذلك مستوى لم تصل إليه «لحصارة» العربية إلى يومنا هـ الحصارة التي سيج للصمبر الأمريكي إهلاء عصر لهود الأحمر إهلاء مطم تحت سمع الدول ونصر هـ ، كما تسبح له تلك التفرقة لكدة بين مصر والسود ، وتذك لوحشة الشعة والتي تسبح لحكومة جنوب إفريقيا أن تجهر بانفوايين العصرية ضد الملويين - وتيج بحكومات روسيا والصين واهد والحشة وبوغوسلافيا وغيرها إهلاء المسلمين بالحمة !

* * *

ويتعصب الإسلام مطان لشعوب والتفاضل - إلا بالتقوى وعمل لصانع - في كل صورها وملاستها وأساليب ، لبقصي عليه حمماً فهذا النبي محمد ، ما يفتا لقرآن يذكر الناس أنه بشر كسائر البشر وما يفتا محمد ذاته بكرر هذا المعنى ، أن كان سيب محبوب من قومه مبعلاً ، فحيف أن يقب ذلك الحب وهـ لتجبل إلى تأليه أو قسسية لا تكون إلا لله بها هو ذا يقون لقرمه «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله» ^(٦) ويقون وقد حرج على جماعة فوقوا به تعجلاً من سره أن يتمثل له أرجال قياماً فلبثوا مقعده من البار ^(٧)

ولما كان أهل محمد مصنة أن يقدسوا سبهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أنه لا يمدك

(٣) البخاري
(٤) أبو داود والترمذي

(١) سورة النساء [١] .
(٢) سورة الحجرات [١٣]

لهم من الله شيئاً ، فإيا معشر قريش لا أعني عنكم من الله شيئاً ، بـ يعني عبد مناف لا أعني عنكم من الله شيئاً ، فإيا عنس بن عبد المطلب لا أعني عنك من الله شيئاً ، وبـ صهيبة عممة رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً ... » (١)

وحين أصابت محمداً الإنسان لحظة حرص بشري ، فاصرف عن لرحل الفقير اس أم مكتوم إلى الويد بن الحيرة سد قومه ، عاحله العتاب الشديد ندي شبه التائب ، ليرد للمساواة المصافة معايير الكرامة

وحين كان بعض ذوي ثراء والأنساب يألف أن يروح أو يتروح من الفقراء والعقيرات جاء أمر الله «وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمُ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِيهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ » (٢)

» » »

فأما بين الحسين فقد كفل للمرأة مساواة تامة مع رجل من حيث الجنس والحقوق الإنسانيه ، ولم يقرر التفاضل إلا في بعض الملائم لمصلحة الاستعداد أو لثروته أو التبعية ، مما لا يؤثر على حقيقة الوضع الإنساني لحسين ، فحينئذ تساوى الاستعداد والسريرة والتبعة تساوى ، وحينئذ خلت شئ من ذلك كان التصويت بحسبه

فهي السحبة نديبه والروحية يتساويان «ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها» (٣) «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنجينه حياه طيبة ولنخرينهم ما أحسن ما كانوا يعملون» (٤) «ستحبات هم زهم أي لا أصعب عمل عمل منكم من ذكر أو أنثى ، نعصكم من نعص» (٥)

وفي ناحية الأهليه للملك وتصرف الانتصادي يتساويان «للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون» (٦) «للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن» (٧)

(١) سورة آل عمران [١٩٥]
(٢) سورة النساء [٣٢]
(٣) سورة النساء [١٢٤]
(٤) سورة نحل [٩٧]

فأما يثار لرحل مصعب نصيب المرأة في الميراث ، فمرددة إلى التبعة التي يصططلع بها
الرحل في الحياة ، فهو يتروح امرأة يكلف عائلتها ، ورعاية أسرتها ، وساء لأسره كله
هو مكلف به وعليه وحده تعة الديات والمعبصات . فمن حقه أن يكون له مثل حظ الأنثيين
لهذا السبب وحده . بينما هي مكفولة الرق إذا تزوجت ، كما يعوف الرجل ، ومكفولة الرق
إن عست أو تزلت ، كما ورثت من ماله ، أو كعالة قهرتها من الرجل . فالمسألة هنا مسألة
تفاوت في التبعة اقتضي تفاوتاً في الإرث .

وَأَمَّا أَنْ الرَّحْلَ قَوَامٌ عَلَيْهَا ۖ وَالرَّجَالَ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ
وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ (١) فوجه التفضيل هو الاستعداد والدرية والبرائة فيما يخص
بالقوام فالرجل بحكم تخلصه من تكاليف الأمومة يواحه أمور المجتمع فترة أطول ،
ويتبناه بقواه الفكرية جميعاً ، بها تحتجر هذه لتكاليف المرأة معظم أيامها ، فوق أن
تكاليف الأمومة تنمي في المرأة حسب العواطف والانعطالات ، بقدر ما يسمو في الرجل
حسب التأمل والتفكير ، فإذا جمعت له القوامة على امرأة فبحكم الاستعداد والدرية هذه
الوسطية ، فوق أنه المكلف بالإعطاء ، ولساحته لمالية صلبة قوية بالقوامة ، فهو حق مقابل
بكتيف ، تنهي في حقيقته بالمساواة بين الحقوق والتكاليف في محيط الحسنيين ومحيط الحياة .
فأما حين يرد الأمر إلى الدائرة الإنسانية المجردة من ملائسات الرضايف العممية ،
فبالمرأة من حق الرعاية أكثر مما للرجل ، وهو الحق الذي يقابل حق القوامة جاء رجل
إلى نبي صلى الله عليه وسلم فقال ۖ يا رسول الله ، من أحق بحس صحابي ؟ قال
أُمُّهُ قال ثم من ؟ قال أُمُّهُ قال ثم من ؟ قال أُمُّكَ قال ثم من ؟ قال
أُمُّكَ ۚ (٢)

ولقد يبدو أن هناك تفصيلاً آخر في مسألة الشهادة أو استشهاده شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين واثنتين من نصوص من الشهداء ، فإن فصل أحدهما فقد ذكر أحدهما الآخر (٣) وفي الآية نفسها بين لغة - امرأة بطبيعة وظائف الأمومة يسمو في نفسها حبيب العواطف والانعالات بقدر ما يسمو في الرجل جانب الثمن والتفكير كما أسلفنا فإذا سميت وجرها فعال ، كانت الثانية مذكورة لها فاسألها هنا مسألة ملاسة عمية في الحياة ، لا مسألة إثارة جنس لذاته على حسن وعدم مساواة

(١) سورة لسان = [٣٤]

(٤) الشبهان

(٣) سورة البقرة [٢:٢٨٢]

وحسب الإسلام ما كهن للمرأة من مساواة دينية ومن مساواة في التملك وكتسب ، وما حققه من صباهات في الرواح بإدائها ورصاها ، دون إكراه ولا إهمال « لا تنكح البتة حتى تستأمر ولا تنكح لغير حتى تستأذن وإدائها الصموم »^(١) وفي مهرها « فأتوهن أجورهن مريضاً »^(٢) وفي مدح حقوقها الروحية ، روحه أو مطلقة « فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن حينئذ منكر ليعتدوا »^(٣) « وعاشروهن بالمعروف »^(٤)

ويجب أن نذكر أن الإسلام ضمن للمرأة هذه الحقوق ، وهو ما كان هذه الصواب روح تكريمية خالصة ، ليست مشوبة بضعد الاقتصاديات والماديات فقد حارب فكرة أن المرأة عالة بحس التحلص منها وهي وببذرة ، محارب عادة الرأى التي كانت معروفة في حياة بعض القبائل العربية حرباً لا هودة فيها ، وعالج هذه العادة بنفس لروح لتكريمية الخالصة التي ينظر بها إلى البشر ، فهي تهيئ تحريم عن القتل عامة م يستثنى « ولا تقتلوا أنفسكم لئلي حرم الله إلا بالحق »^(٥) وهي ناشخصيص عن قتل الأولاد - وما كان يقتل من الأولاد سوى الإباث « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم »^(٦) وقدم رزق الأولاد في هذه الآية لأهم من الخشية من الإملاق ، ليسلاً صدور الآباء ثقة برزق الله وكهنته للأولاد قبل الآباء ثم استجاش وجد ن العذب والرحمة وهو يقول عن يوم القيامة « وإذا المؤمنوؤدة سُئِلَتْ : بِأَيِّ دَسٍ قُتِلَتْ ؟ »^(٧) . فحفل هذا موضع سؤال

استنكارى بارر ظاهر في ذلك اليوم الرهيب

عالإسلام إذن حين منح المرأة حقوقها الروحية والمادية كان ينظر إلى صفتها الإنسانية ، وبسر مع نظره إلى وحدة الإنسان « خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها لتسكن بآب »^(٨) . وكان يريد دفعها إلى حيث يجب أن يكون شطر « النفس » الواحدة

ويجب أن نذكر هذا للإسلام ، أن نذكر تحننه أن يحريه التي منحها العرب أمادي للمرأة لم نقص من هذا اسع الكريم ولم يكن دوافعها هي دوافع الإسلام البرينة ويحس ألا سى التاريخ ، وألا نفس بالقشور بخادعة التي تعاصر اليوم يحس

(٥) سورة الأنعام [١٥١]

(٦) سورة النساء [٣١]

(٧) سورة التكويد [٨ - ٩]

(٨) سورة الأعراف [١٨٩]

(١) الشيعان

(٢) سورة النساء [٢٤]

(٣) سورة البقرة [٢٣١]

(٤) سورة النساء [١٩]

أن يذكر أن العرب أخرج المرأة من البيت للعمل ، لأن الرجل هناك بكل عن كدائها وإعالتها ، إلا أن يقتضيها الثمن من عفتها وكرامتها !
عندئذ فقط اضطرت المرأة أن تعمل !

ويحس أن يذكر أنها حين خرجت للعمل شبر العرب لمادي حاجتها ، واستعن فرصه زيادة تعرض ليرخص من آخرها ، واستمى أصحاب الأعمال بالمرأة الرخيصة لأحر عن العمل ، الذي بدأ يرفع رأسه ويطالب بنجر كريم !
وحيث طاشت المرأة هناك بالمساواة ، كانت تعي أولاً وبالذات المساواة في الأجر لتأكل وتعيش ! فلما لم تستطع هذه المساواة طشت بحق لانتخابات ليكون لها صوت بحسب حصانه ، ثم طالت مدحول الانتخابات ليكون لها صوت إيجابي في تقرير تلك المساواة ! لأن القوانين التي تحكم المجتمع بسبب الرجل وحده - وليست - كما هي في الإسلام - من شرع الله ، الذي يعدل بين عباده رجالاً ونساء

ويحس ألا نسي أن قرب طشت إلى عهد الجمهورية الرابعة بعد الحرب الأخيرة لا تمنح المرأة حق التصرف في مالها - كما منحها الإسلام ذلك - إلا بإذن وبها ، عن حين منحها حق الدعارة كاملاً بصفة عسبة أو سرية ! وهذا الحق الأخير هو الحق الوحيد الذي حرمة الإسلام بمرأته ! لأنه حرمة للرجل كذلك ، رعاية لكرامة الإنسان وشعوره .
ورفعاً لمستوى العلاقات الجنسية أن تكون علاقة أحساد لا تربطها رابطة من بيت ولا أسرة .
وبك حين يرى العرب لمادي يقدم المرأة اليوم في بعض الأعمال على الرجل ، وخاصة في المتاجر والسفارات والقنصليات وفي الأعمال لإجارية كالصحافة ونحوها

يجب ألا نعمل عن المعنى الكريه بحيث في هذا التقديم إبه معنى الحسنة والرفيق في حرم من دحان العبر والأفيون إبه استغلال للحسنة الجنسية في نفوس «الزنان» فصاحب المتجر ، كالدولة التي تعين النساء في السفارات والقنصليات ، كشركة السياحة التي تعين مصيغات ، كصاحب الحريفة الذي يبيع بمرأة إلى انقطاع الأحاديث والأحبار . كل مهم يدره فيم يستخدم المرأة ، ويعرف كيف يحسن مرأة على النجاح في هذه الميادين ؛ ويعلم ماذا تدل للحصول على هذا النجاح ! فإن لم تدن هي شيئاً - وهو عرض بعيد - فهو يترك أن شهوت حائنة ، وغيوباً حائنة ترف حول حسنها وحبوب حديثها ؛ وهو يستغل ذلك الخوع منكسب المادي والنجاح بصغير ! لأن لمادي الإنسانية لكرمة منه بعيد بعد

فأم الشيوعية هذت دعوى عريضة في مساواة المرأة بالرجل ، وتحطم لأعلان التي تعيد المرأة ! ومساواة هي المساواة في العمل والأجر ومتى استوى العمل والأجر . فقد تحررت المرأة وأصبح لها حق الإباحية كما هو حق للرجل ! لأن المساواة في عرف الشيوعية

لا تعدوا الاقتصاد فكل التوفيق بشرية ، وكل المعالي الإنسانية كرامة في هذا العصر وحده من عناصر الحياة !

والحقيقة في صميمها هي تكون لرحل عن إعالة المرأة ، واضطررها أن تعمل مثله وفي دائرته لتعيش ، فاشوعية - هذه - هي استكملة طبيعية لروح العرب بادية ، اتفاقية بمعالي الروحية في حياة الشريعة

يجب أن يذكر هذا كله قبل أن يحدح نصرة الوهم برائف بالإسلام قد مع المرأة من الحقوق منذ أربعة عشر قرناً ما لم تمنحه بها « بحضرة » لعربة حتى اليوم وهو قد منحها - عند الحاجة - حق العمل وحق اكتسب ولكنه أبى لها حق الرعاية في لاسره ، لأن الحياة عنده أكبر من المال والحمد ، وهدفها على من مجرد الطعام والشراب ، ولأنه ينظر إلى حياة من جوانب متعددة ، ويرى لأمردها وطائف محتلفة ، ولكب مكافئة مسابقة وهذه سطرة يرى وصيفة الرخ ووطيفة المرأة ؛ فيرحب على كل منها أن يؤدي وظيفته أولاً تشمية المعادة ودفعها إلى الأمام ، ويرص لكل منها الحقوق الخاصة لتحقيق هذا الهدف الإنساني العام

• • •

وأخيراً فإن للجسد الشرعي كله كرامته ، التي لا يجوز أن تستدل : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا نَبِيَّ دَاوُدَ وَخَسَّاهُمْ فِي لُبِّ الْوَحْيِ وَزَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » (١) كرامتهم بحسبهم ، لا بشخصهم ولا بعاصرتهم ولا بقائلهم وذكراهم للجميع على سبيل المساواة المطلقة ، فكيفهم لآدم وإذا كان آدم من قراب ، وإذا كان آدم قد كرم ، فأسأله جميعاً سواء في هذا وفي ذلك !

والس جميعاً - في مجتمع المسم - كرامتهم التي لا يجوز أن تلزم ، ولا أن يسحر منها أحد : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تُنْفِرُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَلَا تَبَايَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِشَرِّ الْأَسْمَاءِ يُسَمُّوا بِالْأَلْقَابِ » (٢) ومن ثم نشأ فأولئك هم الضعفاء (٣) ولتميز بصيق الحمل « وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ » ذو دلالة عجيبة ، فلم يؤمن لمؤمن هو لزمه نفسه ، لأهم كلهم من نفس واحدة !

(١) سورة الإسراء [٧٠]

(٢) سورة الحجرات [١٩]

وليس جميعاً في المجتمع المسلم حرمانهم «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِ
 بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَمِّرُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا» . دَلِكُمْ حَبْرٌ لَكُمْ لَعَنَكُمْ تَذَكُّرُونَ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا
 فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ، وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ،
 وَاللَّهُ عَا تَعْمَلُونَ عَنِمْ » ١ « وَلَا تَحْسَبُوهُ لَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا » ٢ «

وفيما هذا الإجراء هو إشعار كل فرد بأن له حرمة لا يجوز أن يسهكها عنه الآخرون ،
 ولا تقل حرمة أحد عن حرمة أحد ؛ فهم فيه سواء ، وهم جميعاً مؤمنون ، في المجتمع المسلم
 لذي يقوم على مهج قه وشرعه . فبكل لدس فيه هذه بكرامة ، ونصون منهم هذه
 الحرمات

* * *

وهكذا ينتبع الإسلام كل ناحية من حياة الناس الوجدانية والاجتماعية ، يؤكد فيها
 معنى المساواة يؤكد ، وما كان في حاجة كما قلنا لأن يتحدث عن مساواة لفظاً وصورة ،
 بعدم حقيقها معنى وروحاً ، بالتحرر الوجداني ، الكامل من جميع لقيم وجميع انلاسات ،
 وجميع انصرورات ، وكل ما في عالم الواقع كل انصانات ، ولكنه يحرص على مساواة
 حرصاً شديداً ، ويريد لها إنسانيه كاملة غير محدودة بعصر ولا قبيلة ولا يت ولا مركز ،
 كما يريد لها أنعد مدى من دائرة الاقتصاديات وحده ، مما وقفت عنده اندهاب المادية
 الصمية ١ ٢

التكافل الاجتماعي

لا تستقيم حياة يذهب فيها كل فرد إلى الاستمتاع بحريته المطلقة ، في غير حد ولا
 مدى ، بعد لها شعوره بالتحرر الوجداني المطلق من كل ضغط ، وبالمساواة المطلقة التي
 لا بعدها قيد ولا شرط . وبالشعور على هذا النحو كميل بأن يحطم المجتمع كما يحطم لفرد
 ذاته فالمجتمع مصلحة علما لا بد أن تنهي عندها حرية الأفراد ، وبلفرد ذاته مصلحة
 خاصة في أن يقف عند حدود معينة في استمتاعه بحريته ، لكي لا يذهب مع عرائره وشهواته
 ولدائده إلى الحد المردي ، ثم لكي لا تصطدم حريته بحرية الآخرين ، فتقوم المنازعات التي
 لا تنهي ، وتستحيل الحرية حقيماً وكالاً ، ويقف هو الحياة وكما لها عند حدود انصابع

(١) سورة النور [٢٧-٢٨]

(٢) سورة الصافات [١٢]

الفردية لفرية الآماد وذلك كذاي حدث في «حرية» العظم الرأسمالي ، وما صا حه من نظريات الحرية الحيوية للشهوات !

والإسلام سمح الحرية الفردية في أحمل صورها ، والمساواة الإنسانية في أدق معانيها ، ولكنه لا يتركهما موصي ، فدممحتع حسابه ، وللإنسانية اعتبارها ، وللأهداف العليا للدين قيمها . ذلك يقرر مد التعة الفردية ، في مقابل الحرية الفردية . ويقرر إلى جانبها التعة الجماعية التي تشمل الفرد والجماعة متكائيهما . وهذا ما يدعو بالكمال الاجتماعي والإسلام يقرر مد التكافل في كل صورة وأشكال . فهناك التكافل بين الفرد ودائه . وبين الفرد وأسرته لفرية ، وبين الفرد والجماعة . وبين الأمة والأهم ، وبين الحين ولأجيل المتعاقبة أيضاً .

هناك تكافل بين الفرد ودائه ، فهو مكلف أن يسبي نفسه عن شهواتها ، وأن يركبها ويطهرها ، وأن يسلك ب طريق إصلاح والسجة ، وألا يُلقي بها إلى الهلكة . «وَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَدِّمَ رَبِّهِ ، وَخَشِيَ كَلِمَةَ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى»^(١) . ونفس وما سواها ، فلهما فحورها وتفرها . «فَدَأَى هَذَانِ رَكَّاهُ ، وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَائِهَا»^(٢) . «وَلَا تَقْفُوا يَبِييَكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ»^(٣) . وهو مكلف في الوقت دائه أن يمتنع نفسه في الحدود التي لا تصد فطرتها ، وأن يمتنع حقها من العمل والراحة فلا يهلكها ويضعفها . «وَاتَّقِ فِيمَا أَنَاكُ اللَّهُ لَدَارَ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَتَّبِعْ نَهْيَ مَنْ دُونِ اللَّهِ»^(٤) . «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَشَرُّوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»^(٥) .

وتسعه الفردية كمنه . فكل إنسان وعمله ، وكل إنسان وما يكسب نفسه من خير وشر ، ومن حسنة أو سيئة ، ولن يحرقه عنه أحد في لدي ولا في الآخرة . «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»^(٦) . «لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي صُحُفٍ مُوسَى ، وَإِنِّي هُمُ الَّذِي وَفَى ، أَتَنْتَرُونَ»^(٧) . وَإِنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ لِلْإِنْسَانِ إِلَهًا ، سَعَى ، وَإِنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَى ، ثُمَّ يُخْرَاهُ لَجَرٍ أَوْ زُرٍّ^(٨) . «هَذَا مَا كُنْتَ وَعَلَيْهَا مَا كُنْتَ»^(٩) . «فَمَنْ هَذَا قُلْتُمْ»^(١٠) .

(٥) سورة الأعراف [٣٩]

(٦) سورة غافر [٣٨]

(٧) سورة نجم [٤٦ - ٤٩]

(٨) سورة نجر [٢٨٦]

(١) سورة النازعات [٣٧ - ٤١]

(٢) سورة الشمس [٧ - ١٠]

(٣) سورة البقرة [١٩٥]

(٤) سورة القصص [٧٧]

ومن صلح ما يصلى عليه . وما أنت عبيهم يوكيل^(١) . ومن يكسب إنما فريما يكسبه على نفسه^(٢)

وبذلك كله يقف الإنسان من نفسه موقف لرقب ، يهديها إن صلب ، ويمسحها حقوقها المشروعة ، ويحاسبها إن أخطأت ، ويحتمل تبعه إهماله لها . وبذلك يقم لإسلام من كل فرد شخصيتين : تراقبات وتلاحضات ، وتشكافان فيما بهما في الخير والشر . في مقابل منح هذا الفرد لتحرر الواحد في الكامل ، والمساواة الإنسانية التامة والحرية ولتبعة تتكافأان وتشكافان

وهناك نكاح بين نورد وأسرته بفرسه «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» إِمَّا يَنْتَعِ عِبْدُكَ الْكَبِيرُ أَحَدُهُمْ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيهًا . وَلَا تَهْرُمَاهُ . وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَأَحْفَظْ صَمًا حَتَّى حَتَّكَ مِنْ الرُّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ رَحْمَتُهُمَا كَمَا رَبَّنِي صَغِيرًا^(٣) «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَدَانِهِ ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ، وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي يَوْمَ لِدَتْكَ»^(٤) «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَتَّىٰ كَامِلِينَ أَوْ أَرَادَ أَنْ يُنْعَمَ الرِّعَاقَةَ» . وعلى كموود به درفهن وكسوسهن بأسمعروف ، لَا تُكْفِفُ نَفْسٌ إِلَّا نَفْسَهَا . لَا تُضَارُّ وَلَدَةٌ بِوَدَدَةٍ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ وَلَدَةٌ»^(٥)

وقد هذا الكافل في محيط الأسرة له قوامها الذي يحسبها ، والأسرة هي لسة لأول في ساء مجتمع . ولا مفر من لاعترااب بقسمها ، وهي تقوم عن لمبول اللثة في انصطرها الإنسانية . وعلى عوطف الرحمة وودده ، ومقتضيات لضرورة وبصلحة ، كبها لعشر لذي نشأ به وحوله مجموعة لآداب والأخلاق لخاصة بالحبس ، وهي في صميمها آداب المجتمع الذي ارتفع عن الإباحة اللجوابية وبقوصي الهمجية

وبقد حاولت لشوعة لـ تقصي عن لأسره ببحه بها تسمى حبس لالآثرة لادائنة ، وحب لتملك ، وتمنع شيوعة الثروة ، وشيوعية ملكية الدولة للأفراد . ولكنها فيما يبدو قد فشلت في هذا فشلاً تاماً ، فالشعب الروسي شعب عائلي ، وللعائلة مكانها في نفسه وفي تاريخه ، فوق أن لأسرة نظام سولوحي وبمسي لا نظام اجتماعي فحسب ، فتخصص

(١) سورة النمر [٤٩]

(٢) سورة لقمان [١٨]

(٣) سورة لسة [١١١]

(٤) سورة الأحزاب [٦]

(٥) سورة الإسراء [٢٣ - ٢١] .

(٦) سورة البقرة [٢٣٣]

ولا تكون لوارث . لحديث « ولا وصية لوارث »^(١) . أي شرعت لتذكرك بعض الحالات التي لا يرث فيها من توجب الصلة العائلية أن يصله المورث وبيره . ولتكون محالاً لإعناق شيء من التركة في وجوه البر والحير .

هذا نظام الذي شرعه الإسلام مظهر من مظاهر تتكافل بين أفراد الأسرة بوحدة ، وبين الأجيال المتتالية - فوق أنه وسيلة من وسائل بعت ثروة لئلا تتصحم تصحماً يؤدي المجتمع (ومستحدث عن هذا في فصل « سياسة المال ») أما هنا فكمي بالقول بأن نظام الإرث الإسلامي عدلاً بين الجهد والحرء ، وبين المعام والمعم في حق الأسرة . فالوالد الذي يعمل - وفي شعوره أن ثمره جهوده لن تقف عند حده تقصيرة مخلوقة ، بل مستمرة ليستع بها أنواره وحفده . وهم امتدده الطبيعي في الحياة - هذا الوالد يبدد أقصى جهده ، وسبح أعظم نتاجه ؛ وفي هذا مصلحة له وللدولة وللإنسانية ، كما أن فيه بعداً بين الجهد الذي يبذله والحر - الذي ينقده . فبأنه جرم منه يشعر فيهم بالامتداد والحياة

أما الآباء فعلى أن يتصوروا مجهود آبائهم وأمهاتهم ، إذ الصلة بين الوالدين والأبناء لا تقطع لو قطعت صلة الميراث ما ، فالآباء والأمهات يورثونهم صفات واستعدادات في تكوينهم اخياني ، والعقلي ؛ وهذه الاستعدادات تلازمهم في حياتهم ، وتعرض عليهم كثيراً من أوصاف مستفهم - من حيراً وبين شراً - دون أن تكون لهم يد في رد هذه الوراثة أو تعديلها . ومهما حاولت الدولة أو جاهد المجتمع فلن يهب طفلاً وحماً حميلاً إذا ورثه أبواه وحماً قبيحاً ؛ ولن يحسنه سلامة أعصاب ؛ واعتدال مزاج ؛ إذا ورثاه حتلاً واصطرباً ؛ ولن يعطيه عمراً طويلاً وصحة موهورة ، إذا ورثاه استعدادات للنبي سريع والمرص للملارم . فإذا كان عليه أن يرث هذا كله غير محبب ، فإنه من العدل الاجتماعي أن يرث جهود أبويه المادية أيضاً . ليكون هناك شيء من التعادل بين المعام والمعم .

وقد صرحت القرآن مثلاً لتكافل بين الآباء والأبناء في قصة موسى - عليه السلام - مع عبد الله الصالح الذي قال الله عنه « فَوَحَّدَا عِدَّةً مِنْ عِدَدِ آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا » « فَاَنْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ سَتَظَعَمَ أَهْلُهَا قَبْرًا أَنْ يُصْعِقُوهُمْ ، فَوَحَّدَا فِيهَا جِدْرًا يُرِيدُ أَنْ يُقَصِّرَ فَاَقَامَهُ » وقد قال له موسى « لَوْ شِئْتَ لَأَخَذْتَ عَلَيْهِمْ جُرْأً »^(٢) ما دام أهل القرية لم يطعموه . لكشف له عن أسر في تقويته للجدر . فقال

« أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ،

(١) روي صاحب مصابيح السنة وقال إنه حسن

(٢) سورة الكهف [٧٧]

فَارْزُقْكَ مِنْ ثَمَرِهِمَا وَسْتَحْرِجْهُمَا كَثْرَتُهُمَا . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي .^(١)
وهكذا يتضح ان وسائل اصلاح الولد ، وورث ما حصله لهما من مال وصلاح ، وهذا
على وجه لا شك فيه

فاما حين نحسب من حسن لما في محيط خاص ، فالموسلة موجودة في يد الإمام
اسلم لحاكم شرعية الله لتعديل الأوضاع ؛ والإسلام بكل هذا يتعدل بوسائله بحاصله
كما سيأتي في فصل «سياسة المال» .

• • •

وهذا بكل من يرد وجماعة . وبين الجماعة وفرد يوجب على كل منهما
تعاون . ويرتب لكل منهما حقوقاً والإسلام يسع في هذا التكافل حد لتوحيد بين
المصالحين ، وحد لحرء واعتقد على تقصير بهما في سهو عن شعائره في شئ من حاجي
الحياة المعوية والمادية على السواء
فكل فرد مكلف أولاً أن يحسن عمله الخاص وإحسان العمل عادة لله ، لأن ثمرة
العمل إحسان ملك للجماعة وعائدة عليها في نهاية «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ وَلِلمُؤْمِنِينَ»^(٢)

وكل فرد مكلف أن يبرعي لمصالح الجماعة كونه حارس لها ، موكل بها ، والعبادة سعيه
في حصص ، والركون فيها جميعاً مسؤولون عن ملامتها ؛ وليس لأحد منهم أن يحرق موضعه منها
باسم الحرية الفردية . مثل القائلين على حدود الله ولو وقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة
فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا مرواً على من
فوقهم . فقالوا لو أن أحرقنا في سبيل حرقاً ولم يأتنا من فوقنا إنا تركوهم وما أرادوا
هتكوا . وإن أحلوا على أيديهم نحو ونحو جميعاً^(٣) وهو تصوير يدع لتأنيث المصالح
وبوحدها . براء التفكير الفردي الذي يأخذ بظهور المعاني النظرية . ولا يفكر في آثار
الوقائع العملية ؛ ورسم دقيق يوجب لفرد وواجب جماعة في مثل هذه الأحوال

وبين هاتين فرد معنى من رعاية لمصالح عامة فكر فرد راع ورعاية في المجتمع
«كَلِّمُكُمْ دَاعٍ وَكَلِّمُكُمْ مُسْوِلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٤)
والتعاون بين جميع الأفراد واجب مصلحة الجماعة في حدود البر والمعروف «وَتَعَاوَنُوا

(٣) بخاري والترمذي واللفظ بخاري

(٤) شيخان

(١) سورة نكهة [٨٢]

(٢) سورة توبة [١٠٥]

عَنِ اللَّهِ وَتَقْوَى . وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ^(١) . «وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»^٢

وكل فرد مسؤول بدانه عن الأمر بالمعروف ، فإن لم يفعل فهو آثم وهو معاقب بآثمه
«حُدُودُهُ مَعْلُومَةٌ ، ثُمَّ لَجَّحِيمٌ صَلَواتُهُ» ، ثُمَّ فِي سَبْطِهِ نَزْعُهُ مَبْعُودٌ ذِرَاعاً فَأَمْسُكُوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْيَتَامَى ، فَتَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَذَا حَمِيمٌ . وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَنِيِّينَ ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاسِرُونَ»^٣ وعدم انحصار على طعام اليتامى بعد علامة من علامات الكفر والتكذيب بالدين^٤ . «يَتِ الْكُذِبُ كَذِبُ نَاسٍ»^٥ فذلك الذي يدع^٦ اليتم ، وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْيَتَامَى^٧

وكل فرد مكلف أن يزيل المكر الذي يراه^٨ ، مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَبِعِزَّتِهِ بَدِّهِ
فمن لم يستطع فببذنه ، فمن لم يستطع فبقبذه وهو اصعب الإيذان^٩ . وهكذا يصبح كل فرد مسؤولاً عن كل مكر يقع في الأمة ووجوب مكر شريكاً فيه ، فالأمة واحدة ، والمكر يؤذيها ، وعلى كل فرد أن يلود عنها ويحجبها

والأمة كلها تواحد وبهاذا الأسى والمعاقب في الدنيا والآخرة إذا مكث عن وقوع
المكر فيها من بعض بيده . فهي مكلفة أن تكون قواماً على كل فرد فيها «وإذا أَرَدْنَا أَنْ نَبْذِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْنَا لَلْأُولَى دَمْرُهَا تَدْمِيرًا»^{١٠} ولو كان
فبها الكثيرون لم يفسقوا ، ولكن سكوتهم على فسق بعضهم مستحقين للتدمير : «وَاتَّقُوا يَوْمَ تُفْتَنُ أَلْسِنَتُ الْكَافِرِينَ فَسَبُّوا مِنْكُمْ حَاصَّةً»^(١١) وبها في هذا ظلم ، فالأمة التي تشيع فيها
الفاحشة ، ويظهر بها المنكر فلا يعبره أمة موحدة مهابته ، صائفة إلى بؤس ، ولدمار
الذي يصيبها أمر طبيعي ، ونتيجة لازمة

ونقد استحقاق إسرائيل البعثة على سان أسائهم ، ودلب دولتهم ، ودهت ربحهم ،
لأنهم لم يكونوا يعبرون المنكر ولم يكونوا يهتدون عنه «لَمَّا لَبِثَ الْكُذِبُ كَهْرًا مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ
عَنِ لِبَابِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَنْ عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» كانوا لا يتشاورون عن

٥ مسم وأبو داود والترمذي والنسائي

٦ سورة الأعراف [١٦]

٧ سورة الأعراف [٢٥]

(١) سورة مدثر [٢]

(٢) سورة آل عمران [١٠٤]

(٣) سورة الحاقة [٣٠-٣٧]

(٤) سورة الماعون [١-٣]

مَكْرٍ فَعَنُوهُ سُنُسٌ مَّ كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ وفي الحديث «لما وقعت سر إسرائيل في المعاصي هتثم علماءهم فلم يتهوا ، فحاسروهم ، ووكلوهم وشاربوهم ، فصرب الله قلوب بعضهم بعضاً . ولعنهم على بسا دأود وعيسى ابن مريم (ثم حنس وكان مكثاً فها) «لا وادي نسي بيده حتى تأطروه على الحق طراً» (١) «لأن المؤمنين حقاً فهم الذين يقرب عنهم بقرن» «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (٢)

وقد فهم بعضهم من الآية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَصْرِفْكُمْ عَنْ صَلِّ دُ هْتَدِيْتُمْ» (٣) تحير لسكون عن رد المنكر وتغيره ، فهمهم نكر - رضي الله عنه إلى سوء فهمهم لما قل

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَكُمْ بَرُؤٌ هَذِهِ آيَةٌ . وَإِذَا تَصَعَّقُوا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ . وَإِنِ سَمِعْتُمْ رُسُومَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ «إِنْ لَدُنْكُمْ دُرُؤٌ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى نَفْسِهِمْ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ نَعَى بَعْدَ» (٤) وفي سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول «مَنْ قَوْمٌ يَعْمَلُ لَهُمْ مَعَاصِي ثُمَّ يَمُرُّونَ عَلَى مَنْ يَعْبُرُوا فَلَمْ يَعْبُرُوا إِلَّا يَوْشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ» (٥)

وهذا هو التفسير الصحيح الذي يطبق على مذهب الإسلام والذي يجعل من الأمة مسلمة واحدة متكافئة فيما بينها ، لا يصرها أن يصل الناس رد استعجاب هي على الهدى : ما أدت وحده في دفع المنكر وتغيره جهد طائفة

والأمة مسؤولة عن حماية الصالحين بها ، ورعاية مصالحهم وصيبتهم ، وعليها أن تقاتل ضد الدروم حداثتهم «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ؟» (٦) وعيب أن تحبط هم مؤمنهم حتى يرشدوا «وَتَتْلُوا الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا بَعَثُوا لِكُلِّ حِزْبٍ تَسْمِعُ مِنْهُمْ رِشْدًا فَدَعَوْا إِلَيْهِمْ فَوْضِمُ . وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِطْوَاعًا يَكْفُرُوا . وَمَنْ كَانَ عَيْبًا فَلْيُتَغَفَّرْ . وَمَنْ كَانَ فَهِيْرًا فَلْيُكُنْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْبِهُوا عَلَيْهِمْ . وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» (٧) وفي الحديث «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَةِ وَمُسْكِينٍ كَالْجَهْدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . أَوْ نَقِاطٍ بَيْنَ لَصَافَةِ لَهْرٍ» (٨)

(٥) أبو داود والترمذي

(١) سورة المائدة [٧٨-٧٩]

(٦) سورة النساء [٧٥]

(٢) أبو داود والترمذي

(٧) سورة براء [٦]

(٣) سورة لقول [٧١]

(٨) شعاع والترمذي والنسائي

(٤) سورة المائدة [١٠٥]

وهي مسؤونة عن فقائهم ومعوربهم عن تورفهم عن هذه الكفاية . فتتضمن من الركاة وسبقها في مصارفها ، فإذا لم تكف فرصت عن القادرين بقدر ما يسد عور المحتاجين فلا قيد ولا شرط إلا هذه الكفاية . فإذا بت فرد واحد جائعاً فالأمة كلها نيت آئمة ما لم تنحصر على إطفائه : « كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحْصُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ، وَتَكُونُونَ الْآثَرَاتِ أَكْلًا لِّمَاءٍ ، وَتُجِوُونَ الْمَوْتَ حِمًّا كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَلَمَّتِ الْأَرْضُ لَصًّا ، وَحَيَّ يَوْمَئِذٍ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١) . وفي حديث « يد أهل عرصه أصبح فيهم مرق حائفاً فقد برئت منهم دمه الله سارحاً ونعياً » (٢) . و « من كان معه فصل ظهر فبعده على من لا ظهر له ، ومن كان به فصل راد فبعده على من لا راد به » (٣) . و « من كان عنده طعام فليس فيه ذهب ثلث وإن أُر » (٤) .

والأمة لمسة كله حد واحد بحسب حد واحد وما يصيب عصباً منه يشتكي له سائر الأعضاء . هي صورة جميلة أحده يرسمها الرسول الكريم يقول « مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، كمثل الحمى ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٥) . كما رسم للتعاون والتكافل بين المؤمنين المؤمنين صورة أخرى معبرة دقيقة « المؤمنين كلسان يشد بعصه بعصاً » (٦) . وذلك أسمى ما بتصوره أحياء للتعاون والتكافل في الحياة .

وعلى هذا الأساس وضعت الحدود في الحرائم الاجتماعية . وشددت شديداً لأن التعاون لا يقوم إلا على أساس صيانة حياة كل فرد في دار الإسلام وماله وحرمة . « كل المسلم على المسلم حرم دمه وعرضه وماله » (٧) . لذلك شرع لفصاص في القتل وخروج حر ، وفاقاً وجعل حرمة القتل كجرمة الكفر في العقوبة « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزؤه جهنم خالد فيها » (٨) . « وَلَا تَمْلُوا أَنْفُسَكُمْ أَلَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جُعِلَ بَوْلُهُ سُلْطَانًا » (٩) . « وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ، وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ »

(١) سورة الفجر [١٧ - ٢٦]
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل بشر الأستاذ أحمد
(٣) محمد شاكر حديث رقم [٤٨٨]
(٤) مسلم وأبو داود
(٥) سورة النساء [٩٣]
(٦) سورة الإسراء [٢٣]
(٧) مسند أحمد
(٨) سورة النساء [٩٣]
(٩) سورة الإسراء [٢٣]

وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ ، وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ ، وَالسَّيْفَ بِالسَّيْفِ ، وَالْجَرْحَ قِصَاصٌ ^(١) . وبحث عن
القصص مجمعة حياة لأمة «وَنُكِّمُ فِي الْقِصَصِ حَيَاةً يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» ^(٢)
«فيه لحية لما فيه من صواب الحياة بانكف عن الفتى ، وعلما فيه من حفظ كليات الجماعة
وحيويتها وتماسكها بوقف الدار

وشدد عقوبة الرنا لما فيه من اعتداء على العرض وعنت بالحرمة ، ونشر للفحشة في
الجماعة ، يشأ عنه تفككها بعد فترة ؛ وسدس في الأساليب ، وسرقة بعواطف الآباء
ناسوة امرورة !

شدد هذه العقوبة فجعلها للمحصن والمحصة الرحيم ، ولغير المحصنين والمحصات
الخلد ، وهو مثلث في حسب كثيرة «الرَّايَةَ وَالرَّايَ عَاجِدُوا كُلٌّ وَحِدٍ مَهْمَا مَثَّةٌ حَتَدُهُ
وَلَا تَحْذُكُمُ يَمِينُ رَافَةٍ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ^(٣)

وجعل العقوبة ثمانين حدة يدين برموز المحصنات المؤمنات بموافقات وبعقوبات
عنين ، ويلوثون أعراضهن كدنا ، لأب جريمة الإفك ها قرينة من حريمه الرنا ، فهي
عند على سمعة ولعرض ، ومثار للعداوة والعصاة ، وإشاعة للفحشة بسراخ «وَيَدِينُ
بِرُمُوزِ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتِ بِرَبْعَةِ شُهُودٍ فَاحْذَرُوهُنَّ ثَمَانِينَ حِدَةً وَلَا تَقْسُوا لَهُنَّ شَهَادَةً
أَبْدَانَهُ» ^(٤)

وشدد عقوبة السرقة لما فيها من اعتداء على أس الناس - في دار السلام - وطمأننتهم
ولتقة المتأدلة بينهم ؛ فجعلها قطع اليد «الْوَسْطِيَّ وَالسَّارِقَةَ فَاقْطَعُوا يَدَيْهِمَا» . جرة بما
كسب بكالا من الله» ^(٥)

ولقد استطاع بعضهم هذه العقوبة بيوم حين يقبضها إلى سرقة مال من فرد ؛ ولكن
الإسلام إلى يضر بها إلى أمن الجماعة وسلامها وتصاممها ؛ كما يضر إلى طيبة ظروفها وإلى
العرض منها ؛ فهي حرة ثم في دعاء - وحرائم الحماء في حاحه إلى تشديد العقوبة ليعمد
عب مرتكبها ، أو لبترا من صطربه وحوقه من العقوبة ديبلا عبه رعليه وهي جريمة
يرتكبها صاحب يريد كسبه من الحرم ؛ فلاحظ أن تكون العقوبة - وهي قطع اليد -
من شأنها تعجيره عن كسب الذي يزيده هذه الوسائل المحرمة

(١) سورة نور ٢١

(٥) سورة المائدة [٣٨]

(١) سورة المائدة ٤٥

(٢) سورة البقرة ١٧٩

(٣) سورة النور [٢]

على أن هذه العقوبة ابحارمه لا تعد دية كدب السرقة اضطرارية يدفع عائلة الخويع
عن النفس أو الأولاد ، ولقد عده العامة أن لا حرج على المصطر أن نفس أضطر غير
نأغ ولا عدي فلا يؤثم عليه^(١) ، ووجد مدر في لشبه « درأوا الحدود بسبب »^(٢)
و الخويع شبهة ، وعلى هذا جرى عمر في خلافته كما سيجي^(٣)
أما يدين يهلدون من الجماعة لعام - في در لإسلام امحكومة بشرعة الله - وحرأؤهم
لنقتل أو التصيب أو تقطع الانبي والأجل أو النقي من الأرض « إنما حرأ كدبر
نحارئون لله ورسوله ويستغون في الأرض فساداً لن يقتب أو نصنوا أو تقطع نديهم ورحلهم
من خلاف أو نفو من لأص^(٤) ، أن الاتي والاحتياج على الإفساد وفتنة جريمة ككر
من الخرائم لفردية ، وأحق بالحسم وفسوه العموم

» » »

وهكذا نعرض للإسلام التكافل الاجتماعي في كل صورة وأشكبه تمشأ مع بطرته
الأساسية إلى وحدة الأهداف الكلية لفرد والجماعة ، وفي تداسن الحياة وتكاملها يمدع
بفرد حريته كامله في لحدود انبي لا يوده ، ولا تأخذ على الجماعة الطريق ، وتجعل
للجماعة حقوقها ، ويكفها من السعد في الوقت ذاته كفء هذه الحقوق ، تسير الحياة
في طريقها اسوي تقويم ، ويصل إلى أهدافها لحد لبي يخدمها بفرد وتخدمها الجماعة
سواء

» » »

وعنى ذلك الأسس الثلاثة التحرر الوحداني لطلق ، وللمساواة الإنسانية الكامنة ،
والتكافل الاجتماعي الوثيق ، تقوم لعدالة الاجتماعية ، وتتحقق العدالة الإنسانية

(١) سورة البقرة [١٧٣]

(٢) رواه عبد الله بن عباس (كتاب الكامل لابن عدي) ، وفي مسند أبي حنيفة للحارثي

(٣) يرجع بعض الحريه والعباد في كتاب الإنسان بين المادية والإسلام ، لمحمد قطب

(٤) سورة المائدة [٢٣]

وسائل العدالة الاجتماعية في الإسلام

من داخل نفس يعمل الإسلام . ومن أعماق الضمير يحاول الإصلاح ، ولكنه لا يعمل بدءاً عن واقع العمى في محيط الحياة . ولا عن حقيقة النفس الشريرة . وما اعتورها من رذائل وهبوط ، وظلم وانكماش ، وشوق طائفة وضرورات مقعدة . وطاقة محدودة . عن كل حل ، دون الكمال المطلق في جميع الأحوال .

وعلى قدر عمقه وعميق تأمل النفس الشريرة شرع ويوحى : ويصوغ أوامر ونواهيه . ويضع حدوده وينقدها ، ثم يهتف للضمير الشرير أن يتسامى فوق شكائيف المصروصة ما استطاع .

والحياء تصح بمكة وصباحة ، ذا نحن نعد شكائيف مصروصة في هذا الدين . ولكن النفس المسمنة تظل صرح في معارج الكمال بما يوحى إليه الضمير الشرير من تسامح وارتفاع وتسام ، فالتوجيه الواحد في هذا الدين هو خرق التكليف المفروض فيه ، ثم هو يكفل سبيل هذا التكليف عن طاعة ورضى وقدر . ويصح لحياء بشرية فتنب الإسياسة الكريمة للترفعة عن القنود والضرورات ، وعن صعظ يدون ، ورفع شكائيف أيضاً .

وحينما حاول الإسلام أن يحقق لعدالة الاجتماعية كلمة رطخ بها عن أن تكون عدله اقتصادية محدودة ، وأن تكون انتكليف وحده هو الذي يكفلها . فجعلها عدله إسياسية شاملة . وأقامها على ركنين قويتين : الضمير الشرير من داخل النفس وانتكليف لقانوني في محيط المجتمع . وراوح بين هذه لقوة وبس . مثيرة في ايجاد الإنسان أعظم تعلاته ، غير عاقل عن ضعف الإنسان وحاجته إلى لوائح تحارجي كما يقول عثمان ابن عفان : يرفع الله بالسلطان أكثر مما يرفع بالقرآن .

وكن من يفسر في هذا دين نظرة خاصة مصممة يترك العهد لصحيم الذي يده لتهديب نفس البشرية من جميع جوانبها وفي جميع اتجاهاتها . وملاساها بهذا الدين هو الذي يجعل أقصى الشاء على سبيله . صلى الله عليه وسلم . أن يقول «وَأَنْتَ تَمْنَى خُلُقِي عَظِيمٌ»^(١) . فخلق هو الدعامة الأولى لباء المجتمع المنهك الركن ، ولا نصيب لأرض دسيسة . وهذه بالحدود . في ضمير الإنسان الذي المحدود

(١) سورة القدر [٤]

وم يحل الإسلام بثفته على الصمير بشري بعد نهديه ، فأقامه حياً ساعياً لتشرعات
بعدها وبرعاه ، وحل بنيد لكثير منها في صيته ، فاشهادته هي أساس إقامة الحلود في
أحوال كثيرة وفي إثبات حقوق كذلك واشهادته مساهم مردها في صمير الفردي
وفي رفاة الله على هذا الصمير «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْبُدُوهُنَّ ثَمَانِينَ حَلَّةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً بَدَأَ . وَلَئِنْ هُنَّ أَلْفُ مِائَةٍ
يَرْمُونَ زَوْجَهُنَّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُنَّ شُهَدَاءُ وَلَا أَنْفُسُهُنَّ ، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِنَّ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ
مِنْ بَصَائِرِ ، وَلَاحِمِصَةُ أَنْ نَعْتَقَ اللَّهُ عَيْبَهُ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَادِبِينَ وَيَدْرَأُ عَنِ الْعَذَابِ أَنْ
شَهِدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ مِنْ بَصَائِرِ ، وَلَاحِمِصَةُ أَنْ عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنْ
بَصَائِرِ »^١ وحتى عندما نأمر بالكثرة محلل الشهادة وحده «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِذُنُوبِكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُوبُوا ، وَلِكُلِّتُمْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ ، وَلَا تُبْطِلُوا كِتَابَ
أَنْ تَكْتُبَ كَمَا عَمَّهُ اللَّهُ ، فَلِكُلِّتُمْ وَلِيْمُنَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ . وَلِتَقَ اللَّهُ رِزْقَهُ وَلَا يَتَحَسَّ مِنْهُ
شَيْئًا ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَهِيًّا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْسَ هُوَ لِيُمْسَ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ
وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَائِكُمْ . هَؤُلَاءِ سَمَّيْنَاكُمْ لِكُلِّ فَرْجٍ رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ مِنْ تَرْصُوتٍ مِنْ
لَشَهَادَةٍ أَنْ يَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا لِأُخْرَى »^٢

واشهادة وحده وبكلف في سده «وَلَا يَأْتِ شَهَادَةٌ إِذَا مَا دُعُوا »^٣ وهي واجب
وبكلف عند التقاضي «وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ، وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ »^٤ وهكذا
سمح الله للصمير بشري في الحلود التي قد تصل إلى الحد والرحم ، وفي الحقوق المادية
على السوء وهي لغة لا بد منها بكر يم الإسلام ورفعه في مسواه المرموق المصوب
ولكن الإسلام لم يدع هذا الصمير لدائه ، وهو يوطد به هذه الشؤون لحظيرة ،
ويقسه حارساً على تميد التشريع والكيف ويدعوه إلى سمو فوق ما يوجه لتشريع
والتكليف لقد أقام عليه رقيباً من حشية لله وصوره رفاة الله في صور هريفة رابعة
مؤثرة «مَنْ يَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلَا ذَنْ
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ يَتَكَلَّمُوا ، ثُمَّ يَسْتَهْمُونَ عَمَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ

(٤) سورة النور : ٢٨٧

٥ سورة البقرة : ٢٨٣

(١) سورة النور : ٤

(٢) سورة النور : ٦ - ٩

(٣) سورة البقرة : ٢٨٩

شَيْءٌ عَنْهُمْ» (١) «وَلَقَدْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْهُ فَا تُوَسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ . وَنَحْنُ اقْرَبُ بِرَبِّهِ مِنْ حَبْلِ قَنَودٍ . إِذْ سَأَلْنِي لَمَمَّيَّكَ عَنْ النَّاسِ وَعَنِ أَنْشَاءٍ مُعْتَبِرَةٍ ، مَا نَلْقَئُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَابِدٌ» (٢) «فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفَى» (٣)

ونقد بشره وأبصره ، وحمل كل عمل من أعماله محسوباً عليه في الدنيا والآخرة لا مفر من عاقبته ، ولا فكاك من حرثه «وَصُغْ لِمَوْرِيں لِمَسْطَ لِيَوْمِ تَقَامِهِ فَلَا تُصْنِمْ نَفْسُ شَيْئًا . وَإِنَّكَ مَثْقُوبٌ حَتَّى مِنْ حَرْدِلِ أَنْتَ هَـ ، وَكَلْفِي بِحَاسِبِى» (٤) «إِذْ رُفِيتَ الْأَرْضَ رُفْرَفًا . وَأَحْرَحْتَ الْأَرْضَ تَقْحَنًا» وقال الإنسان ما ف «يَوْمَئِذٍ نُحْدِثُ أَجْدَاهَا بِأَرْثِكَ أَوْحَى هـ يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَنْشَاءً يُدَوِّ أَعْمَالَهُمْ» فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (٥) وهكذا لما نقيم على هذا الصبر فإنه من الحشمة والتقوى ، ويجعله أداة صالحة رقيقة التمسك في كل ما سعى دأب من حدود وتكليف

♦ ♦ ♦

على هذا نصير الذي رماه الإسلام ، وعلى لتشريع بني حبيب به شريعته . عتمد في إرساء قواعد العدالة الاجتماعية . وهذه الوسيلة المزدوجة نجح في إنشاء مجتمع إنساني متوازن متسق ، يعرض صوراً منه في فصل آب . أما الآن فكتفي باستعراض نموذج من تلك الطريقة في التشريع والتوجيه . ونختار موضوع الزكاة والصدقة لعلاقته بالدولة بموضوع هذا الكتاب

فرض الإسلام الزكاة حقاً في أموال القادرين للمحرومين حقاً تنمى صباه الدولة لمسلمة بحكم الشريعة ونفوه النقص . وبكسر رح يحصر الواحد على أداء هذا الحق . حتى يحسن أداء رعيه دائية من القادرين على الأداء

في تركه دكن من أركان الإسلام ، وضرورة من ضروريات الإيمان «عَذِّقْهُمْ تَوْحِيدُ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ حَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّعْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ وَاعُونَ» (٦) «ثَلَاثَ يَبَاتٍ الْقُرْآنَ وَكِتَابِ مُبِينٍ هَدَى وَشَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ كَلِمَاتٍ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَنُؤْتُوا زَكَاةً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» (٧)

(٥) سورة الزلزلة [١-٨]

(٦) سورة المؤمنون [١-٤]

(٧) سورة النمل [١-٣]

(١) سورة مجادلة [٧]

(٢) سورة ذى [١٦-١٨]

(٣) سورة طه [٧]

(٤) سورة الأبياء [٤٧]

وشركون الذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين لا يؤدّون الزكاة ، وويلٌ للشّركين الذين لا يؤتّون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرين .

وّدء الزكاة وسيه من وسائل الحصول على رحمته الله ، «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا زَكَاةً ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (١) .

والنصر من عند الله لمن يؤدّون هذا الحق ، ويقومون بواجبهم للمجتمع ، فيستحقون التمكين لهم في الأرض ، «وَلْيَنْصُرْ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَهْوِيٌّ غَوِيٌّ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةً ، وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ» (٢) .

والزكاة شريعة إنسانية حادثة نصمت أوامر الأنبياء صل الإسلام ، فلا دين غير هذا لوحي لا اجتماعي ، العريق بقول عن إسماعيل ، «وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ، وَكَانَ يُؤْمِرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَآتَى زَكَاةً وَكَانَ عَظِيمًا مُرْصِدًا» (٣) ويقول عن إبراهيم ، «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ، وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرِ بِالْإِيمَانِ وَالصَّلَاةِ وَآتَاةِ الزَّكَاةِ ، وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» (٤) .

والذين لم لا يؤدّوا هذه الواجب المفروض ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَمِنْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ ، مِثْلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا يُرْعَى بِهِ رِبَّتَانِ ، يَصُوفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِنَهْرَتَيْهِ ، يَعْجِي شِدْقَهُ ، يَقُولُ : يَا مَالِكُ ، يَا كَزْكَ» (٥) وهي صورة مفرقة مروعته محيطة .

هذه الزكاة حق مفروض بقوة شريعة ، مقدار في المال بحساب معلوم ونحوها الصدقة ، وهي موكولة بصير مفرد بلا حساب ؛ وهي وحي لوحاني واشعور ، ونفوسه التراحم والإحباء للذين عني مهما للإسلام كل العبادية تحفيها للترابط الإنساني والتكافل الاجتماعي . عن طريق الشعور انشعبي ، ولاحساس النفسي بالرحمة ، تسغ بذلك هدفين : التهذيب الوجداني العميق ، والخصائص الإنسانية الوثنية . وبالإسلام يجعل هذا التراحم إنسانياً خاصاً لا تقف حدوده عند الأخوة الدنية ، فيقول القرآن

(١) سورة الصلح [٦ - ٧]

(٢) سورة مريم [٥٤ - ٥٥]

(٣) سورة البور [٥٦]

(٤) سورة الانبياء [٧٢ - ٧٣]

(٥) سورة الحج [١٠ - ١١]

(٦) البخاري والسماني

«لَا يَنْبَغُ كُمْ لَّهُ عَنِ الدِّينِ سَمٌ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ»^(١) ويقول الرسول «ارحموا أهل الأرض برحمتكم من في السماء»^(٢) انصرفت المثل العالي في انزاح الإلهي . الحانص حتى من عصية الدين

ثم يحطو الحطوره الكبرى فشمّل بالرحمة كل من تنص فيه الحجة . قدل بني الإسلام الكرم «بما رحل عشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فملأ فيها فشرب . ثم خرج وإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال برحل ، لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بي فملأ منه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقي . فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له » فلو يا رسول الله وإن في الهائم لأحرأ ؟ فقال « نعم » في كل كبد رطبة أحرأ^(٣) وقال « دخلت مرأه نسر في غره رطبتها ، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض »^(٤)

فالرحمة في الإسلام أسس الإيمان وعلامته ، لأب دليل تأثر انصرفت بهذا الدين . وتعلله به

وعن هذا الأساس بوجه الإسلام إلى الصدقة ولبر ، ويجب في الإيفاء طوعاً وحتسناً ، وتصرف لوصاء الله وعوضه في الدنيا ، وثبوته في الآخرة . واحتساب بعصيه ونقمة وعدائه

فالشري بالمحبتين الطائعين لله الذين ينفقون من أموالهم لرصاه «وَنُشِرَ الْمُحْسِنِينَ ، لَدِينٍ إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَحِلَتْ قُلُوبُهُمْ . وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقْسِمِينَ لَصَلَاةٍ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ»^(٥) وهي صدقة مؤثرة في الوجدان حقاً ، يعيد رسله في مناسة أخرى يقول «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجُّدًا وَسَجَّوْا بِحُضُورِهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَجَافَى جُنُوهُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٦)

كما يصور الإيثار صوره حميه رفيقه في نفوس أهل المدينة الذين استقبلوا المهاجرين قلوبهم وشركوهم ما هم وبيوتهم في رحمة صلب وسدحة نفس «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، يُحِيطُونَ مَنْ هَجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُلُوبِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ،

(١) سورة الممتحنة [٨]

(٢) أبو داود والترمذي

(٣) الشحان

(٤) البخاري

(٥) سورة الحج [٣٤ - ٣٥]

(٦) سورة السجدة [١٥ - ١٧]

وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ - وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ حَصَصَهُ - وَمَنْ يُوَقِّ شَيْئًا فَلْيُؤْتِ هُمْ مَصْحُورٌ ١

وهي صورة للإنسانية العليا في أجمل صورها وأبدعها . وهناك صورة لا تقل عنها جمالاً ورقةً وعظماً جماعة من عباد الله . تذكر بعض المراجع أنهم عليّ وروحه وصمة ست الرسول وأهل بيته . يُؤْتُونَ بِأَسْرٍ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَأَنَّ شُرَّةً مُسْتَطِيرًا ، وَيُطْعَمُونَ أَطْعَامًا - عَلَى حَتَّةٍ - يَسْكِينًا وَيُسَبِّحُونَ وَيُسَبِّحُونَ بِمَا نَفَعَهُمْ مِنْهُ لَا يُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا . إِنَّ خِفَافًا مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا عَسَىٰ فَمُظْهِرًا . فَوَقَّاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بَصُرَةٌ وَسُرُورٌ ، وَخَرَّاهُمْ فِي صَدْرِهِمْ حَتَّةً وَحَرِيرًا . مُكْنِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا قَمَرًا . وَدَنَّتْ عَنْهُمْ صَلَافٌ وَذَلَّتْ قُصُوفُهَا بِذِيْلًا ، وَنَضَّافٌ عَلَيْهِمْ بَابُهُ مِنْ قَصَبٍ وَكُوبٌ كَأَنَّ فَوْرًا . قَوْدِيرٌ مِنْ قِصَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ، وَنُسَقُونَ فِيهَا كَأَنَّ كَانَ مَرَاغِبًا رَاحِبًا . عَتَبًا فِيهَا تُسَمَّى سُلَيْلًا . وَطُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَدًا مُحَلِّلُونَ إِذَا رَئَيْتُمْ حَسْبَهُمْ لَوْ تَوَضَّعُوا . وَدَنَّتْ . ثُمَّ دَنَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ كَيْفًا ، عَابَهُمْ ثَابٌ مُدْسٍ حَضَرٌ وَاسْتَرْقُ . وَخَرَّوْا أَسَاوِرَ مِنْ قِصَبٍ ، وَسَمَاهُمْ رِيثًا طَهُورًا . إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ٢

والصدقة قرص لله مضمون لقرص . «مَنْ دَا الْبَيْ يَفْرَضُ اللَّهُ قَرَصًا حَسَبَ قِيَّاسِهِ»
لَهُ وَلَهُ خَرٌّ كَرِيمٌ ٣ . «بِالْمُصَدِّقِينَ وَتَمَصَّدَاتٍ وَأَفْرَصُوا اللَّهُ قَرَصًا حَسَبًا نَصَافًا هُمْ ، وَهُمْ خَرٌّ كَرِيمٌ» ٤

أو هي نخرة راحة محرية . «وَالَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا زَكَاةً مِنْ سَرَائِهِمْ وَعَلَاةً ، يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ يَبُورَ ، لِيُؤْتِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَرْبِّدَهُمْ مِنْ قَضِيَّةٍ ، وَبَنَ عَصُودٌ سَكُورٌ» ٥

وعلى أية حال فهي مُحَيِّفَةٌ وليس فيها حَسَارَةٌ وَلَا ظَلَمٌ . «وَمَا تُفَقِّهُوا مِنْ حَيْرٍ فَلَا تُفَكِّهُكُمْ وَمَا تُفَقِّهُوا إِلَّا أَتَمَّاءَ وَحَدَّ اللَّهُ . وَمَا تُفَقِّهُوا مِنْ حَيْرٍ يَوْمَ لَيْكُم ، وَنَمَّ لَا تُطْعَمُونَ» ٦
والخفة في الآخرة جزاء كريم للمتقين . «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحَقِّ عَرْصِهَا

(١) سورة الحديد [١٦]
(٥) سورة طه [٢٩ - ٣٠]
(٦) سورة بقره [٢٢٢]

(١) سورة الحشر [٩]
(٢) سورة الإنسان [٧ - ٢٢]
(٣) سورة الحديد [١١]

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي الْأَسْرَاءِ وَلِصَّرَاءٍ ، وَأَنكَاطِمْ
الْعَقْدَ وَلَعَيْنَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾

و بصدقة تطهير للنفس والبدن ، وقد أمر الرسول أن يأخذ من قوم أدبوا واعتزفوا
بديونهم قسطاً من ما هم يصفون في البحر تطهيراً وبركة لهم ، وَأُخْرُونَ عَتَرُوا بِدِيُونِهِمْ ،
حَنَظُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا عَمِيَ اللَّهُ أَنَّ تَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ خَذَ مِنْ
أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلَّ عَلَيْهِمْ ، إِنْ صَلَاتُكَ مَكْنٌ لَهُمْ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ، أَلَمْ يَعْنُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْسُ كُتُوبَهُ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيُحْدِثُ لَصَدَفَاتٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ كُتُوبُ
الرَّحِيمِ ﴿١٢﴾

والإيمان يتوسل مع إيمان بهد الله وبحشدة منه ولعوف من سوء الحساب ؛ وسئل
على الفعل والتمسك والكف عنه قطع ، أمر الله به أن يوصل ، ويوع من نقص بهد
والإيمان في الأرض : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَأْتُوا اللَّهَ بِغُلُوبٍ أَلَيْسَ لَكُمْ تُقُوتٌ بِهَدِ اللَّهُ وَلَا تَقْصُوتُ
الْمِثَاقَ ، وَلَكِنَّ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخِفُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ،
وَأَكْثَرِينَ صَبَرُوا أَتَتَعَدَّى وَخَدَّ رِبِّهِمْ ، وَأَقْدُمُوا الصَّلَاةَ وَأَعْفَوْا مِمَّا رَفَقَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَيَتَذَكَّرُونَ
بِالْحَسَنَةِ الَّتِي آتَيْنَاكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ جَاءَتْ عَذَابٌ مَدْحُومٌ ، وَمَنْ صَبَحَ مِنْ آثَانِهِمْ
وَأَرْوَاهِهِمْ وَذُرْيَانِهِمْ وَأَسْلَاطُكُهُ تَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَ
عَقَبَى الدَّارِ وَالَّذِينَ يَنْقُصُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ،
وَيُقْسِمُونَ فِي الْأَرْضِ : أَوْثَاقُكُمْ هُمْ نَعْتُهُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » ﴿١٣﴾

والامتناع عن إيمان في سبيل الله هناك : «وَتَقِفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ » ^{١٤} التهلكة الهردية بتعريض النفس للعدا في الآخرة من الله ، والقمة في
لدنيا من لدس ، والتهلكة الجماعية ما يشيعه عدم الإتيان في المجتمع من تعاون وحلم .
وقس وأحقاد ، وصحف وإسحال .

ومع الحبر عتداء : «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عِيدٍ ، مَشْعٍ لِلْحَبِيرِ مُعْتَمِرٍ مُرِيدٍ » ^{١٥}

(٤) سورة البقرة [١٩٥]

(٥) سورة في [٢٤ - ٢٥]

(١) سورة آل عمران [١٣٣ - ١٣٤]

(٢) سورة لقمان [١٠٢ - ١٠٤]

(٣) سورة لرحه [١٩ - ٢٥]

«وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حُلَاةٍ مِثْلِهِ . قَهَّارٌ مُتَّبِعٌ سَمِيمٌ . شَاعِرٌ يُدَحِّثُ مُعْتَبِرٌ أُنِيمٌ »^١ . . معتد على حق الله ، وحق الجماعة ، وحق نفسه كعصو في جماعة

والبر يؤدي إلى الحنة وختار بأساً العقبة إليها والعقبة هي فك الرقاب ، وإطعام الطعام يوم الجوع والمترية «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ؟ فَكُ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْئَةٍ يَبْسُ دَا مَرَّةً ، أَوْ مَسْكِيًّا دَا مَرَّةً »^٢

وكف عن البر يؤدي إلى الدار ، ويسلك صاحبه مع الكفار «مَا مَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ . وَكُنَّا نَحُوصُ مَعَ الْخَالِصِينَ . وَكُنَّا نَكْتُمُ يَوْمَ أُنذِرَ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ »^٣ «وَلَا يَخْشَى الَّذِينَ يَسْحَلُونَ بِمَا تَعْتَمِدُ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ أَلَيْسَ ؟ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا نَحْنُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^٤ . «وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ أَهْوَائَهُمْ وَانْتَصِبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَشْرَهُمْ يُعَذِّبُ أَلَيْسَ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ . هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »^٥

• • •

وبس الكبر ما هو محرد الامتناع عن الزكاة ، والصدقة والإعناق كثيراً ما يدكران بعد و قبل ذكر زكاة ، مما يدل على أن الزكاة شيء مفروض محدد ، والصدقة والإعناق مطلقان غير محددين بصلاب عن أبي أمية - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أيها آدم بك إن سلك بعض خبر لك ، وإن تمسكه شرت لك » وعن بلال - رضي الله عنه - ، قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ما رزقت فلاتحاً ، وما سئلت فلاتمع فقنت يا رسول الله وكيف لي بذلك ؟ قال هو ذات أو انار »^(٧) .

لا أن إن العقاب قد يحل للباحين في أدب جرة ما نحلوا وسعر الحير ، ويصرب القرآن الكريم مثلاً في قصة نصيره ، قصة جماعة كانت لهم حقيقة بطعمون من ثمرها

(٥) سورة التوبة [٣٤ - ٣٥]

(٦) عسى والتردي

(٧) روى الطبري في الكبير وأبو الشيخ بن حبان في كتاب

الثراب ، ولحاكم وقال صحيح الإسناد

(١) سورة النجم [١٠ - ١٢]

(٢) سورة البلد [١٢ - ١٦]

(٣) سورة المدثر [١٢ - ١٧]

(٤) سورة آل عمران [١٨٠]

الغمراء ثم حطروهم أن يحلو ويسعو ، فدرت اندازة على الحديد ، وذهب الله شرها فأصبحوا دمين ﴿ إِنَّا نَلَوْنَهُمْ كَمَا نَلَوْنَا أَصْحَابَ كَهْبٍ إِذْ أَقْسَمُوا لَصُرِّمْنَاهَا مَصْحِينَ ، وَلَا يَنْتَشِرُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْحَتْ كَالصَّبِيِّمْ ، فَتَدَوَّاهُ مَصْحِينَ ، أَمْ نَعْلُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ أَلَا يَدْخُلُ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكُرٌ وَعَدُوا عَلَى حَرْبٍ قَادِرِينَ ، قَتَلْنَا رَأْسَهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ أَمْ نَحْنُ مُحْرَقُونَ فَإِنْ أَوْسَطَهُمْ أَمْ أَقَلُّ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ أَقَاوُ سَخَّانَ رَبِّنا إِنَّا كَدُّ طَلِيلِينَ فَأَقْبَلْ نَعْتَهُمْ عَلَى نَحْسٍ يَنْلَارُمُونَ قَالُوا ، وَيَلَّنَا ! إِنَّا كُنَّا طَائِعِينَ عَسَى رَبُّنا أَنْ يَنْزِلَ حِزْبًا مِمَّنَّاهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْثَرُ نَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ١

لذلك يدعو القرآن الكريم الناس لعدل قبل موت لأول ﴿ قُلْ بَعَادِي كَلْبِينَ مَوْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا نَسْعُ فِيهِ وَلَا جِلَالٌ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١

وأبواب الإيقاد تدور مع الحاجة وموضعها ، فالأقربون أولى بالمعروف ، ولكن
 صوامهم موصونون بهم يدكرون في معرض لحسن على الرخص الحب مع الأقربين ، فسر
 عاصمه بسامه قل أن تكون وحدان فراه ، وذكر ابن موصون عالماً بذكر الإيذان ، إذ
 كان دليل لايمان كما أسلف : **وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ،**
وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ، وَبِالْيَتَامَىٰ ، وَالْمَسَاكِينِ . وَلِحَاجِ ذِي الْقُرْبَىٰ . وَالْحَاجِرِ الْخَسِيرِ ، وَالصَّاحِبِ
بِالْحَبِّ ، وَبِالسَّبِيلِ ، وَمَا مَنَعَتْ بَيْنَكُمْ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مَخْتَلًا فُجُورًا**
لَّذِينَ سَخِرُونَ بِأَمْوَالِهِمْ لَسَّ بَلْخُلٍ **وَيَكْتُمُونَ مَا أَنَا لَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاعْتَدُوا**
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ^(١) **إِنَّمَا ثَوَابُ مَا يُقْفُونَ ؟ قُلْ مَا أَتَقْتُمُ مِنْ خَيْرٍ فَلْيُوَالِدِي**
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَبِالسَّبِيلِ **وَمَا تَقْتُلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلْيَدِّ اللَّهُ بِهِ عَيْنًا** ^(٢)

وهكذا ينصل الحار والصاحب بالودين والأقربين ، كما ينصل بالجمع لنمي
 ومسكين وابن السبيل كلهم سواء ، حتى ندس تفح مهم مائة ، كذا في وصيت من
 المسطح : قريب أبي بكر ، الذي شركه في حديث الإفك عن نة أبي بكر ، عائشة زوج
 النبي فإن الإسلام يدعو للصفح عنهم ، ويهي عن حرمانهم فلما حلف أبو بكر وهو
 في ثورة عصه على عرصه لسبوك كذا ، أن يحرم مسطحاً ما كان يبره به ، روت الآية
«وَلَا يَنْبَغُ أَرْثُو لَقَضَرٍ مِنْكُمْ وَلَسَعَفِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَتَّقُوا رَبَّهُمْ **لَا تُحِبُّونَ أَنْ تَتَغَيَّرَ اللَّهُ لَكُمْ** ^(٣) ؟

وهكذا يرتفع بالصور الإنساني في هذا المجال إلى مستوى رفيع كريم . نشرف به
 الإنسانية في عصارها جميعاً ، ونصحر به في حاجي ولحاصر والمستقبل إلى ما شاء الله
 ثم يرتفع بالر دانه ، فيحمله برأ بالله سبحانه ويرسم له هذه الصورة حسنة قال
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِّص**
فَمَنْ تَعَدَّى ؟ **يَا رَبِّ كَيْفَ عَوْدُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟** **قَالَ مَا عَلِمْتُ أَنْ عِبْدِي فَلَا**
مَرِّصَ فَمَنْ تَعَدَّى ؟ **أَمْ عَدِمْتُ أُمَّكَ لَوْ عَدَّتْهُ لَوْحْدَتِي عِنْدَهُ ؟** **يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَعْمِيَ**
فَالْيَا رَبِّ وَكَيْفَ أَطْعَمْتُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ **قَالَ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ اسْتَطَعْتُكَ عِنْدِي**
فَلَا فَمَنْ تَطْعَمَهُ ؟ **أَمْ عَلِمْتُ أُمَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوْحْدَتِ دَنِّ عِبْدِي ؟** **يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَعْمِيَ**

(١) سورة النساء [٣٦ - ٣٧]

(٢) سورة النور [٢١٥]

(٣) سورة النور [٢٢٢]

تسقي ! قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال ستسقيك عدي فلاذ هم تسقى أما أنت لو سقيته لوحدت ديت عدي^(١)

ثم يحمل للصدقة دأناً ترفعها عن أن تكون نفصلاً واستعلاء من لواحد على محروم . أو أن تكون رياء صادر عن شعور غير كريم ؛ لأن الصدقة إن هبطت دواعيها ، أو سعيها لمن على آخذها ، استحدثت عملاً حسيباً يؤدي النفس والحلق والصمير ، ويؤدي المحتسب كذلك في أرواده وفي رويطة وليس كالمس بالاحسان شيء يخص النفس وندى ، و يصرفها عن قبول الإحسان وليس كالرياء بالصدقة مفيد للصمير حقير في عرف الأخلاق والإسلام يحمل على دفع نفوس المعطين والأخذين جميعاً ، ويحرص على ذلك حرصاً شديداً

«مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ مَنَاحِيْلَ فِي كُنْ سُلَّةٍ مِائَةٍ حَقًّا ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَا وَلَا ذِي لَهُمْ أَحْرَمَ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ تُشْعَى ذِي وَاللَّهُ غَفِيْرٌ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْظُرُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْأَعْيُنِ وَالْأَذْي . كَالَّذِي يُنْفِقُ مِنْ لَه رِئَاءَ النَّاسِ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوٍ عَلَيْهِ ثَرِبٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَكَرَهُ صَنْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَعًا كَرُوا وَقَدْ لَا يَهْدِي الْقَرَمَ الْكَافِرِينَ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاهِ اللَّهِ وَتَشَبُّهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ يَرْتَوِي ، أَصَابَهَا وَابِلٌ فَانْتَأَتْ أَكْثُهَا صِغْفِيرًا ، فَإِذَا لَمْ يَحْصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ، وَاللَّهُ لَا يَعْمَلُونَ بِبَصِيرَةٍ أَيْدِيكُمْ أَنْ تَكُونُ لَهُ حَنَّةٌ مِنْ تَحِيلٍ وَأَعْيَابٍ تُحَرِّي مِنْ مَحْضِ الْأَنْهَارِ ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَأَصْنَاهُ أَكْبَرُ وَهُوَ ذَرِيَّةٌ صُفْعَاء ، فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ؟ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ^(٢)

وهذا يستحسن إحصاء الصدقة ودفعها سرّاً للمعوزين . حفصاً لكرامتهم من جهة ، ومنعاً للاحتياد والفخر من جهة أخرى . «إِنْ تَدْنُوا الصَّدَقَاتِ فَيَجْعَلْ هِيَ وَبِنْ تَحْفُوها وَتُؤْتُوها الْفَقْرَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»^(٣) ويتحدث النبي - صلى الله عليه وسلم - مثباً على الرجل «تصدق بصدقه فأخذها حتى لا يعلم شمالك ما يقول يمينه»^(٤) وهو تصوير سرع حميل لكنان الر واحتسانه في غير مصححه ولا إعلان

(٣) سورة البقرة [٢٧١]

(٤) الشيعان

(١) رواه سلم

(٢) سورة البقرة [٢٦٦ - ٢٦٦]

والإسلام بقدر عريته حب ابدات وحب عدل . ويفرر أن يشع حاصر في نفس الإنسانية لا يعيب « وأخضرت الأنفس الشخ » بعدلح هذا كله علاحاً نفسياً كما تقدم من لرعب والتحدير والحص والتصوير ، حتى ليتم له ما يريد ، وحتى ليطلب إلى هذه النفس اشححة أن تجود كما هو حبيب إليها عريز عليها « لَنْ تَأْكُلُوا أَلْبَرَّ حَتَّى تُفَقُّوا بِمَا تُحِبُّونَ » فتستحب إليه ، وتنمى الطيب تجود به . وبذلك يصل إلى غاية العدل وأصعب الحدود وأكرم اعطاء ، اسع من عماق الشعور ، ورفع الإنسان على نفسه ، وبعد حاب التسامي فيه على حاب لصرورة ، وحب لوحدن على حب العريرة ، وذلك في ذاته هدف يساني رفيع يستحق اخهد فيه ، فكيف وهو هدف اجتماعي ، لإيجاد التورن ومكافحة الحرمان ، وتحقيق التكافل بين الفادرين والمعاهرين ، وتكوين مجتمع متناسق متعاون سليم ؟

* * *

على هذا النهج - الذي توسع في عرض مودح منه - يسير الإسلام ، فيهتم بالإقناع يوجد في كلف شرع تكيفاً ، ويقف بالتكاليف عند الحد الضروري لسلامة لمجتمع . وفي حدود انطفة العامة خماهيم الناس ، ثم يحاطب الوجدن للإقناع بالتكليف ، ونسبو فوقه ما استطاع ، ليرتفع بالحياة لاسامة ويجدها دائماً تحيط بالصعود ، ويدع امجال لسيحاً بين لحد لأدنى المطلوب والحد الأعلى المرغوب ، تناسق فيه الأفراد والأحبال ، على مدى الأزمان والقرون .

وعلى هذا النهج قد سار في تحقيق العدالة لاجتماعية وفي النصين التاليين من هذا الكتاب حدث مفصل عن « سياسة الحكم » و « سياسة المار » وفيهما يتحلى عتماد الإسلام على وسيننه لأساستين التشريع والتوجيه في تحقيق العدالة لكبرى في كل حقن من حقول الحياة

ولقد أتى هذا النهج ثمراته كامنه في فجر الإسلام ، وطل يؤتها في فترات اقرون الأربعة عشر التي تلت . وبه نقادر على أن نعيددها في الحاضر والمستقبل ، حين يُفهم على حقيقة ، وحين يوجه وجهته ، وحين يسلك الناس طريقه الحق القويم

(١) سورة الساء [١٢٨]

(٢) سورة آل عمران [٩٢]

سياسة الحكم في الإسلام

كل حديث عن «العدالة الاجتماعية في الإسلام» لا بد أن يتم بالحديث عن «سياسة الحكم في الإسلام» تبعاً بقاعدة التي نسميها عند الحديث على «طبيعة لعدالة الاجتماعية» فيه ، وأنها تتناول جميع مظاهر الحياة ، وجميع ألوان الشدح ، كما تتناول القيم المعنوية والمادية متمازجة متناسقة

وسياسة الحكم ذات علاقة بهذا كله ، فضلاً على أنها الموط في النهاية سعيد التشريع ، وتعهد المجتمع من كل جوانبه ، وتحقيق العدالة والتوازن فيه ، وتوزيع المال حسب القواعد التي سماها الإسلام .

ولكلام عن «سياسة الحكم في الإسلام» بطون ويحتاج إلى مسحت خاص ، ولما كان قصديا في هذا الكتاب سان ما يختص بالعدالة الاجتماعية من هذه سياسة ، فسأحاول بمدر لإمكان أن تتناول هذا الجانب وحده ، وإن كنت الصعوبة في دراسة الإسلام أن أباحث بمحد كل جوانبه متماسكة ، وليس هناك معزل بين هذه الجوانب فهد الدين كله وحدة العبادات والمعاملات سياسة الحكم وسياسة لما . التشريعات والتوجيهات المعينه والسلوك الدي والآخرة كلها أجزاء مسفه في جهاز متكامل ، يصعب إفراد جزء منها بالحديث ، دون النظر إلى بقية الأجزاء . ولكن سأحاول بقدر الإمكان

• • •

بعض من يتحدثون عن النظام الإسلامي - سواء النظام الاجتماعي أم عدم الحكم وشكل الحكم - يتحدثون في أن يعقدوا لصلات وشانه بين وبين أنواع النظم التي عرفتها الشريعة قدياً وحديثاً ، قبل الإسلام وبعده . ويعتقد بعضهم أنه يحد للإسلام سداً قوياً حين يعقد الصلة بينه وبين نظام آخر من النظم العاديه القديمة أو الحديثة

إن هذه المحاولة هي إلا إحساس داخلي بهزيمة أمام النظم البشرية التي صاها الشر لأنفسهم في معزل عن الله . فما يعتر للإسلام بأن يكون بينه وبين هذه النظم مشابهة ، وما بصيره ألا يكون فالإسلام يقدم بشرة نموذجاً من النظم المتكامل لا تحد مثله في أي عدم عرفته الأرض ، من قبل الإسلام ومن بعده سوء . والإسلام لا يحاول ولم يحاول أن يعقد نظاماً من النظم ، أو أن يعقد بينه وبينها صلة أو مشابهة ، بل حذر طريقه متفرداً قدياً ، وقدم للإنسانية علاجاً كاملاً لمشكلاتها جميعاً

ولقد يحدث في تطور نظم الشريعة أن تلتقي بالإسلام قارة ، وأن تفترق عنه تارة
ولكنه هو نظام مستقل متكامل ، لا علاقة له بتلك النظم ، لا حين تنبثق معه ، ولا حين
تفترق عنه . فهذا الافتراق ودلالتنا على عرصين ، وفي أحدهما متفرقة ، ولا عبرة بالاتفاق
أو الاختلاف في الخريبات والعرضيات ، إنما المعول عليه هو الخطوة الأساسية ، والتصور
الحاصل للإسلام بطرته الأساسية وتصوره الخاص ، وعنه تنبثق الخريبات ، وتلتقي
أو تفترق عن خريبات في النظم الأخرى . ثم يمتص الإسلام في طريقه المنفرد بعد كل اتفاق
أو اختلاف

إن القاعدة التي يقوم عليها النظم الإسلامي تختلف عن القواعد التي تقوم عليها الأنظمة
الشريعة جميعاً . إنه يقوم على أساس أن الحكمة لله وحده . فهو الذي يشرع وحده
وسائر الأنظمة تقوم على أساس أن الحكمة للإنسان ، فهو الذي يشرع لنفسه . وهو
قد علم أن لا تنقيح . ومن ثم فـالنظام الإسلامي لا يتفق مع أي نظم ولا يحوز وضعه
بغير صفة الإسلام

ولست وظيفة الباحث الإسلامي حين يعرض للحدث عن النظم الإسلامي أن يتمسك
له المشابهة للموافقات مع أي نظام آخر قديم أو حديث ، فهذه المشابهة والموافقات - فضلاً
على أنها سطحية وحزلية - ووسيلة مصادفات في خريبات ، لا في التصور العام ولطرفة
الأساسية - لا تكسب الإسلام قوة كما يظن بعض المهرولين وطريقهم الصحيح أن يعرضوا
أسس دينهم لها ، وبإيمان كامل بأنها أسس كاملة ، سوء وافقت جميع النظم الأخرى أو
خالفها جميعاً ، وعزود تصبغ التأيد بنظم الإسلام من مشبهه وموافقات مع نظم الأخرى ،
هو إحساس باهرية كما قلنا ، لا يقدم عليه باحث مسلم . يعرف هذا الدين حق معرفته ،
ويبحثه حتى يحسنه

لقد عرفنا عدم في شأنه وتطوره نظاماً عدة . وليس النظم الإسلامي واحداً من هذه
النظم ، وليس حليطاً ماب ، وليس مستمداً من مجموعها . إنما هو نظام قائم بذاته مستقل
بمكرته متفرد بوسائله ، وعليه أن يعرضه مستقلاً ، لأنه شأن مستقلاً ، وسار في طريقه مستقلاً
هذه الاعتبارات لم تستع بصير الدكتور هيكل عن العالم الإسلامي بأنه «الإمبراطورية
الإسلامية» ، ولا قوله ، «إن الإسلام إمبراطوري» . وليس بعد عن فهم روح الإسلام
الحقيقي من القول بأنه إمبراطوري ، مهم فرق بين مدلول إمبراطورية الإسلامية ومدلول
الإمبراطورية المعروفة ، وليس بعد من فهم حقيقة الصلات في نظام الإسلامي من القول
بأنه إمبراطورية إسلامية !

ومن لعرب أن الدكتور هيكل في حديثه عن حكم الإسلام في «حياة محمد» أو
«الصديق أبو بكر» أو «الهاروق عمر» يلتمس اختلاف الحقيقي الداخلي بين طبيعة

الإسلام وصيغة سائر النظم التي عرفها العالم ولكنه ساق إلى هذين التعبيرين اسباقاً بحكم قوة إحياء المظاهر لأحسنة 1 ثم تشابه بعض المظاهر بين الإسلام والإمبراطورية وبحكم أنه لم يلاحظ ذلك الافتراق الأصل بين نظام يقوم على حاكمية الله وحده ، ونظام آخر يقوم على حاكمية الإنسان !

وحمل المظهر الشكلي هو نكوت العالم الإسلامي من عدة أقاليم متبينة الأجناس والثقافات ، يرجع أمر الحكم فيها إلى مركز واحد وهذا هو مظهر الإمبراطورية 1 ولكنه محدود مظهر ، والمعول عليه هو طسعة نظر هذا مذكر إلى الأقدم : وطسعة العلاقات سه وسب

كل متبوع بروح الإسلام واضريقته في لحكم يحرم بأنها تعد ما تكون عن الإمبراطوريات معروفة . فالإسلام بسوي بين المسلمين في جميع أحرء عام ، وبكر العصبات حسنة ولقومة والإقلمنة وتبعاً لهذه روح لا يحسن لأقدم مستعمرت ولا مواضع استعلان . ولا مانع نصب في المركز لعائده وحده لكل إقليم هو بصعة من جسم لعالم الإسلامي ، ولأهله سائر بحقوق التي لأهل المركز وإذا كان بعض الأقدم يحكمها والى من قبل المركز الإسلامي . فبما يحكمها بوصفه رجلاً مسلماً صليحاً لولانة ، لا بوصفه حاكماً مستعمرأ ، على أن كثيراً من هذه الأقدم المفتوحة كان يحكمها واحد من أهلها ، ولكن بصفته مسلماً صليحاً لهذه الولاية . وكذلك كان ما يحسن من أموال الأقاليم يفرق فيها أولاً . فإن فصل منه شيء رد إلى بيت مال المسلمين . ينفق على المسلمين كافة عند الحاجة ، لا ليخصص لأهل المركز الإسلامي ولو افتقرت الأقاليم . كما هو العهد في الإمبراطوريات

وكن هذا جعل المساواة بعده بين العالم الإسلامي . أو لأنه الإسلاميه تعبير أدق ، وبين الإمبراطورية ، ويكون لقول بأن لإسلام إمبراطوري 2 انزلاقاً مع اصطلاح عريب على روح الإسلام وعلى تاريخه سواء ، والأولى أن نقول به كان صلي التبعة ، لما فيه من فكرة قوية عن وحدة العالم ، وبم يرمي إليه من صم البشرية كلها إلى بونه متساوية متآخيه

لقد كان الدكتور طه حسين أدق في تعبيره وهو يتحدث في مقدمة كتابه 1 بعثة الكبرى - عثمان عن نظام الحكم الإسلامي ، فانقاس إلى جميع النظم الأخرى ، فبرى أنه يختلف في طسعته الأصلية عن سائرهم ، فذلك هو الحق عند النظر إلى روح الحكم وطبيعته ، لا إلى مظهره وجرثبته . وإن كان الدكتور طه حسين يجعل تقريره هذا مقدمة لنبذة أخرى قصيرة وهي أن الإسلام بصورته بني نحقق بها على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتبشحيين بعده إلى كان علته في ابرمان ، لا تملك البشرية أن تروها طويلاً 1

وهذه هي السمة التي يجعلها المشرقون وتلاميذهم في سلال الإسلامية معصية للقول بعدم صلاحية الإسلام لأن يكون نظم حكم في هذه الأيام !

كذلك لم نستع حديث من يتحدثون عن « اشتراكية لإسلام » و « ديمقراطية الإسلام » . وما إلى ذلك من الخلط بين نظم من صنع الله - سبحانه - وأنظمة من صنع البشر - تحسن طابع البشر وخصائص البشر من النقص والكمال ، والخطأ والصواب ، والضعف والقوة ، والهووى والحق - ببناء نظم الإسلام الرئاسي بزيء من هذه الخصائص ، كمثل شمل لا يأتيه سائل من بين يديه ولا من خلفه

إن الإسلام يقدم حيوياً مستقيمة لمشكلات الإنسانية ، يستمدّها من تصوّره الخاص ، ومن مبعده الدائى ، ومن أسسه الأصيبه ، ومن وسائله المتميرة ، وعليها حين بسعته ألا يكتف إلى مسايف وبطرب أخرى يفسره ، أو يصف إليه ، فهو مبعج متكامل ، ووحده متحاسة ، وإدخال أي عنصر غريب فيه كمثل أن يفسده - كالحمار الذئبق الكامل - أنه قطعة عربية عنه تعطل الجهاز كله ، وتظهر كأها رقعة فيه !

وأنا أدب هذه الكلمة الجملة هنا ، لأن كثيراً ممن انبست في ثقافتهم وأفكارهم قطع عرصة من أحجرة لنظم الأحسنه ، بحسبون أنهم يكسبون الإسلام قوة جديدة ، إذا هم طعموه بذلك لنظم وهو وهم خاطئ يفسد الإسلام ، ويبطل روحه عن لعمل ، وهو في الوقت ذاته إحساس حفي ناهزيمة ، ولو لم يعترفوا صراحة ناهزيمة !

* * *

يقوم النظام الإسلامي على فكرتين أساسيتين مستمدتين من تصوّره الكلي للأشياء والكون والحياة والإنسان فكرة وحدة الإنسانية في الحس ، والطبيعة ، والشأن وفكرة أن لإسلام هو النظام العملي العام ، الذي لا يقبل الله من أحد بعداً غيره . لأنه لا يقبل من أحد ديناً إلا لإسلام والدين في المفهوم الإسلامي - هو النظام العام الذي يحكم الحياة

فأما فكرة وحدة الإنسانية حساً وطبيعة وشأن ، فقد تحدثنا عنها من قبل بالتفصيل عند الكلام عن « أسس العداة الاجتماعية في الإسلام » .

وأما فكرة أن الإسلام هو النظام العملي العام ، الذي لا يقبل الله من أحد نظاماً غيره فهي مستمدة من أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - هو رسول الله إلى الدس كافة ، وأنه خاتم النبيين ، وأن ديه قوم ديس « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً نَبِّئِ الدَّس » ^(١) « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

(١) سورة ساء [٦٨]

«لَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»^(١) • رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ^(٢) «يَوْمَ اكْتُبَتْ لَكُمْ دِينُكُمْ
وَكُتِبَتْ عَلَيْكُمْ بِعَمِّي ، وَرَضْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا»^(٣) «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِنَبِيِّ
هِيَ أَقْوَمُ»^(٤)

«ولدين» في المفهوم الإسلامي هو المردف لكسبه «النظام» في الاصطلاحات
لحديثه | مع ضوابط للدلول للعقيدة في التصدير ، وبحث في لسوك ، «الشريعة في
مجتمع فكها داحيه في مفهوم «الدس» في الإسلام ومن ثم لا يمكن أن يكون هناك نظام
يقنه الله ويقره الإسلام ، ما لم يكن هذا النظام مستمد من لتصور لإسلامي الاعتقادي ،
ومتمثلاً في تنظيمات وتشريعات مستمدة من الشريعة الإسلامية دون سواها ، وأهم من
هذا كله أن يدعى أصحاب هذا النظام لألوهية الله وروبيته ، فلا يدعون لأنفسهم حق
إصدار شرائع والأنظمة لأن هذا الحق لله وحده في الإسلام ، وما يفترق اسظام الإسلامي
عن كل لأنظمة البشرية الاقترق لأساسي

ولكن الإسلام مع هذا لا يقصر الأحرار على عتاقه «لَا إِكْرَاهَ فِي دِينٍ قَدْتَبَيَّ
أُرْشِدُ مِنْ لَعْنِي»^(٥) بل يدع لهم أقصى «حرية وحماية في مراولة شعائهم الدينية
ويبلغ من دقة حسه هذه الحرية أن يحرص على المسلمين وحدهم «الزكاة» والجهاد ويحدد
في مقابها من أهل الدمة «الحرية» بهم شركاء في حماية الدولة الإسلامية هم ، وعبيهم
جميعاً بنفقاتها ، ولكنه لا يجعلها على أهل الدمة «ركاة» - كما أنه لا يحرص عليهم الجهاد -
إلا إذا ارتضوا هم وقبلوا ، لأن الزكاة فريضة إسلامية وعبادة خاصة بالمسلمين ، وكذلك
الجهاد وهو لا يريد أن يفسر أهل الدمة على عباده من عبادت المسلمين ، فأحد لم
مهم بصفته الدلية وحده ، ويصلي عنه لصفه التعدية مدخوطة في فريضة لركاة كما
يعيهم من الجهاد بحماية دار الإسلام التي يتمتعون بأمنها ورخائها وهذا مسهى دقة الحساسية
باعدل في معاملة الأحرار

والإسلام إذ يدع للأحرار حريتهم في هذه المخلود يتأثر بروحه العلية ، وهو على ثقة
بأنهم متى أتيح لهم أن يطوروا في الإسلام بصر تدبر وإمعان ، دون حيلولة من قوة مادية ، أو
جهالة فكرة ، فهم بمصطوهم يفتون إلى الإسلام الذي يحقق لتوازن التكامل بين جميع
الأهداف التي رمت إليها الديانات من قبله ، وبين جميع سرعات والأشواق في النمطرة

(٤) سورة الأسر ٩

(٥) سورة الفرق ٢٥٦

(١) سورة الأنبياء ١٠٧

(٢) سورة الأحراف ١٠

(٣) سورة مائدة ٣

الشريعة ، ويضمن للجميع المساواة المطلقة والتكافل لقاءه ؛ ويرمي إلى تحقيق الوحدة الإنسانية في دائرة التصور ودائرة الاستدلال

وقام النظام الإسلامي على هاتين الفكرتين كان دأثر في كونه ومخاضه ، جعله يلحظ في التشريعات وتوجيهات ، وفي سياسته الحكم ، وسياسة المال ، ومبادئ نظم التي نصمها . أنه لا يشرع بحس ، ولا حين ، إنما للأحاسيس جميعاً ، وللأجيال جميعاً ؛ فاتبع الأسس الإنسانية الشاملة في كل تشريعاته ونظمه ؛ ووضع لقواعد العامة ، والمدى الواسعة ، وترك الكثير من التطبيقات لتطور الزمان وبرور الحاجات ..

وهذا الاتجاه إلى القواعد الكلية واضح في «سياسة الحكم» التي يعقدها هذا الفصل بصفة خاصة

• • •

نقوم بطريقة الحكم في الإسلام على أساس شهادة أن لا إله إلا الله ومتى تقرر أن الألوهية لله وحده هذه الشهادة تقرر بها أن الحاكمية في حياة البشر لله وحده والله سبحانه يولي حاكمية في حده بشر عن طريق نصريف أمرهم بمشيئته وقدره من حيث وعن طريق تنظيم أوضاعهم وحياتهم وحقوقهم وإحسانهم . وعلاقاتهم وأرباطهم بشريعته ومهجه من حيث آخر . وفي النظام الإسلامي لا يشترك الله سبحانه أحد ، لا في مشيئته وقدره ، ولا في مهجه وشريعته . وإلا فهو الشرك أو الكفر ؛ وساء على هذه القاعدة لا يمكن أن يقوم بشر بوضع نظمته بحكم وشريعته وهو يسه من عند أنفسهم ؛ لأن هذا معناه رفض ألوهية الله ، وادعاء حصائص الألوهية في الوقت ذاته .. وهذا هو الكفر الصراح

وفي هذه القاعدة تختلف نظام الحكم الإسلامي في أساسه عن كل الأنظمة التي وضعها بشر سواء في ذلك نظم لحكم أو نظم لاجتماعي كنه . وهذا هو الذي لا يحل من استساغ أن يحل بين الإسلام وأنظمة البشر في الأسماء !

وتقوم «سياسة الحكم» في الإسلام بعد التسليم بمبادئ الألوهية الموحدة والحاكمية الواحدة - على أساس تعدد من لحكام . والطاعة من المحكومين ، والشورى بين الحاكم والمحكوم . وهي خطوط أساسية كثيرة تنفرد بها سائر لحظوظ التي ترسم شكل الحكم وصورتها . بعد أن ترسم بقاعدة السابقة طبيعته وحيثيته

(١) الفصل من الحكم . «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» (١) «وَأِذَا حُكِمَ بَيْنَ نَاسٍ أَنْ

(١) سورة النحل [٩]

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ » (١) « وَلَا يَحْرِمَكُمُ شَأْنُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » (٢)

« إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ نَاسُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مُحَمَّدٌ ۖ إِمَامٌ عَادِلٌ ۖ وَإِنْ نَعَصَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عِدَابًا ۖ إِمَامٌ جَائِرٌ » (٣)

فهو العدل المطلق الذي لا عمل ميرانه الحب واسمعص ، ولا تعذر قواعده الموده والشأن بعدل الذي لا يتأثر بقرابة بين الأفراد ، ولا بالتعاصص بين الأقوام ، يتمتع به أفراد الأمة الإسلامية جميعاً ، لا يفرق بينهم حسب ولا نسب ، ولا مال ولا جاه ، كما يتمتع به الأقوم الأخرى ، ولو كان بينهم وبين المسلمين شأن . وتنت فمة في العدل لا بدعها أي قانون دولي إلى هذه اللحظة ، ولا أي قانون دحي ، بل لا يقار بها كذلك !

والذين عاروا في هذا عليهم أن يراحموا عدالة لأقوياء والصعفاء بين الأمم ، وعدالة المتحررين بعضهم بالنفاس إلى بعض ثم عليهم أن يراحموا عدالة أبيض بلحمر وسود في لولايات لمجده ، وعدالة البيض للمووب في جنوب إفريقيا ، وعدالة الشيوعيين ووثيين وانصليبيين للمسلمين في روسيا ولصين وبوغوسلافيا وأهد وانجشة (٤) وفي الإشارة ما يعني فهي أحوال معاصرة يعلمها كل إنسان

والمهم في عدالة للإسلام (٥) لم تكن مجرد نظريات ، بل أحدثت طريقها إلى رفع الحياة ، فحفظ « الواقع لتاريخي » منها مثله متواترة ، وسيأتي تفصيلها في موضعها الخاص

إد نحن هنا بصدد عرض « إحدى » الإسلامية مجردة كما ندل عليها بنصوص

(ب) وأطاعه من المحكومين « مَا أَتَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَ اللَّهِ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (٦) وللجمع في لآة بين الله والرسول وأولي الأمر معاه في بيان طسعة هذه الطاعة وحلودها . فالطاعة بولي الأمر مستمدة من طاعة الله والرسول ، لأن ولي الأمر في الإسلام لا يطاع لذاته وإنما يصح لإدعائه هو لسلطان الله واعترافه له بالحكمة ، ثم لقيامه على شريعة لله ورسوله ومن اعترافه بحكمة الله وحده ، ثم تعمله لهذه الشريعة يستمد حق الطاعة . فإذا انحرف عن هذه أو تلك سقطت طاعته ، ولم يجب لأمره بفقد يقول صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - « على المرء السمع والطاعة بما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة » ويقول « اسمعوا

(٥) راجع أصول المسلمين متعصبين ١١

في كتاب « دراسات إسلامية » للزيت

(٦) سورة نساء ٥٩

(٧) شيخان

(١) سورة النساء [٥٨]

(٢) سورة الأنعام [٦٥٢]

(٣) سورة المائدة [٨]

(٤) الشيخان والترمذي

وأطيعوا - وإن استعمل عليكم عبد حشني كأن رأسه زينة - ما أقدم فيكم كتاب الله تعالى ^(١) .
وواضح في هذا الحديث توقيت السمع والطاعة بإقامة كتاب الله تعالى . فليست هي الطاعة المطلقة لأوامر الحاكم ، وليست هي الطاعة بداعة ولو ترك شريعة الله ورسوله .

ويجب أن نفرق بين قيام الحاكم بسفد الشريعة الدينية . وبين استبداده بسطان من صفه دينية لشخصه . فليست للحاكم سلطة دينية يتلفها مباشرة من السماء ، كما كان لبعض الحكام في القديم في نوع الحكم المسمى « تيوقراطية » . أي هو يصحح حكماً دحتر باسمين يكامل وحريتهم 'مظلمة' . لا يقدمهم عهد من حاكم قبله . ولا ورنه كذلك في سرقة ثم يسجد سجنه بعد ذلك من قيامه سعيد سريعه الله دون أن يدعي نفسه حو التشريع متداه سلطان داني به . فإذ لم يرصد المسلمون لم نقيم له ولاية ، وهذا رصوه ثم ترك شريعة الله لم تكن له طاعه

ومن هذا ندرك حكمه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أنه لم يعين سابعته من بعده . إذ كان هذا مظنة أن يستبد جميعته سلطة دنة داتيه من استخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم - له

إن الإسلام لا يعرف هيئة « دينية » مثل « هيئة الإكليروس » في الكنيسة المسيحية والحكم الإسلامي ليس هو الذي تقوم به هيئة معينة . ولكنه كل حكم تنفذ فيه لشريعة الإسلامية إقرار من الحاكم بأن الحاكمية لله وحده ، وأن مهمته هو لا تتعدى تنفيذ الشريعة . فإذا كان معنى « الحكومة المدنية » في أية ديانة أو طائفة معينة هي التي تتولى الحكم ، فإن هذا المعنى يستلزم في الإسلام انتهاء كاملاً ، وليس هناك مبرر لأن يعهم أحد أن الحكم في الإسلام يحتاج إلى أكثر من تنفيذ لشريعة الإسلام . بعد إفراد الله سبحانه بحق الحاكمية

كل حكم يقوم على قاعدة أن الحاكمية لله وحده ، ثم تنفيذ فيه الشريعة الإسلامية ، هو حكم إسلامي . وكل حكم لا يقوم على أساس إفراد الله سبحانه بالحاكمية ، ولا تنفذ فيه هذه الشريعة ، لا يعترف به الإسلام ، وهو قامت عليه هيئة دينية ، أو حمل عبوياً إسلامياً ، و صاعه من المحكومين موطه وموهونة فقط دعاراف الحاكم بأن حكمهم لله وحده . ثم تنهيه لشريعة الله ، فلا شرط آخر غير العدل في الحكم وطاعة الله

(ج) والمشورة بين الحاكم والمحكومين « وشاورهم في الأمر » ^(٢) « واورهم شورى

(١) البخاري

(٢) سورة آل عمران [١٥٩]

يُهمُّ^(١) والشورى أصل من أصول الحياة في الإسلام . وهي توسع مدى من دائرة الحكم ، لأنها قاعدة حياة الأمة المسلمة كما تدل الآية . أما صيرورة الشورى ، فلم يحددها نظاماً خاصاً ، وتطبيقها ، دون متروك للظروف والمقتضيات . فقد كان لرسول - صلى الله عليه وسلم - يستشير المسلمين - فيما لم يرد فيه وحياً - وبأحد برأيهم فيما هم أعرف به من شؤون ديارهم ، كحواقيع الحرب وحفظها . سمع برأيه في عروة بدر ، فنزل على ماء بدر بعد أن كان قد نزل على معدة منه ، وسمع برأيه في حفر الحديق ، وسمع هم في الأسرى محالداً رأي عمر ، حتى نزل الوحي بتأييد عمر . أما ما كان فيه وحياً . فلا مجال فيه للشورى بطبيعة الحال ، فهو مقرر من مقررات الدين .

وكذلك سار الخلفاء في استشارة المسلمين . استشار أبو بكر في شأن ما يعني الزكاة والمقدونية في محاربتهم . وكان عمر يعرض أولاً ، ولكنه يذهب إلى رأي أبي بكر اقتناعاً به . بعد ما فتح الله قسره له ، وهو يرى أن بكر بصر عنه . واستشار هل مكة في حرب الشام على رعم معارضة عمر . واستشار عمر في دخول لأرض الموبوءة وسهى إلى رأي . ثم وحد نصاً من السنة يؤيده فالترمه . وهكذا كانت للشورى لا على نظم مقرر مرسوم . لأن الظروف الواقعية كانت تعين أهل الشورى في كل فترة بحيث لا يلتبس الأمر في شأنهم ولكن عمومية الأمر تدع المجال مفتوحاً لأشكال متعددة من النظم والطرق لا يحددها الإسلام ، اكتفاء بتقرير مبدأ العام .

على أن الحركة الإسلامية في كل فترة تعين هي بطبيعتها أهل الشورى من أهل البلاء وسبق والرأي ، في يسر لا تعرفه الأنظمة الشريفة^(٢)

* * *

ليس للحاكم إذن - فيما عدا الطاعة لأمره . والصالح له والمعونة على إقامة الشريعة . حقوق أخرى ليست لأي فرد من عامة المسلمين

ومع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن حاكماً فحسب ، بل كان صاحب الشريعة ، فقد سس للحاكم حدوده في دائرة ما منحته الإسلام من حقوق ، وسار خلفاءه على هذا - كما سيحيى في فصل الواقع لندرجي - فكان يُقَص من نفسه إلا أن يعفو صاحب الحق عنه ، وحاءه صاحب دين فأعبط عليه ، فهم المسلمون به فُشار عليهم أن

(١) سورة الشورى [٣٨]

(٢) تفصيله لاحمال في فصل « مجتمع شورى » في كتاب « نحو مجتمع إسلامي »

يدعوه . لأن لصاحب الحق مقالاً^(١) وقال - صلى الله عليه وسلم - « لا يحل بي من عبدكم هذه إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم »^(٢) .

وقال لعشرته وأهله الأقربين « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أعتى عنكم من الله شيئاً يا بني عبد ماله لا أعتى عنكم من الله شيئاً » عباس بن عبد المطلب لا أعتى عنك من الله شيئاً . ويا صفية عمه رسول الله لا أعتى عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سلمي ما شئت من مالي ، لا أعتى عنك من الله شيئاً^(٣) وقال لعبي وفاطمة ، أحب بس إليهم « لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تلوي بطونهم من الخوارج » ورسولهما في مرة « لا أخدمكم وأدع أهل الصفة بطونهم »^(٤) ورسول « إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم لتبريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه لو كانت فاطمة تقطع يدها »^(٥) .
فليس لحاكم إداري حق رائد في الحدود ، ولا في الأموال ، وليس لأهله حق فيها غير ما لرحل من عامة المسلمين

وليس للحاكم أن يعتدي على أرواح الناس وأجسادهم ، ولا حرمانهم وأموالهم هذا هو أقم الحدود ، وبعد المرائض ، فقد انتهى إلى آخر حدوده ، وتقطعت سلطته على الناس ، وعصمهم الله من سخطه أرواحاً وأجساداً وحرماناً وأموالاً .
ولقد ضمن الإسلام ، في الأمر صراحة عامة ، تلك الأرواح والأجساد والحرمان والأموال . بصورة لا تدع محالاً شئت في مدى حرصه على صيانة الأمن والسلام والكرامة

مجمع
« يا أيها الناس مَن لا يَدْحُوْهُ يَبُوْتًا غَيْرَ يَبُوْتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوْا وَتَسْمِعُوْا عَنِ أَهْبِيْهِ »^(٦)
« وَلَا تُجَسَّسُوْا »^(٧) والحديث « كل لمس على لمس حرام دمه وعرضه وماله »^(٨)
والنفس بالنفس والخروج قصاص

* * *

وحين يصبى الإسلام سلطه الإمام فيما يختص شخصه ، يوسع له إلى أقصى الحدود في رعاية المصالح المرسله للجماعة . تلك المصالح التي لم يرد فيها نص ولقي تنجده بتحدد الزمان والأحوال والتفاعلة العامة أن للإمام لمسم القائم على شريعة الله أن يحدث من الأقضية بقدر ما يجد من مشكلات ، تنفيذاً لقوله تعالى « وَمَا حَقَّ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

(١) أبو داود والنسائي

(٤) رواه الجماعة

(٢) متفق عليه

(٥) سورة نور [٢٧]

(٣) حديث رقم ٥٩٦ من المسند

(٦) سورة العنكبوت [١٢]

لأستاذ أحمد محمد شاكر

(٧) الشيخان

«تحريج»^١ وتحقيقاً لأهداف الدين بصفة ، في إصلاح حال الفرد وحال الجماعة ، وحال الإنسانية كلها ، في حدود مبادئ المقررة في الإسلام ، وشرط لعدم أيدي بحب توفره في الإمام .

فكل ما يوقع بالأمة صرراً من أي نوع ، على الإمام أن يريه ، وكل ما يحقق للأمة نفعاً من أي نوع ، عنه أن يقوم به ، على ألا يخالف نفعاً منصوص الدين . وهي سلطات واسعة تتناول جوانب الحياة كلها ونحقيق العدل الاجتماعي بكل ملاساتها داخل في هذه السلطات . منه أن تتحرك في الناحية المالية مثلاً ، فريضة زكاة إلى صرائب أخرى يتحقق بها اعتماد وتطور ، وتزول بها الأحقاد ونصعثن ؛ وترفع بها عن الأمة مصدر بؤس ، ومصدر الشظف ، ومصدر احتشاس الدل في أيدي منه من الناس ، ولكن دون أن يتخل بصر أو يعاقله أساسية من قواعد الحياة الإسلامية . فليس له أن يحمي الناس . فيتأخذ كل ما هم وبدعهم فقراء ؛ أو يجعل مورد رزقهم كلها في يديه يستند أعناقهم ؛ ويحبسهم عبيداً له ؛ ويفقدهم القدرة على أن يقوموا بواجبهم في السعي بحرة والرقابة انواعه ، وتعتبر لمكر أياً كان مصدره . فإن هذا كله لا يتأتى للأفراد قط ، ثم تكن لهم موارد رزق خاصة لا يحكم فيها الإمام ولولاة . فبدي عليك مورد رزق تدل له رقاب اعباد !

ولواقع لتدريج في حياة الأمة الإسلامية قد حوى نماذج كثيرة من رعاية المصالح والمرسلة - دور إحلال بقواعد الحياة الإسلامية التي أشرنا إليها - وهما تلك تطبيقات مستطاعة في كل وقت ، والإسلام ليس نظاماً متحجراً ، بتطبيقاته التمهيدية لا تقف عند عصر من العصور ، ولا بيئة من البيئات . وكل ما يريد الإسلام تثبيتته هو القواعد الأساسية التي تحدد ملامحه العامة . وتحصص لمجتمع المسلم من الدول في المجتمعات الحادية . أو تحرمه القدرة على قيادة هذه المجتمعات التي جاء لقيامها .

* * *

وبعد عهد حديث عن الناحية « الرسمية » في « سياسة الحكم في الإسلام » ووراءه ناحية « لتطوع » التي يتجاوزها « التوجيه » ، بفرصه « لتشريع » على طريقة الإسلام في كل تكاليفه ونظمه .

فسياسة الحكم في الإسلام تقوم على أساس من نصمير ، فوق قيامها على أساس من التشريع . تقوم على أساس أن الله حاصر في كل لحظة مع الحكيم والمحكوم ، رقيب على

(١) سورة الحج [٧٨]

هذا و قدث « ما من عبد يسرع به الله رعيه فلم يحطها بصبيحة إلا لم يجد راحة الجنة » (١)
« وَلَا تَكُلُوا مِمَّا كُنْتُمْ يَسْكُمُونَ لِتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيُنَازِلُوكُمْ بِغَيْرِ قَدَرٍ مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَتُؤَسِّسُ
بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (٢) ..

فالرعي والرعية مطالبان كلاهما برعاية الله في كل تصرف ، وحشية الله هي الضمانة
الآخيرة في تحقيق العدالة . وقد مر بنا أن الإسلام يوطئ بالصمير البشري بعد تهديده أمور
كباراً في الحدود وفي الأموال ، فإذا لم تكن حشة الله في هذا الصمير ، فلا ضمان ، لأن
لتشريع يمكن الاحتياز عليه ، ولتستر دونه ، وغش الحاكم ولقاضي وأساس
ولا يفهم من هذا أن النظام الإسلامي الاجتماعي قائم على هذا الصمير وحده .
ولكن الذي يسعى أن يفهم هو أن في الإسلام ضماناً آخرى غير مجرد التشريع وهي
نحسب له - من ناحية القدرة على التحقق - ميزة على نظم التي تعتمد على التشريع وحده ،
بلا تخرج من ضمير ، ولا حساسية في الشعور
وسرى فيما بعد أن هذا للصمير الذي رماه الإسلام وهديه ، قام بأدوار خطيرة ،
وجاء بما يشبه المعجزات والحوادث في حياة المسلمين على مر العصور

(١) نسيخان

(٢) سورة البقرة [١٨٨]

سياسة المال في الإسلام

لعل الحديث عن سياسة المال هو أدخل شيء في الحديث عن « لعدالة الاجتماعية » ولعل الكثيرين من القراء قد استعدوا موعده في هذا الكتاب . وهم يقرأون لمصوب لأولى منه إلى هذا الموضع . ولكني كنت أتعهد هذا الإبطاء به تعمداً ، فالعدالة الاجتماعية في الإسلام شيء أكبر من سياسة المال . كما عرفنا - وكان من الواجب أن يكشف عن نظرة الإسلام الكاملة إلى هذه العدالة - وأن نستعرض طبيعتها وأسسها ووسائلها في محطتها الواسع ، قبل أن نستعرضها في عهد المال وحده ، كما تصنع المبادئ المادية ، التي تركز من قيم الحياة كلها على قيمة المال .

والإسلام يسير في سياسة المال على هدى نظريته العامة ، وفكرته الشملة ، يلاحظ أولاً في هذه السياسة - سياسة المال - تحقيق معنى العبودية لله وحده ، بأن ينحصر تداول المال شرع الله . وهذا الشرع يحقق مصلحة الفرد ويحقق مصلحة الجماعة ، ويقف بين دلت قوماً لا يصدر الفرد ولا يصار الجماعة ، ولا يقف في وجه الفطرة ، ولا يعوق من الحياة الأصلية ، وغاياتها العليا البعيدة .

وهو يشع في تحقيق هذه سياسة وسينثيه الأسسيتين التشريع والتوجيه فيبلغ بالتشريع الأهداف العممية الكممية تتكون مجتمع صاحب قابل للرفق والبناء ويرمي بالتوجيه إلى التسمي على الضرورت ، والتطلع إلى حياة أرفع ، والرفق بالحياة إلى عدم المثل ، الذي لا يملك الجمع أن يرتفعوا إليه في جميع الأحوال ، ويدع لذات دائماً مفتوحاً للرفق والكمال .

وبصرف هنا مثلاً واحداً بشأن المال ، قل أن نتحدث بالتفصيل عن « سياسة المال » لقد جعل الإسلام حق المال هو الزكاة ، وهو ما يقاتل عليه الإمام الناس إن امتنعوا عنه . وما يفرضه عليهم بحق التشريع ، ويقدر معين معلوم ، ثم جعل للإمام الحق في أن يأخذ بعد الزكاة ما يجمع به الضرر ، ويرفع به الحرج ، ويصول به لمصلحة لجماعه المسمين ؛ وهو حق كحق بركته ، عند الحاجة إليه ، موكول إلى مصلحة الأمة وعدالة الإمام ، وقواعد النظام الإسلامي العام .

هذا في حدود التشريع ، أما التوجيه فقد حب إلى الناس أن يسلحوا من كل ما لهم ، ويعفوه كله في سبيل الله . فهذا أبو ذر العماري - رضي الله عنه - يروي عن محمد - صلى الله

عنه وسلم . يقول - حرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً نحو أحد وأما معه ، فقال : يا أباذر : فقلت : لبيك يا رسول الله فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة ، إلا من قال كذا وكذا - عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه - وقيل : يا هـ . ثم قال : يا أباذر : فقلت : نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال : ما يسرني أن ي مثل أحد ، أنفق في سبيل الله ، أموت وترك منه قبراً طيناً . قلت : أو قطريين يا رسول الله قال : بل قبراً طيناً . ثم قال : يا أباذر ، أنت تريد الأكثر وإن أريد الأقل^(١)

« » »

ذلك هو لتشريع ، وهذا هو التوجيه ، وهما معاً قوام سياسة الدين كما أنهما قوام كل سياسة في الإسلام
وبعد فلنأخذ في التفصيل والبيان

الملكية الفردية

حق الملكية الفردية

نقرر لإسلام حق الملكية الفردية لمدن - بوسائل لتملك المشروع التي سيرد بيها بعد قليل - وبجعلها هي قاعدة نظامه ، ويرتبط على حد التقرير نتائجها الطمعة في حفظ هذا الحق لصاحبه وصيانيته له عن السرقة أو السب أو السب أو الاختلاس بآية طريقة من الطرق ، أو المصادرة بدون ضرورة عامة مع التعويض المحض الذي لا عين فيه وبصع الحدود الرادعة لكافة هذا كله ، فوق ما يصح من التوجيهات التهديدية لكف النفوس عن التطلع إلى ما ليس له ، وما هو دحل في ملك الآخرين ، كما يرتب عليه نتائج الأخرى ، وهي حق التصرف في المال ببيع وإيجارة وهدية ووصية . إلى آخر حقوق التصرف الحلال ، وفي نطاق لحدود التي سها للتصرفات .

ولا شبهة في تقرير هذا بحق الواضح لصريح في الإسلام ولا شبهة كذلك في أنه قاعدة لحياة الإسلامية وقاعدة لاقتصاد الإسلامي بقاعدة التي لا تحالف إلا لضرورة وبقدر هذه لضرورة «لِلرَّحَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُ لَهُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُ لَهُنَّ»^(٢) .
«وَتَوَاتُوا إِلَيْتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَمْدُدُوا إِلَيْهِمْ بِلَطْفٍ»^(٣) «وَمَا لَجِدُ فَكَانَ عَلَامَتَيْنِ

(١) الشجاعة والفراسة والنسابة

(٢) سورة النساء [٤٢]

(٣) سورة النساء [٢]

يَسْتَحْرِجَانِ كَرِهَ مَا رَأَى مِنْكُمْ أَنَّ يُضَاعَفَ لَكُمْ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَثِيرٌ مِمَّا سَأَلْتُمْ عَنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَقَدْ حَرَّمَ لَكُمْ فِي الْفَحْشَاءِ مَا يَشْتَعِلُ مِنْهُ نَارُ ، وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ .
فَهُوَ شَهِيدٌ^(١)

وعقوبة السرقة الصارمة دليل على احترام هدي الحق وصيافته ، ومع الاعتداء عليه
«وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا حِرَاءً يَدَيَّ كَسْنَا بَكْرًا مِنْ اللَّهِ»^(٢) .

أما العصب فهو محرم مبعوث من يحتج به قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
«مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَأَرْضٍ شَيْئًا طَوْفَهُ مِنْ سَعِ رَضِي»^(٣) «مَنْ قَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مَسْمُوعٍ بَعِيرٍ
حَقَّ لِقَى اللَّهِ عَرَّ وَحَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ عَصَابٌ»^(٤)

وكحق الملكية حق الإرث والتوريث : «لِرَّحْلِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ» «نُوصِيكُمُ اللَّهَ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ
حِصَّةِ الْأُنثَى» «يَسْتَفْتُونَكَ . قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرْتُ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَندٌ وَلَهُ
أُخْتُ فَلَهَا نَصْفُ مَا تَرَكَ . . . الْح»

وتقرير حق الملكية الفردية يحقق عدالة بين جهد وإحراء فوق مسيرته لفطرة ،
واتفاقه مع الميول الأصيلة في النفس البشرية ، تلك الميول التي بحسب الإسلام حساب في
إقامة عدم لمجتمع ، وفي الوقت ذاته يتفق مع مصدحة الجماعة بإعزاء الفرد على بدل أقصى
جهد في طوقه لخدمة الحياة فوق ، يحقق من العزة وتكرامه والاستقلال ونحو الشخصية
للأفراد بحيث يصلحون أن يكونوا أماء على هذا الدرس ، يفعلون في وجه المسكر ، ويحاسبون
بحاكم ويصحبونه ، دون خوف من انقطاع أروافهم لو كانت في يديه !

والفرد محقوق بفطرة حب الخير لذاته «وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» مطبور على
حب بحيرة وانص عما يملك «قُلْ لَوْ أَنَّمْ تَمِيكُونَ حَرَائِرَ رَحْمَةِ رَبِّي ، إِنْ لَأَمْسَكْتُمْ
خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ» «وَأُخْصِرْتُ الْآنَاسُ شَحًّا» . مطبور كذلك على حب دريته وأربعة
في أن يورثهم متاح كده ، وأمال الذي يسخره لهم إن هو إلا عمل محترق في صورة مان ،
يؤثر به الرجل دريته على متاعه محاص في حياته ولا صير من محارة هذه ميول لعطرية ،
لبذل الفرد أقصى طاقته ، وهو مشط مقبل على لعن والانتاج ، لأنه يني أشوقه وحاجات

(١) سورة الكهف [٨١]

(٢) سنن أبي داود واللمظ البخاري

(٣) حرجه الشيخان

(٤) حديث رقم ٣٩٤٦ مسند الإمام أحمد

(٥) سورة المائدة [٣٨]

بشر الأسناد أحمد شاكر

نفسه ، ولا يحسن أنه مسخر للعمل ، ولا يبدى جهده كارهاً ولا يائساً والجماعة هي التي
تعيد بعد ذلك من جهده هذا وكده ، والإسلام يصنع لقواعد التي تتيح للجماعة هذه الفائدة ،
وتتضمن كف الأذى من إصلاق حرية الفرد . ونقرر حق المسكنة الفردية له

والعدالة تقتضي أن سي لنظام شوق الفرد وبرزني ميونه - في الحدود التي لا تنصر
الجماعة - حراً ، ما يدل هذا الفرد من طاقته وجهده - وعرق حسه ، وكدح فكره ، وكده
أعضده والعدل أكثر قواعد الإسلام وبعده لا اجتماعية لا تكون دائماً على حساب الفرد
فهو للفرد ، كما هي للجماعة متى شئت أن تسلك طريقاً وسطاً ، وبحق لعدالة في جميع
صورها وأشكالها في الحياة

وفصلاً على هذا كنهه فب أن أحداً لا يحرم بأن تحطيم الحوافر الطبيعية بمعونه يتبع خير
للفرد وللجماعة ، وسواء انظر بالفطره هو اندي يعن طريقاً واحداً للعدله ، بتحطيم هذه
الحوافر وبقوف في وجهها ، كما أن النظريات الخيالية التي لا تعرف «واقع» هي التي
تفترض أن هذه الحوافر يمكن القضاء عليها من الخارج بالنظم والتشريعات في حل أو
عدة أحيان . والإسلام لا يسوء طبعه بفطرة إلى هذا الحد ، كما أنه لا يعتمد على إقامة سياه
على لحيا ، متجاهلاً كل الواقع العميق !

كذلك يمكن القول بأن احترام الإنسانية تقتضي أن نطرح إليها نظرة أعمق وأكثر
إدراكاً لعمق طبيعتها ، وأصلها فطرتها ، ونأصل خلورها ، فيكون أكثر تعقلاً ، وأشد
تحرحاً ، وأدق تفكيراً في محاولة بوحيتها ، وإقامة نصيبها ، ودلائل ملايين سنين التي
عاشها بشرية لا يجوز أن تذهب مسى ، لنفترض نظريات عن ميوها ومطرتها وسلوكها ،
ثم نطبق هذه اسطريات نصياً وقسراً !

أما تقرير حق الإرث والتوريث فقد سبق الحديث عن عنه في فصل «التكافل
الاقتصادي» وهو يتمشى مع لفطرة التي تحدثنا عنها هنا ، كما يتمشى مع العدالة في
مستواها الأعلى ، ومع مصلحة الجماعة في حلول النظرية الشملة ، التي لا تصعب الحواجر
بين أهل الأجيال من سي لإسار ! وحدث عوق أنه وسيلة من وسائل تثبيت لثروة
كما سيحي .

طبيعة الملكية الفردية

وبكى الاسلام لا بدع حق الملكية الفردية مطلقاً بلا قيود ولا حدود - كالنظام الرأسمالي -
فهو ضرره ، ويفرر بحواره مبادئ أخرى ، تجعله أداة لتحقيق مصلحة الجماعة بنفس بدرجة
التي تتحقق بها مصلحة الفرد المالك سوء * وهو شرعه ويشرع له الحدود والقيود ،
التي ترسم بصاحبه طرقاً معينة في نمته وإدفعه وتدأونه ومصلحة الجماعة كاملة من وراءه .

هذا كله ، ومصلحة الفرد ذاته كذلك ، في حدود لأهداف الحلقة التي نقيم لإسلام عليها الحياة .

وأول مبدأ يقرره الإسلام - محور حق الملكية الفردية - أن الفرد أشبه شيء ، بالوكيل في هذا من عن الجماعة ؛ وأن حيزه به إنما هي وظيفة أكثر مما متلاكاً ، وأن من في عمومته إنما هو أصلاً حق للجماعة ، والجماعة مستحقة فيه عن الله ، الذي لا يملك شيء سواه . والملكية الفردية بشئ من بدل الفرد جهداً حصصاً لحيزه شيء معين من هذه الملكية بصفة التي استخلف الله فيها جسد الإنسان

حاء في القرآن الكريم «أَمْرًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَقِمْوْا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحِقِينَ فِيهِ»^(١) ولا يحتاج نص الآية إلى تأويل ليؤدي المعنى الذي فهمناه منه ، وهو أن من الذي في ندي بشر هو مال الله ؛ وهم فيه حلفاء لأصلاء . وفي آية أخرى في صدد المكاتب من الأرقاء «وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ»^(٢) فما يعطوهم هذا المال من ملكهم ، ولكنهم يعطوهم من مال الله وهم فيه وسطاء

وهناك ، هو أصرح من هذا في حقيقته ملكية المال الفردية ، بوصفها ملكية التصرف والاستماع - وهذا هو الواقع ؛ فالملكية العينة لا قيمة لها بدون حق التصرف والاستماع . وشرط نفاء هذه الوظيفة هو انصلاحيه للتصرف ؛ فإذا سمع التصرف كان لئوي أو للجماعة سرداد حق التصرف «وَلَا تُؤْثِرُوا أَنْفُسَهُمْ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ، وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ»^(٣) . فحق التصرف مرهون بالرشد وبحسن القيام بالوظيفة ، فإذا لم يحققهما لذلك وقعت لتنازع الطبيعة للملك وهي حقوق التصرف . ويؤيد هذا المد أن الإمام ورث من لا ورث به فهو من الجماعة وطف فيه فرد ، علما أن قطع حقه عدم المال إلى مصدره

ولست أقرر هذا الأصل لأقرر شيوعه المال . فحق الملكية الفردية حق أساسي واضح في الصمم الإسلامي . ولكي أقرره لما فيه من معنى دقيق مفيد في تكوين فكرة حقيقية عن طبيعة ملكية الفردية ، ونقصها هذا لأصل لعدم في نظرة الإسلام إلى المال ، واختلافها كلية عن النظرية الرأسمالية في الملكية الفردية . ولعلنا أوضح أقرر أن شعور الفرد بأنه مجرد موظف في هذا المال الذي في يده والذي هو في أصله ملك للجماعة ، يجعله يتقبل

(١) سورة الحديد [٧]

(٢) سورة النور [٣٣]

(٣) سورة النساء [٥]

الفروض التي يصعها لنظام على عاتقه ، والقبود التي يحد بها تصرفاته ، كما أن شعور الجماعة بحقوقها لأصل في هذا المال . يجمعها أجراً في فرض نفروض ، وس الحدود - دون تجاوز لواعد لنظام الإسلامي التي أشرنا إليها - وينتهي بهذا إلى قوعد تحقق عدالة لاجتماعية كاملة في الاجتماع هذا المال

وسد آخر يقرره الإسلام في ملكية لدن ، هو كراهيته لأن يحبس في أيدي فئة خاصة من الناس ، يتداول بينهم ، ولا يجده الآخرون ، « كَيَّ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ »^(١) ومعنى هذا أن يؤخذ بعض المال من الأغنياء فملكه الفقراء ولهذا النص قصة تعيدنا ههنا في فهم هذا المبدأ الإسلامي العام

بعد هاجر المهاجرون مع نبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة ، فأما الفقراء فما كان لهم ما يملونه معهم ، وأما الأغنياء فقد تركوا أموالهم خلفهم ، فهم فقراء كالفقراء . ولقد سحبت نفوس الأنصار وارتفعت على أشج الطعري الكامن في نفس المسرية . هاجر المهاجرين في كل شيء يمكنهم ، حتى في أحص حصصياتهم ، عليه نفوسهم ذلك ، سمحة قلوبهم « نُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْنَا ، وَلَا يُحِبُّونَ فِي صَلُوبِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ »^(٢) ولذلك كانوا مودعين رتعا ما يصعبه العبيد ، سفوس ، وصبروا مثلاً حميلاً للتخفيف من صعب الضرورات ولا انطلاق إلى أرحم الأشواق

ولكن الفجوة ظلت واسعة بين أثرياء المدينة ، وفقراء المهاجرين ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يرى سمحة الأنصار وسخاءهم ، فلا يجد أن به حاجة لأن يظف إليهم أكثر مما بدلوا . ولا أن يكفهم رد بعض من مواضع عن المهاجرين ، وهم يؤخسونهم في كل ما يمكنهم . إن أن كانت موقعة « بني النضير » التي لم تقع فيها حرب - بل سمب للنبي صلحاً ، فكان هؤلاء كله لله وللرسول بخلاف ما يقع فيه الحرب ، فتكون أربعة الأحماس للمقتولين ، والخمسة وحده لله وللرسول . عندئذ رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يعيد جماعة المسلمين شيئاً من الثوار في ملكية المال ، فخرج في « بني النضير » للمهاجرين خاصة ، عدا رحبين فقيرين من الأنصار ، تطبق عليهما الحكمة التي أوجت إليه تنصيب هذا النبي للمهاجرين

وفي هذه الواقعة يقول القرآن « مَا آتَاكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ »

(١) سورة العصر [٧]

(٢) سورة العشر [٩]

وَيَدْرِي لَقَدْ رَئَىٰ ، وَالْيَتَامَىٰ ، وَالْمَسَاكِينَ ، وَاتَّبَعَ السُّبُلَ - كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ - وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ قَضَاءً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا .
وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ١١

ودلالة هذا ، لتصرف من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهذا انتعيل لذلك لتصرف في القرآن ، غير حافية ولا في حاجة إلى بيان ؛ فهي تقرر مبدأ إسلامياً صريحاً ، هو كراهة احساس الثروة في أيدي قليلة في الجماعة ، وضرورة تعين الأوصاع التي تقع فيها هذه الظاهرة تمليك الأمراء قطعاً من المال لئلا يكون هناك نوع من التوازن ، و " كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ " ذلك أن تصحح المال في جانب ونحساه في الجانب الآخر ، مثال مصدرة عظيمة ، فوق ما يثيره من أحقاد وأصعب . فحيثما وجدت ثروة مائضة ، كانت كاتفاقة الحيوية المائضة في الجسد ، لا بد لها من تصريف ، وليس من المصور دتماً أن يكون هذا التصريف نظيفاً ومأموراً ، فلا بد أن تأخذ طريقها أحياناً في صورة ترف مفسد للنفس مهتد للجسد ، وفي صورة شهوات تقصي ، تحدد متعسها في الجانب الآخر المحتاج إلى مان ، يصل إليه عن طريق سبغ العرص والانتجار فيه ، ومن طريق الملق والكذب وفناء الشخصية ، لإرضاء شهوات الذين يمدكون المال ، وعميق عروهم وحيلاتهم ، ولحصر يركب الصعب ، وصاحب المال المتصحح لا يسه إلا أن يجد متصرفاً لفائض من حيويته ، والفائض من ثروته . وليست الدغارة وسائر ما يتصل بها من حمر وميسر ونجارة رقيق وقودة . وسقوط مروءة ، وضبح شرف سوى عرص لتصحح الثروة في حذب وانحصارها عن اجناس الآخر ، وعدم التوازن في المجتمع نتيجة هذه التفاوت

ذلك عدا أحقاد النفوس ، وتغير القلوب على ذوي الثراء الفاحش من المحرومين الذين لا يجدون ما يفتقون ، فهم إما أن يحقدوا ، وإما أن تبوى نفوسهم وشهوات ، وتنصاع قيمهم لدنية في نظر أنفسهم ، فتكون عليهم كراماتهم أمام سطوة لمن ، ومصدر الثراء ، ويصبحوا قطعاً آدمية حقيرة صغيرة ، لا هم لها إلا إرضاء أصحاب الثراء والحاه .
.. وهذا ما وقع في القدم الرأسمالي .

والإسلام على كثرة ما يشيد بالقيم المعنوية ، لا يجعل أثر قيم الاقتصادية ، ولا يكلف اناس فوق طاقتهم البشرية ، مهما تسمى بهم عن الضرورات الارضية بذلك كره أن يكون المال دولة بين الأغنياء فحسب ، وجعل هذا أصلاً من أصول نظريته في سياسة المال

وأوجب رد بعض هذا المال للفقراء ، ليكون لهم مورد رزق مملوك لهم ، يصمم لهم الكرامة والادائية ، ويحبهم قادرين على الصيام بأمانة هذا الدين في التعبير على المنكر من الأحكام والمحكومين سوء

على أن هناك نوعاً من الأموال التي لا يجوز احتجازها للأفراد ، عند الرسول منها ثلاثة الماء ، والكلأ ، والدر «أساس شركاء في ثلاث - في الماء والكلأ والدر»^(١) ، بوصفها موارد ومرفق عامة ضرورية لحياة الجماعة في بيئته العربية ، ولانتفاع بها للجماعة كلها على وجه التنبوع والمشاركة العامة ، وبصيرورة حياة الجماعة تحتمل في بيئة عن بيئة ، وفي عصر عن عصر ، ولقياس وهو أحد أصول التشريع في الإسلام - ينسج لسوها عند التطبيق مما هو في حكمها - على ألا يؤثر ذلك في القواعد الأساسية لنظام الإسلامي ، ولا يحد لأفراد جميعاً من ملكيتهم الخاصة بصحواً أحراراً عند الدولة ، فإن للدولة عندئذ تمتد استرقاقهم واستدلال رعاياهم بأشد ما يملك الأفراد الأثرية ، لأنها تصمم قوة المال إلى قوة السلطان !

وهناك جزء من المال هو حق بعض المحتاجين في الجماعة ، وهو المفروض في صورة زكاة «والدين في أموالهم حق معنوم للسائل والمحروم»^(٢) وهو يخرج من ملكية دهي الزكاة إلى ملكية مستحقي الزكاة «أي لصدقات للفقراء والمساكين»^(٣) . وهو حق تأخذه الجماعة ثم ترده مرة أخرى إلى الأفراد المحددين . فتكون قطعة الجماعة حيث هي نقل الملكية الفردية من جهة إلى جهة ، ومن يد إلى يد أخرى

فخلاصة الحقيقة عن طبيعة الملكية الفردية في الإسلام أن الأصل هو أن المال للجماعة في عمومها ، وأن الملكية الفردية وصيغه ذات شروط وهيود ، وأن بعض المال شائع لا حق لأحد في امتلاكه . يستمع به الجميع على وجه المشاركة ، وأن جزءاً منه كذلك حتى يرد إلى الجماعة لترده على ذات معبته فيها ، هي في حاجة إليه ، لمصالح حالها وحال الجماعة معها

وسائل التملك الفردي .

ويرب الإسلام على طريقته هذه لطبيعة الملكية بتأجيلها بسلطة ، فيصنع لشروط للتمسك ، بحيث لا يخرج عن مصلحة الجماعة ، ومصلحة الفرد لدولة في مصلحة الجماعة لا تفصل عنها أبداً

فهو يقرر أولاً أن الملكية لا تكون إلا سلطان من الشرع «والشارع في حقيقة هو

(١) ذكره صاحب مصابيح السبيل في جنان

(٢) سورة ص [٢٤ - ٢٥]

لدي أعطى الإنسان ملك تربيته على حسب شرعي ، وهذا جاء في بعض التعريفات
« أن الملك حكم شرعي مقدر في العين أو المصلحة ، يقتضي تمكين من يضاف إليه من التصرف
بالشيء » وأحد المعوص عنه »

« وهذا المعنى ، وهو أن الملكية لا تثبت إلا بإثبات الشارع وتقريره ، أمر متفق عليه
بين فقهاء الإسلام ، لأن الحقوق كلها ، ومنها حق الملكية لا تثبت إلا بإثبات الشارع لها ،
وتقريره لأساسها ، فالحق يسبب شيئاً عن صداع الأشياء ، وبكيفية ما شئ عن إبداء الشارع .
وجعله السبب منتجاً لمصلحة شرعاً »^(١) .

ولهذا الحكم قيمته في توصيف نظرية الإسلام في حق الملكية ، فهي تملك من شارع ،
محدد في الجماعة ، شيئاً خاصاً ، لم يكن يحق له ملكه بولا هذا التملك . لأن الأصل
أن المال من الله مستحق فيه هو الإنسان ، وكل دون شخصه لا بد أن يصدر من شارع
حقيق أو حكماً

ويعمل هو الوسيلة الوحيدة بين حق التملك في الإسلام . يعمل بكل أنواعه وأنواعه
وفي هذا من المصلحة بين الجهد والخراج ما فيه . ولسان ذلك يقول إن وسائل التملك ابتداء
للمال التي يعترف بها الإسلام هي

أولاً : الصيد . وهو الوسيلة البدائية الأولى في حياة البشرية ، وإن كانت ما تزال
وسيلة للحصول على نوع من المال في الأوساط التي ارتقت وتحضرت . فصيد السمك
واللؤلؤ والمرجان والإسحاح وما إليها مورد صحة من موارد الدول والأفراد . وصيد الطير
والحيوان هوانة وتجارة

ثانياً : حياض الموات من الأرض التي لا ملك لها ، بأية وسيلة من وسائل الإحياء
ولا بد من أن يقوم الفرد بإحيائها في ظرف ثلاث سنوات من وضع يده عليها . ولا يقطع
حق ملكيتها لها . لأن المعرض هو إحياء الموات لتحقيق المصلحة العامة في الاستفادة به .
وثلاث سنوات محدث كلف لقدرة واضح يبد على هذا الإحياء ، فإن لم تتبين هذه القدرة
عادت لأرض الموات التي لم يكن لها مالك للجماعة ، لا يحتكرها فرد منها « عادي
لأرض لله ورسوله ، ثم لكم من بعد ، فمن أحيا أرضاً ميتة فهي له ، وليس لمحتكر حق
بعد ثلاث سنين »^(٢)

والقانون الإسلامي هذا حكم من قانون توصي ، يستمد من قانون ترمسي هي

(١) « ملكه ويطلق به العهد في السيرة الإسلامية » للإستاذ الشيخ محمد نور محمد أسعد بشر به الإسلاميه بقلبه الحقوق
بجامعة القاهرة .

(٢) رواه أبو يوسف في كتاب « الخراج » عن نبيث عن جده

هد لقانون يكفي اوصع بيده مده خمس عشرة سنة . لتصح الارض ملكاً لوصع الي .
سواء أحيها أم تركها مواتاً في هذه المدة وفيما بعدها كذلك . فالحكمة هنا منتعية لي تقرير
حق الملكية ، ونظرة « الأمر الواقع » هي وحدها التي تتحكم ، ووفق بين النظرة الإسلامية
ونظرة القانون الوصفي كبير !

ثالثاً استخراج ما في باطن الأرض من المعادن (الركاز) ، وهذا العمل يحصل أربعة
أحساس ما يستخرج من معدن منكأ لم يستخرجه ، والحمد لله ركة ، إذ كب هذا الركاز
منكأ يحصل عليه الفرد نفعه وكده . وهنا لا بد من كلمة نقاب . فقد كان ما يستخرج
من الركاز إلى الوقت الذي شرع فيه هذا الحكم هو من المعادن القليلة المستعملة . كالحديد
والقصص . وهذه ليست من ضروريات الجماعة كلها كالنرول والفحم والحديد ، فهل يلحق
النرون والفحم والحديد وما في حكمها بالضروريات بشاعه كالماء وبكلاً والبر . أم
بإركاز الذي كان معروف في أوائل عهد الإسلام ؟ نحن عيب إلى رأي المالكة في اعتبار
هذه الأنواع منكأ عاماً ، لا تنتقل ملكيته إلى ملك الأرض التي وجد فيها ، لأن منكأ للأرض
لا يعني تملك ما فيها ، إذ ليس لملكها تلك الأرض وتطلب في المعاد

رابعاً تصحيح إساءة الحامة . فهي بحاجة حيوية ، وتحقق منفعة لم تكن تحفظها وهي
حامة أو تحسب وطبقها بحيث تؤدي منفعة أكبر . وبهمة العمل . بأنواعه . واصحة في
هذه العملية

خامساً التجارة ، وتنقسم مراحل متعددة قد يقوم بها كنها فرد واحد أو أفراد
متعددون ولكن العاية التي تتحقق في النهاية هي نقل لأشياء الحامة أو مصنعة من يد إلى
يد ، مما يريد الانتفاع بالحامة أو سلعة

سادساً عمل بأحر للآخرين . والإسلام يحترم هذا العمل ويعظمه ، ويدعو إلى
توفيره أخره معجلاً كمالاً غير منقوص فالقرآن يعري العمل ، ويعمله معرضاً للاضطرار ،
محلاً بنظر ولحكم « وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » (١) . وفي
ذلك إعراء بالتحويد والإتقان ، كما أن فيه تعظيماً للعمل يجعله موضع النظر ، والتقرب
والتأمل وفي موضع آخر يحص على السعي والاضطرار في الأرض من أحده « فَاْمَشُوا
فِي مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » (٢)

والرسول الكريم تنورد أحاديث تترى عن قداسة العمل « إن الله يحب عبد المؤمن
المحرف » (٣) « ما أكل أحدكم طعاماً قط حبراً من عمل يده » (٤)

(١) سورة التوبة [١٠٥]

(٢) سورة النحل [١٥]

(٣) من حديث ذكره القرطبي في التفسير

(٤) البخاري

وعلى أساس هذه النظرة للعمل ، يحترم الإسلام حق العمل في الأجر فهو يدعو أولاً إلى الوفاء به ، وسر من يخور عليه من أصحاب العمل بحرب من الله وخصومة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « قال الله عز وجل ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره »^(١) ولجميع بن هذه المعاصي ثلاث ، وتوحيد الخراء عليها ، ذو دلالة خاصة ، فالمعصية الأولى هي حياة وعذر لدمة الله ، والثانية هي حريضة إهدر للإسبانية حر وأكل ثمنه والثالثة هي كسل عرق لأجره ، وهي كآكل ثمن أجر عذر بالإسبانية ، وكحانة العهد بعد الحلف بالله سدر سمة الحائق وكل منها يستحق الحرب من الله والخصومة ، لشأنها ووصوح معنى العذر فيها

وهو يدعو ناساً إلى التعجيل بأداء هذا الأجر ، فلا يكفي أدائه كمالاً ، بل لا بد من أدائه عاجلاً يقول الرسول الكريم « أعطوا الأجير حقه قبل أن يحف عرقه »^(٢) والإسلام يلاحظ في هذا حاجة نفسية وحاجة واقعية في حياة العامل ، فلهما الحاجة النفسية فهي إشعاره بالعبودية والاهتمام ، فالسرعة في أداء الأجر تحسن هذا المعنى ، فيشعر بأن جهده مقدر وأن مكانه في المجتمع محسوب وأنما الحاجة المأقمة فالأول العامل عالماً ما يكون محتاجاً لأجره أولاً بأول ، يسد به ضروريته هو وأهله وعياله ، وتأخير أدائه يؤذيه ، ويحرمه ثمرة جهده وعرقه في أنسب أوقاتها عنده ، ويقلل من نشاطه ورعشه في العمل والإسلام حريص على أن يعمل كل من يستطيع ، بنفسه ما يستطيع ، مشتمعاً بالرصى المصني ولا كتمان المادي .

ولقد طسب الإسلام إلى العمل في مقابل هذه العسبة بحقه أن يقوم هو من حاسبه بتحويل العمل وإتقانه بشكل حق مهمل من نواح في الإسلام وذنك طبيعي من حاسبه التعادل بين الجهد والخراء ، وطبيعي كذلك من السحية الحقيقية التي يحرص للإسلام على أن تكون أساساً للحياة فالغنى والإهمال في العمل دليل عسار لدمة ونومة الصمير ، والندحاح فيها والاعتقاد عليها من شأنه أن يدع تلك الدمة حر ، وهذا الصمير حر ، فوق ما يصيب مصالح الجماعة كلها من عسار وضطراب

ولا بدخل لها في تفصيلات نسبة أجر لعامل ولا القاعدة التي تقوم عبي وهل هي لساعات التي تنفق في إنتاج سلعة أم « الوقت الاجتماعي » كما تقول الماركسية ! فهذه بحوث تفصيلية موضعها لكلام عن « الاقتصاد الإسلامي » في بحوث متخصصة

(١) البخاري

(٢) ذكره صاحب مصابيح السنة في الصحيح

سابعاً : العز ، وشأنه من كفة النسب وهو كل ما مع القنيل المشرك الذي يقتنه مسلم « من قتل قنبلاً له عليه بيعة فسلته به »^١ كما شأنه ملكية الغيمة ، وأربعة أحاسيس للمخاريين ، وحمسها لله وأرسوا « وَأَعْتَمُوا أَيْمَانَكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ حَمْسُهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي قُرْبَىٰ وَلِإِيتَامَىٰ وَلِمَسْكِينٍ وَتِسْ سَبِيلٍ »^٢ ثامناً : إقطاع استيطان بعض الأرض التي لا مال لها ، مما آل إلى بيت مال المسلمين ، من المشركين الذين لا ورثة لهم ، فالإمام وبهم ، ومن لأرض الموات لا مال لها كذلك وقد أقطع النبي - صلى الله عليه وسلم - أن بكر وعمر أرضاً ، كما أقطع الحلفاء من بعده . مكافأة على جهدهم وخدمته بالإسلام ، ولكن في حدود صفة ، ومن الأرض التي لا مال لها والأرض الموات عند جاء من أمة فهو ليس وتقطعوا الأرض بسواهم ، فكانوا موكفاً طمعة ، لا حلفاء راشدين كما ينبغي .

تاسعاً : الحاجة إلى المال للحياة فالإسلام شرع صرف أموال لركة في وجوه معينة « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ يُعْتَقَرُ ، وَالْمَسْكِينُ ، وَالْإِيتَامِيُّ ، وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ ، وَفِي الرُّقَابِ ، وَالْغَارِمِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَتِسْ السَّبِيلِ »^٣ فكان الإنسان واحداً من هؤلاء يحده صاحبه حق في ملكية نصيب من أموال الركة . وبعضهم لا يعمل شيئاً إلا كونه محتاجاً ، فالحاجة هنا تدفع اضطراري من العمل الذي يكرمه الإسلام . وتعمله النسب الأول والأخير بين الامتلاك

عاشرأ : شتى صور « العمل » التي تتحدد ، وتتمثل في بدن جهده عقلي أو عصبي تلك هي لأسباب التي اعترف بها الإسلام سبباً بتمتلك ابتداء ، فأما ما عده فهو سكره ولا يعترف به ، فالسبب ولهب والبعض والسرقة ووضع اليد لا نسب ملكاً ، وكذلك المفكرة فهي حرام « إِنَّمَا الْحَمُّ ، وَالْمَسْرُ ، وَالْأَنْصَابُ ، وَالْأَرْلَامُ رَحْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »^٤ ولما الذي يأتي عن طريق المحرم محرم ، لأن القمار سبب عملاً ، إنما هو انشور ، فوق ما يقع من العداوة والبعضاء بين المتقارفين مما يتنافى مع حطة الإسلام الأولى في بث روح نودة والتعاون والإحسان « إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ »^٥

١٦ صحاح والترويض : ١٠٠

٢ سورة لاهال [٤١]

٣ سورة المائدة [٩ - ١١]

وحكمة تلك الأساليب واضحة في اعتمادها كلها على بذل الجهد ، والجهد به حراء ، وهو من مقومات الحياة ، وهبة تحقيق لعمارة الأرض ، وإفادة المجتمع ، وتهذيب النفس . وتطهير الصميم وتصحيح السيرة ، فليس كالعامل مهذب لروح . مقوّر للحسد ، حافظ لكيون الإنسان كنه من عوامل الترهل والكسل وبحمول

وما دام العمل - شتى صورة - هو سبب التملك ، فتقرير حق الملكية الفردية في الحدود التي يتبأ لا بصره أحد ، بل يصح مجازاً بحث الفرد على بذل أقصى الجهد ، ليرضي رغبته في الاستحواذ ، ما دام يعمل في الحلود مشروعه فلا يصارُ أحداً . وإذا جاز عن هذه الحدود فالتطيرين إلى العمل هو رده ريباً ، لا وقفه عن النشاط ، وسويته بالقاعدتين والعمليين وصعاف الاستعداد ، ولا كفه عن التملك أصلاً بحجة أحد التطيرين على سوء الاستعداد سوء الاستعداد له علاجه ويمكن التدخل لكفه بقدر الضرورة .

وتمشياً مع نظرية الإسلام في ملكية المال ابتداءً ، فإنه يتدخل في طريقة نقل هذه الملكية فلا يدع الحرية فيها مطلقة ، ويبدو هذا في نظام الإرث ولوصية والبيع وسائر العقود ، أما أهنة والمهذبة فهما وحدهما انعكاس من كل قيد ، المتروكة فهما الحرية لصاحب المال أن يهب من ماله أو يهدي وهو حي كيف شاء . لأنهما قيداً من داخل النفس ، هو صاحب المال لا يهب عادة ولا يهدي إلا بعض ماله ، فلا ضرر على وارث . كما يقع في الوصية ، فإذا أسرف كان سبيح التصرف ، وتعرض للحجر عليه ، أي سلب حق التصرف في ملكيته

فأما حين ترتفع يده عن المال فينتقل إلى من بعده من الورثة أو الموصي إليهم ، كما يتم حسب نظام موضوع به حكمته وبه متراته «فلا وصية بوارث» ولا وصية في غير الثلث ، وهو الحد الأقصى وقد شرع بوصية - كما قلنا - تتلاني بعض الحالات التي يحرم فيها من الإرث أقرباء توجب صلاحهم أن يكون هم نصيب ، ولكن درجهم تحلل عبرهم من الورثة بحجوبهم عن الميراث ، كما أنها بهذا الاعتبار وحده من وجوه الر والصدقة

وينتقل المال بالإرث حسب النظام المدين في نبي الميراث (وقد سبق نصهم في فصل متكامل الاجتماعي) .

وأما لعدم في الأنصبة أن لذكر مثل حظ الأنثيين - وقد كشفنا عن حكمة هذا التسميم من قبل - وأن الورث العاصم مقدم على ذي الرحم ، وإن كانت هناك حالات يحرر فيها ذو الرحم نصيب أوفى . وذلك حراء وفاق على ترتيب التبعات في مقدس الحقوق .

هناك مناصب مكلف بحمل ثلوث سمات أكبر هالود مثلاً يرث الكل بعد نصيب
 الحد والحد ، لأنه هو المكلف أولاً أن ينفق على أهله لو احتج في حياته ، لأح الشقيق
 محجب عن الشقيق ، لأنه هو الذي يجب عليه النفقة شرعاً عديم بحجر شقيقه عن الكسب
 وهكذا تنوع المعارف والمعارف أو الواجبات و حقوق في هذا النظام توزيعاً عادلاً
 ولقد تحدثنا عن حكمة مبدأ لوراثته في فصل التكافل الاجتماعي بما فيه الكفاية ،
 وبيننا اتساقه مع مبادئ الإسلام الأساسية في هذا التكافل ، وفي نظرة إلى علاقات
 بين الأقرباء وبين الخيل والأحيال ، ومراعاته كدث للمفطرة والمبول وحاجب مفرد
 والجماعة على السواء .

هنا نتحدث عن حكمة نظام الإرث في أحوال الجماعة .

لقد رأينا أن لإسلام يكره مكسب الثروات ، ويصدرها في أيدي قليلة . ونظام الإرث
 لإسلامي أداه لتفتت الثروات المضخمة على توالي الأجيال ، فملكية الواحدة تنتقل إلى
 العديد من النرية والأقارب بمجرد وفاة المالك ، فتنتقل إلى ثروات متوسطة أو صغيرة ،
 وقبلاً تبقى كلها موحدة مع هذا النظام إلا في حالات نادرة لا يقاس عليها ، كأن يموت
 لملك وليس له إلا ولد يرث التركة كلها ، لأنه ليس به أب ولا أم ولا زوجة ولا بنت
 أما في الأحوال العادية فالثروة تتوزع على عدة أفراد

هذا نحن وارد بين هذا النظام ونظام الإنجيري مثلاً ، الذي يحبس التركة كلها بلاس
 الأكبر . نيتت بحكمة الإسلام واصحة في تفتت الثروة المشككة ، فوق ما في نظامه من
 عدالة بين الورثة ، لا تحق الصدور على الولد الكبير

طرق تنمية الملكية

ونمشأ مع نظرية الإسلام كدث في ملكه المال ، يتدخل في طريقه نميته ويتعامل به ،
 فلا يدع الحرية مطلقة لصاحب المال أن يتصرف به في هذا السيل كيف شاء فإن وراء
 مصلحة الفرد مصلحة الجماعة التي يتعامل معها

لكل فرد من الحرية في تنمية أمواله ولكن في الحدود المشروعة فله أن يطلع
 الأرض ، وأن يحول المادة العامة إلى مصنوعات ، وله أن يتجر الحرج ولكن ليس له
 أن يعش ، أو يحتكر ضرورات الناس ، أو أن يعطي أمواله بالربا ، أو أن يظلم في أجور
 العمال ، ليريد في أرباحه فذلك كله حرام إنما هي الوسائل الطيبة وحدها التي يبيحها
 الإسلام لتنمية المال والوسائل الطيبة عادة لا تصح رؤوس الأموال إلى الحد الذي يساعد
 الموارق بين الطبقات . إنما تصح رؤوس لأموال ذلك التصحح الفحش الذي نراه في
 نظام الرأسمالي ، بالعش وربما أكل لأحور والاحتكار واستغلال الحاجة والابتزاز

وانتهب والسلب ولا اعتصاب إلى آخر الخرائم الكامنة وراء طرق الاستغلال المعاصرة
وهذا ما لا يسمح به الإسلام مسأله الآن لي بيان حكم الإسلام وحكمته في وسائل
تنمية المال

* * *

(أ) يحرم لإسلام لعش في المعاملة «من عش فليس مني»^(١) .. «التيعان بالحيار
مدم يتصرف ، فإن صدقاً وبيناً بورك لهما في بيعهما ، وإن كذباً وكذبت بركة بيعهما»^(٢)
فثبت أن تبيع وأن تشتري ، على ألا تعش في السلعة ولا في العملة ، فإن كان بها عيب
فبعبك بيده ، وإلا فأت عش وربحك عليك حرم ، ولن يصبحت من المؤاحدة أن تصدق
به الربح الحرام ، فالصدقة لا تحسب لك إلا من مالك بحلال عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يكسب عبد مالاً
حراماً فتصدق منه ، فقبل منه ، ولا يفتق منه فشارك له منه ، ولا تتركه خلف ظهره إلا
كان رادده إلى الدار إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن
إن الحبيث لا يمحو الحبيث»^(٣) وقال «إنه لا يربو لحم ست من سحت إلا كانت
النار أولى به»^(٤)

والإسلام في هذا يسير على قواعد الحلقية ، كما يسير على مبادئه في مع الضرر
وتحقيق التعاون بين الناس ، فالعش قدرة صغيرة ، وبصرار بالآخرين ، ورفع شقة من
صلور بس . ولا تعاون في الجماعة من غير ثقة فصلاً على أن ثمرة العش هي الحصول
على كسب بلا جهد مشروع . وقاعدة الإسلام العامة هي أن لا كسب بلا جهد ، كما أنه
لا جهد بلا جراء

(ب) واحتكار ضروريات الناس لا يعترف به الإسلام وسيلة من وسائل كسب
وتسمية المذون «من احتكر فهو حاطي»^(٥) ذلك أن الاحتكار إهدار لحرية التجارة
والصناعة ، فالاحتكر لا يسمح سواه أن يحتل ما يجبه ، أو يصنع ما يصنع ، وبدت
يتحكم في اسوق ، ويقرر على الناس ما يشاء من أسعار ، فيكلمهم عنتاً ، ويحلمهم
مشقة ، ويصدرهم في حياتهم وضرورتاتهم ، فوق أنه يقفل باب لفرص أمام الآخرين

(١) أصحاب السنن

(٢) الشيخان

(٣) ذكره صاحب مصابيح السنة مروي عن ابن مسعود وقال من تصحاح

(٤) أخرجه الترمذي والحاوي

(٥) مسند أبي داود والترمذي

يرزقوا كما ارتزق ، وليجودوا فوق ما جود ، وقد يقع أحياناً أن يسد المحتكر المورد وأن يتلف لبصاعة الفائضة ، حتى يتمكن من فرض سعر جباري ، وفي ذلك إعدام أو نقص في الأرزاق ولأقوات العامة التي أتاحتها الله للإنسان في الأرض

ولقد بلغ حرص الإسلام على منع هذه الوسوسة من وسائل تنمية مال ، أن جعل الاحتكار منعاً لمحتكر من دائرة الدين « من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله ، وبرئ لله منه »^(١) فما هو بمسلم ذلك الذي يصدر الجماعة هذه المصاراة ، ويشجع فيها لحوق ، والحاجة إلى الصوري ، لحصص منها على كسب حرام يريد به ماله لحاص على حساب مصالح العامة .

(ح) والربا وسيلة محرمه يكرهها لإسلام كراهيه واصحه ، ويشجعها بشيء شديد وسدر أصحابها بأشنع مصير « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَتَتَّبِعُوا اللَّهَ تَعَالَى تَفْلَحُوا »^(٢) وليس النهي ههنا عن الأضغاف المضاعفة فنحن لسب الصغيرة ، بل هذا تقرير لنوقع ، ووصف له هو كائن ، أي النهي فنصب على أصل الربا ومبدئه المجرد . ينصح ذلك في الآيات لأخرى « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخِرُّ شَحْطَةً مِنْ سُيُوفٍ »^(٣) ذلك بأنهم قالوا « إِنَّمَا نَسْعُ مِثْلَ الرِّبَا » وحلَّ الله النِّسْعَ وحَرَّمَ الرِّبَا « فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا مُتَّعِفًا وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ . وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »^(٤) أي أنها ليس آموا تقوا لله ردوا ما بقي من الرب إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فادبو بحرب من الله ورسوله وإن كنتم فكلكم رؤوس أمواتكم لا يطعمون ولا يظلمون »

ويلعب الإسلام في يقطع لربا إلى حد أن يعرض كل من شارك في صفقة من صفقاته ، وبو كاتبا وشاهداً عن خبر قال « عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه » وقال هم سواء^(٥)

يجري لإسلام في كل هذه على مبادئه في المال والأخلاق ومصالح الجماعة ههنا وديعة في نه صالحة وهو موطع منه خبر الجماعة جميعاً عيسى له أن يعلب بوطقة إصراراً أساساً وإبتراراً ، يتحين ساعه احتياجهم ، ويستغل ضعف موقفهم فيأخذ منهم

(١) سورة البقرة [٢٧٨ - ٢٧٩]

(٥) رواه مسلم

(١) ج ٢ ، رقم ٤٨٨٠ مسند أحمد شرح الاستاذ أحمد شاذلي

(٢) سورة النحل [١٣٠]

(٣) سورة البقرة [٢٧٥]

أكثر مما أعطاهم وقد تكون الحاجة هي حاجة لطعم للحياة ، وحاجة الدواء للعلاج ، وحاجة التعلم وتعليم ولغير العلم ، فإما أن يتعطل هذا كله ، وإما أن يتحكم صاحب المال في المحتاح إلى المال فيصحه انقبض ، ويسترد منه الكثير ، ويظلمه بذلك جهده ، وهكذا يعمل ليؤدي للمرابي رباة ، أو بتضاعف الدين عاماً بعد عام

هذا الخراء القائن يستمتع به صاحب المال ، وهو لم يعمل شيئاً سوى أنه صاحب مال ! إنه العرق ودم يبع ههنا بشرهه ، ويكتسبها في ههنا وهو قاعد والإسلام الذي يقدر العمل ، ويجعله النسب الأساسي للملك والربح ، لا يسمح أن يصيد المال قعد ، ولا أن يلد المال المربح إنما يلد المال الجهد ، وإلا فهو حرام !

ويحفظ الإسلام صهارة خلق الفرد كما يلحظ ابودة بين الجماعة فما يأكل الرب فرد له خلق وصمير ، وما يبيع الربا في الجماعة وتبقى ههنا مودة وتعارف واندي يمحني بشار ليسترده مي دينارين هو علوي ، فما نص به نصاً ، وما أحمل به ودأ والتعاون يصل من أصول المجتمع الإسلامي ، يهدمه رب ويوهن أساسه لذلك يكرهه الإسلام

وثمة حكمة أخرى تبرر له في هذا العصر الحديث لتحريم الربا ، ربما لم يكن ضرورة جيداً ذلك أن الرب وسيلة لتصحيم رؤوس لأموال تصحيماً شديداً لا يقوم على الجهد ، ولا شئ من العمل ، مما يجعل طائفة من القاعدين يعتمدون على هذه الوسيلة وحدها في سمية أموالهم وتصحيمها ، فتشبع سبهم الترهل ولطفاه وتترف على حساب الكادحين من يحتاحون للمال فيخلونه بالرب في ساعة العسرة ويشأ عن ذلك مرضان أحتم عيان حصرن تصحيم الثروات إلى غير حد ، وتفريق لطقت علواً وسفلاً بغير قيد ، ثم وجود طبقة معطلة مترهنة مترفة لا تعمل شيئاً ، وتحصل على كل شيء ، وكأنما المال اندي في يدها فحاج لصيد المال ، دون أن تتكلف حتى لطعم هذه الفواح ، إنما يقع ههنا المحتاحون عمو ، ويساقون إليهم بأفد مهم بدهمهم الضرورات ! ذلك أن أكل الربا يخالف القاعدة الأساسية لتصوير الإسلامي وهي أن المال لله ، جعل الناس فيه حلفاء ، وفق شروط المستحلف - وهو الله سبحانه - لا كما يشاء أناس

لله يقوم استدع على أساس أن لا علاقة بين إرادة الله سبحانه وحياة البشر فالإنسان هو سيد هذه الأرض ابتداء ، وهو غير مقيد بعهد من الله ، وغير مبرم باتاع أوامر الله ، ثم إن الفرد حر في وسائل حصوله على المال ، وفي طرق تنميته ، كما هو حر في التمتع به . غير مترم في شيء من هذا ، بعهد من الله أو شرط ، وغير مقيد كذلك بمصلحة الآخرين . ومن ثم فلا اعتدال لأن تادي الملايين إذ هو خفاف إلى حرانته ورصيده ما يستطيع إصافته وقد تتدخل لقوانين بوضعية أحياناً في أحد من حريته هذه - حرثاً - في تحديد سعر لفائدة مثلاً وفي مع أنواع من الاحتيل والنصب والعصب والهب والتعش والصبر

ولكن هذا لتدخل يعود إلى ما يتوَصَّع عنه ناس أنفسهم ، وما نفوذهم إليه ، هوأوهم ، لا إلى مبدأ ذات معروف من سلطة إلهية !

« كذلك يقوم على أساس تصور خاطئ فاسد هو أن غاية العبادت لنوجود الإنسان هي تحصينه لنفسه - بأنة وسيلة - واستمتاعه به على النحو الذي يهوى ! ومن ثم يتكالب على جمع المال وعلى المتاع به - ويدوس في الطريق كل مبدأ وكل صلاح بالأخرب !
« ثم يشئ في لهفة مظاماً يسحق الشريعة سحقاً ، ويشقى في حباتها أفراداً وجماعات ودولاً وشعوباً . لمصلحة حصه من المربى ؛ ويحطها أخلاقاً ونفسياً وعصبياً ؛ ويحدث بحل في دورة مال وعمو الاقتصاد اشري عواً سويّاً . وينتهي - كما انتهى لعصر الحديث - إلى تركيز السلطة الحقيقية والنفوذ العملي على الشرية كلها في أيدي رمرة من أحط حق الله وأشدهم شرّاً - وشردهم ممن لا يرفعون في الشرية إلا ولا دمة ولا يراقبون فيها عهداً ولا حرمة .

وهؤلاء هم الذين يلبسون الناس أفراداً ، كما يلبسون الحكومات و شعوب - في داخل بلادهم وفي خارجها - ويرجع إليهم الحصبة الحقيقية لجهد اشريه كنها ، وكند لأدعيين وعرفهم ودمائهم ، في صورة هوند ربوية لم يبدلو هم جهداً فيها ! وهم لا يملكون مالاً وحده ، بل يملكون الصود ، ولم تكن لهم مادي ولا أخلاق ولا تصور ديني أو أخلاقي ؛ بل ما كانوا يسحرون من حكاية الأديب والأخلاق والمثل ولنادي ، فاهم بطبعة الحال يستخدمون هذا الصود المائل الذي يملكونه في إنشاء لأوضاع والأفكار وشروعات التي تمكنهم من زيادة الاستغلال ، ولا تقف في طريق حشعهم وحسة أهدافهم ، وقرب الوسائل هي بحطيم أخلاق الشرية وإسقاطها في مستنقع آس من اللذت وشهوات ، التي يدفع فيها الكثيرون آخر فلس يملكونه ، حيث تسقط العلوم في المصائد والشباك المصونة ! وحدث مع التحكم في حريات لاقتصاد العبد وفق مصابحهم المحدودة ، مهما دى هذا إلى الأزمات الدورية المعروفة في عالم الاقتصاد ؛ وإلى انحراف الإنتاج الصناعي والاقتصادي كله عما فيه مصلحة المجموعة الشرية إلى مصلحة الممويين المرائين الذين تتجمع في أيديهم حيوط الثروة العالمية !

«والكرثة التي بنت في العصر الحديث - ولم تكن هذه الصورة لشعة في الخاهله - هي أن هؤلاء المربين - الذين كانوا يتمشون في الرمن الماضي في صورة أفراد أو بيوت مديه كما يتمشون الآن في صورة مؤسسي انصارو بحصرية قد استطاعوا تاندهم من سلطة هائلة محيطة داخل أجهزة التحكم هامة وحارجها ، ولم يملكون من وسائل التوجيه والإعلام في لأص كنها - سوء في ذلك الصحف والكتب والخامعات والأساتذة ومحطبات الإنسان ودور سببها وغيرها - أن يشئوا عقنسه عامه بين حماهير لشري المسكين الذين يأكل

أوثك المربون عظامهم ولحومهم . ويشربون عرقهم ودماءهم في حل بنظام الربوي . هذه العقيدة العامة حاصلة بالإيجاء بحيث لمسموم بالربا هو النظام النظامي المنعقوب . ولأساس الصحيح الذي لا أساس غيره للنمو الاقتصادي ، وأنه من بركات هذا نظام وحساته كان هذا التقدم الحضري في العرب وأن الذين يريدون إبطاله جماعة من الحياتيين - غير العاملين - وأنهم إنما يعتمدون في نظرتهم هذه على مجرد نظريات أخلاقية ومثل حيالية لا رصيد لها من الواقع ؛ وهي كهيئة بفساد النظام الاقتصادي كله لو سمح لها أن تتدخل فيه ! حتى يتعرض الذين ينتقدون النظام الربوي من هذا الخاب لسحرة من الشر الذين هم في حقيقة الأمر أصحاب مائة هذا نظام ذاته ! أصحاب شأهم شأن الاقتصاد العالمي نفسه ، الذي يضطره عصبات المرائين العارية لأن يجري حريص غير طبيعي ولا سري ، ويتعرض للهزات السورية المنظمة ! ويحرف عن أن يكون مصاعاً للشربة كلها ، إن أن يكون وقفاً على حصة من الدنانير قليلة !

«إن النظام الربوي نظام معيب من الوجهة الاقتصادية السخنة وقد بلغ من سوءه أن تنه لهو به بعض أساتذة الاقتصاد العرب أنفسهم ، وهم قد نشأوا في طله ، وشرب عقوقهم وثقافتهم تلك السموم التي تشها عصبات المال في كل فروع الثقافة وتصور والأخلاق وفي مقدمة هؤلاء الأساتذة الذين يعيبون هذا النظام من الناحية الاقتصادية السخنة «دكتور شاحت» الأدي ومدير بنك الريح الألماني مدافعاً وقد كان مما ناله في محاصرة به بمدشق عام ١٩٥٣ أنه عملية رياضية (غير متناهية) يتضح أن جمع المار في الأرض صائر إلى عدد قليل جداً من المرائين ذلك أن الدنانير المرائي يربح دائماً في كل عملية ؛ بينما المدين معرض للربح والחסار . ومن ثم فإن المار كله في النهاية لا نه - بحسب الرياضيات - أن يصير إلى الذي يربح دائماً ! وأن هذه النظرية في طريقها للتحقق الكامل ، فإن معظم من الأرض لأن يملكه - مدكاً حقيقياً - بضعة ألوف ! أما جميع الملاك وأصحاب المصانع الذين يستديرون من السوق والعمال ، وغيرهم ، فهم ليسوا سوى أجراء يعملون بحساب المال . ويخفي ثمرة كدهم أوثك الألوف !

«وليس هذا وحده هو كل ما للربا من حرية فإن قيام النظام الاقتصادي على الأساس الربوي يحمل العلاقة بين أصحاب الأموال وبين العاملين في التجارة والصناعة علاقة مفقره ومشاكسة مستمرة . فإن المرابي يجتهد في للحصول على أكبر عائدة ومن ثم يمسك المال حتى يريد اضطراب التجارة والصناعة به فيرتفع سعر الفائدة ، ويظل يرفع السعر حتى يجد العاملين في التجارة والصناعة أنه لا فائدة لهم من استخدام هذا المال ، لأنه لا يدر عليهم ما يوفون به لفائدة ويقصصهم منه شيء . عندئذ يسكنهم حزم المال المستخدم في هذه المحلات التي شتم فيها ملايين وتنسحق المصانع دائره إنتاجها ، ويعطل العمال ، فتقل

القصرة على الشراء وعندما يصل لأمر إلى هذا الحد ، وعند مرور أن نصيب على المال قد نقص أو توقف ، يعودون إلى حصص سعر الفائدة صطراً ، فمثل عليه يعملون في الصناعة والتجارة من جديد ، وتعد دورة الحياة إلى الزحاة وهكذا دواسك تقع لأزمات الاقتصادية الدورية بعده ، ونظراً لشر هذا يعودون فيها كالمسألة^(١)

ثم إن جميع المستهلكين يؤدون ضريبة غير مباشرة للمرابين ، فإن أصحاب المصانع والتجار لا يدفعون فائدة الأموال التي يقترضونها ، إلا من جيوب المستهلكين ، فهم يريدونها في أثناء اسليج الاستهلاك متنوعة عندها على أهل الأرض لتدخل في جيوب المرابين في النهاية ، لما الديون التي تقترضها بحكومة من بيوت المال لتقوم بالإصلاحات والمشروعات العمرانية فإن رعاياها هم الذين يؤدون فائدتها للبيوت الربوية كذلك ، إذا أن هذه الحكومات تضطر إلى زيادة الضرائب المختلفة بسند من هذه الديون وفوائدها ، وبذلك يشرط كل فرد في دفع هذه الحرية للمرابين في نهاية المطاف ، وقدما ينتهي الأمر عند هذا الحد ، ولا يكون الاستعمار هو نهاية الديون ، ثم تكون الحروب بسبب الاستعمار^(٢) .

وإنه يستوي أن يكون الدين للاستهلاك أو الإنتاج في عرف الإسلام ، فإنه إن كان للاستهلاك أي لبعقه مستدين على حاجاته الضرورية ، فإنه لا يجوز أن يرهق برد فائض عن دينه ، فحسبه أن يود أصل الدين عند الميسرة ، وإن كان للإنتاج ، فلا أصل أن اخذ الدين ببدله هو الذي يبال عليه الربح ، لا المال الذي يستدينه - إلا عن طريق مشاركة - القائم على اغتيال الربح والحسارة ، لذلك يحرم الرب في جميع الأحوال ، ويحتم قرص المستقرض لضروراته في جميع الأحوال

فإن اقترض المقرض وأعسر «فَطَرَةٌ بِكَيْ مَيْسَرَةٍ»^(٣) وإن أرى أن لصيغة الأمر لأنها شرط وجوب «وإن كان ذو عسره فطرة إن ميسرة» وهذه الصيغة تعيد الأمر لا الدين ، ومحاوره لتعصب في التيسير والسماحة كفوق الرسول «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»^(٤) فالسماحة في الاقتضاء تحفظ بمدى كرامته ، وتعزز المودة في نفسه لذاته ، وتحنه على الجهد في الأداء قدر طاقته وقابله من سره أن يحبه الله من كرب يوم القيامة فليعس عن معسر أو يصنع عنه»^(٥) وقال «من أنظر معسراً أو وضع له ، أعطاه الله يوم يقوم بحب طل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»^(٦)

(١) مقتطف من في ظلال القرآن الجزء الثالث

(٢) سورة الفة [٢٨٠]

(٣) البخاري وترمذي

(٤) مسلم

(٥) الترمذي

وبحرص الإسلام في مقابله هذا على المسلمين أن يجهدوا في رد ديته ، إيماناً بسمته ورداً
 لفصل الإفراض بفصل الوفاء ، وتمكيباً للثقة في المعاملات بين الأفراد « من أخذ أموال
 الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » (١) من أخذها
 يريد أداءها حدد وكفد ليكسب ويستترق ، وعالمياً ما يكسب بحد الصدق لعزيمة ، ومن
 أخذها يريد إتلافها استمر أن يعيش بأموال الناس ، وقعد عن العمل والجهد ، فاسترحى
 وسقطت همته وآص إلى تلف ووار ، وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - « مظل العبي
 ظم » (٢) وقال رجل : يا رسول الله رأيت إن قتلت في سبيل الله يكفر الله عني حدياتي ؟
 فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « نعم ، إن قتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير
 مدبر » ثم قال كيف قلت ؟ فأعاد عليه ، فقال « نعم إلا الدين ، فإن حريين أحري
 بذلك » (٣) وهكذا لا يجري عن المدين للهدر على الأداء أن يقاتل فيقتل في سبيل الله صبراً
 محسباً مقللاً غير مدبر ، لأن الدين يتعلق بحق الآخرين في عقه لا حق الله وحده ، ما دام
 قادراً على أدائه ، فأما العجز فله من الركة نصيب « تَمَّا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْعَامِينَ »
 وعنه تحوز الصدقة ليوفي ديته عن أبي سعيد بخاري - رضي الله عنه - أنه قال نصيب
 رجل في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عذر ناعها فكفر ديته ، فقال رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - « تصدقوا عليه » ، فتصدق الناس عليه ، هم يسع ذلك وده ديته
 فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لغرمائه « حبوا ما وحدثم ، وليس بكم ذلك » (٤)
 ولقد خطا النبي - صلى الله عليه وسلم - خطوة أخرى عندما سبأت له لأموال بعد
 الفتح ، فكان بقصي دين المدبر بعد وفاتهم من المال العام عن أبي هريرة - رضي الله
 عنه - قال « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يؤتي بالرجل المثنوي عليه الدين فسأل
 من ترك دينه قصاء » ؟ فإن حدث أنه ترك دينه صلى عليه ، وإلا قال للمسلمين « صلوا
 على صاحبكم » فعما فتح الله عليه الفتح قام فقال « أن أوفى بالوهم من أنفسهم ، من
 مات عليه دين ولم يترك ولاء فعلت قصده ، ومن ترك مالا فلورثته » (٥)

ومكده يحرس الإسلام على رد الحقوق لأصحابها ، حرصه على إعانة المضطر والتيسير
 عليه في الأداء ، فيجمع الأمر من أضراره ، ويضمن المصالح جميعاً ، ويعتد في بقصة
 بين الحقوق والواجبات

(١) الترمذي سنن صحيح
 (٢) الشرح والترمذي وساني

(١) البخاري
 (٢) رواه الحمصه
 (٣) مالك ومسلم والترمذي والسناني

طريق الإنفاق

تلك هي الحدود التي يصنعها الإسلام بشميه بال استعمال أما بمافه فلا بدعه كذلك فلا صوابط ، فصاحب المال ليس حرّاً في عمل يده فيه كما يشاء ، أو في الإنفاق منه كما يشاء ومع أن مثل هذا لتصرف ذاتي ، إلا أن الفرد في الإسلام ليس متروكاً لذاته يصنع به ما يشاء ، فله حرية ولكن داخل إطار من الحدود ، ثم به قلما يكون هناك تصرف شخصي لا علاقة له بالآخرين - وإن لم تكن علاقة مباشرة أو واضحة

فأيد معلولة كديد المسرفة كتاهم لا يقبلها الإسلام ، بل في كتنهم من صدد عائد على النفس وعلى الجماعة : «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَمْسُجْهُا كُلَّ لَيْلَةٍ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» (١) «يَا أَيُّهَا آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (٢)

فأما على اليد فحرمان للنفس من انتاع مشروع ، والإسلام يكف الفرد تمتيع ذاته في الحدود المشروعة ويكره للناس أن يحرموا في غير محرم ، لأن الوحدة لا بد أن تستباح ، وأن تجعل ، وأن تكون مريحة في غير طو ولا إسراف ولا إسلام لا يوجب التزم ولزهد والحرمان من طسات الحياة ، فهو يأمر بني آدم أن يتربوا التربية لثاقه كما مر في الآية الكريمة ويقول القرآن في هجة ستكارة عدديك : «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَاصَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» كذلك تفصل الآيات يقوم يعمون قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ زِينَةَ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَالْإِنَّمَا وَاسْعَى بغير الحق ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِهِ سُلْطَانٌ ، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (٣)

والإسلام يطلب الامتناع بماهج حياة العقولة للناس جميعاً كبيرهم وصغيرهم وعيهم وفقيرهم لذلك وجه التحذير من إلى «بني آدم» فإذا دعا في بعض الأحيان إلى الصبر والرصى فيست هذه دعوه إلى الترهه والحرمان إنما هي دعوة لاحتياط النفس بطنستها على لشئائهم إلى أن تروى أو تراض أما بعد ذلك فكل فرد مطالب بأن يستمتع

(١) سورة الإسراء [٢٩]

(٢) سورة الأعراف [٣١]

(٣) سورة الأعراف [٣٢-٣٣]

المتاع الحلال ، والجماعة مطالبة أن تهتئ هذا لمتاع لأفرادها جميعاً ، فلا تحرمهم مما يدعوهم الله أن يستمتعوا به في الحياة

لذلك قرر الفقهاء - وهم الذين يعدكون ما دون مصاب الركة - نصاً يعطونه من الزكاة لتوسعة عليهم في الرزق ، لا لحد الكفاف . فهم يعدكون الكفاف ذلك أن الإسلام لا يدعو بكفاف وحده ، بل يدعو لمتاع بالحياة ، وامتاع فوق لكفاف

فقد كان الإسلام يعطي الفقير نصبة من أموال الركاه يومع به على نفسه ويستمتع بما هو فوق ضرورته ، فأولى أن يعطى الواحد - وأن يتمتع بالحياة متاعاً معقولاً ، وأن لا يحرم نفسه من طبياتها ، وهي كثيرة ، لتعدو بحياة ههجة جميلة ، ولتطلق النفس إلى ما هو فوق الضرورة من التفكير العلي والإحساس لراقي . والتأمل في الكون والخلق ، ولتطرق إلى الحما والكمال ولرسول الكريم يقول : «إذا أتاك الله مالاً فبغير أثر نعمة الله عليك وكرمه»^١ فيعد الشظف والمثمة - مع انقذاره - ابتكاراً بنعمة الله بكرهه الله

هذا كله من ناحية ، وثمة ناحية أخرى يحفظها للإسلام في حسن المال عن التدور والإسراف وحسنه هكذا تعطيل بوصيفته والجماعة في حاجته إلى تداول أمواله العامة ، تنمي الحياة في شتى مظاهرها ، ويضمن الإنتاج في أوسع مباديه ، وتهتئ للعامين وسائل العمل ، وللإنسانية طريق النشاط وحسن لأموال يعطى هذا كله فهو حرم في نظر الإسلام لما فيه من تعطين للصالح الخاص والصالح العام .

ما الإسراف فهو الطرف الآخر ، وهو مفسدة للفرد والجماعة كذلك . وقد ر أولاً فنقرر أن إسراف المال في سبيل الله ولو أتى عليه كله بس إسرافاً ، كما مر من حدث الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن جبل الذهب ، وتمنه أن لو كان به ما أفنى منه مقدر قباطين ، ولأنفق كله في سبيل الله إنما الإسراف هو الإسراف في الإسراف على النفس . وهذا ما عباه الإسلام

والإسراف بهذا المعنى هو لترف الذي يكرهه للإسلام كراهية شديدة ، ويعص أن يكون المال دولة بين الأعياء لئلا يؤدي تصخم الثروة لإسرافها في سبيله ، ويعبه مصدر شر لصاحبه وللجماعة التي يعيش فيها ، وهذا يكون مكراً يجب على الجماعة أن تغيره وإلا عرصت نفسها إلى الهلكة بسببه .

والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية في كراهة الترف وتحريمه متواترة كثيرة نصمة رزة ، تشعر أنه من كرهه لحرام إلى الله ورسوله . والإسلام الذي يحص الناس على التمتع بطيات الحياة ، ويكره أن يحرموها على أنفسهم وهي هم حلال ، ويدعو إلى جعل الحياة

سهية مقبولة لا فائده ولا مسودة هذا الإسلام نفسه يكره السرف والترف تلك الكرهية
الشديدة العبيدة

فالقرب يصعب المترفين أحياناً سقوط أمة وصعب انقوة وهبوط الأرباحية : وإدا
نزلت سورة أن آمنوا بالله وحدهوا مع رسوليه ، استأذنتك أولو الطول منهم وقالوا درن بكر
مع نقاعيين^(١)

وإد عرفنا حرص الإسلام على الجهاد وحثه عليه وتعظيم من يتطوعون له ، حتى يقول
الرسول الكريم : من مات ولم يعر ، ولم يحدث نفسه بعرو ، مات على شعبة من النفاق^(٢)
أدركنا في الحاشية الآخر كم يحتقر أولي الطول هؤلاء يستخفونهم وقعودهم عن صفوف
مجاهدين ولا عناية في هذا ، فالترف مترهل ضعيف الإرادة ، عجم قليل الرجوة ، لم يعتد
الجهد صفقت همة ، وفترت أرباحيته ، والجهل في الجهد يعطل عليه متاعه الشهواني
الرحيصة ، ويحرمه لذاته الحيوية فتره من الوقت ، وهو لا يعرف قيمة في الحياة سوى
هذه القيم الداعرة اشائنة !

ثم يتحدث أحياناً عن المترفين في التزيح ، فإد هم دائماً يقولون في سبيل الهدى لأنفسهم
ولأنواعهم المستصفين : وما داء هناك مترهون فهناك مستصفون ، يعلقون حبالهم ،
ويحققون شهواتهم ، ويصون فيهم هاء لحشرات : « وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوها إِنَّا بِكُمْ أَرْسِلْتُمْ بِكُمْ كَالرُّونِ »^(٣) « وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
الْآخِرَةِ ، وَتَرَفَّاها فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، مَا هَذَا إِلَّا نَشْرٌ مُشْتَكَمٌ بِكُلِّ مِمَّا تَكُونُ مِنْهُ وَنَشْرٌ
بِمَا تَشْرَبُونَ ، وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ نَشْرًا مُشْتَكَمًا بِكُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ »^(٤) . « وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا
سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْنَوْا لَسَبِيلًا ، رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَا ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ، وَلَعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا »^(٥)

ولا عناية في هذا ، فالترفون حرصون على حياتهم ، ورحوة اشادة المرضة ، حريصون على
شهواتهم ولذائدهم ، حريصون على أن تكون من حولهم حاشية وبطنة خاضعة لغودهم ،
والهدى والدين والإيمان بحرمهم الكبير مما يحرسون عليه ويحدد لهم سبل ختاع المباح
- وهو بالقياس إليهم قليل ضئيل لا يرصي مرضى نفوسهم وترهل شهواتهم - ويرفع قيم الناس
جميعاً فلا يكون هم من السطوات المطلق على المستصفين ، ما يحرمهم أدوات خاضعة وآلات
معدة ، ويحرمهم احراقات والأوهام والأساطير التي يحيطون بها أنفسهم ، ويستعملونها في

سورة المؤمنون [٣٣-٣٤]

سورة الأحزاب [١٧-٢٨]

(١) سورة التوبة [٨٦]

(٢) مسلم وأبو داود والنسائي

(٣) سورة نأ [٣٤]

المجتمعات الصالحة الأخاهة المستسلمة لذلك هم أعداء كل هدى وكل عرف ، ذلك فضلاً على ما يصعبه الترف بالصغير ، وما يحدثه المتاع العسط من جمود في اشاعرهم ^(١) «يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، هَيَّجُوا» «اتَّبَعْتُمْ صُلُوتَ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صُلُّوا السَّبِيلَ ؟ قَالُوا سُبْحَانَكَ ؟ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، وَلَكِنْ مَتَّعْتُمُوهُمْ وَأَنْهَيْتُمُوهُمْ ، حَتَّى نَسُوا أَدْذِكْرَ ، وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا» ^(٢) فالمدح المترف الطويل الموروث عن الآن - يسي الذكر ، ويؤدي إلى حذب واضمحالة ، وتعبير بأنهم «كانوا قوماً بوراً» يعبر بصورة عميق الدلالة ، فالأرض البر هي الأرض المعبدة التي لا تتح ولا تشر ، وكذلك فوسمهم ونفوسهم وحياتهم حصة باثرة صفة ، لا تنص فيها حياة

والرسول - صلى الله عليه وسلم - بسمي بيوت المؤمنين بيوت الشياطين ، لما يبع فيها من الفساد ، وما يخرج منها من لفة «يكون بل للشياطين ، وبيوت للشياطين ، فما بل الشيطان فقد رأيت» ، يخرج حذكم بحديث معه قد أسماها ، فلا تعلق بعراً منها ، وتبر ناحيه قد انقطع فلا يحمله ، وأن بيوت الشياطين فلا أرها إلا هذه الأفاعص التي تستر الناس باندباج ^(٣) «وإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رآها إلا للشياطين ، لا حاجة بأصحابها إلى ركوبها ، بينا المقطعون لا يحسب ما يركبون ، فحس بجدهم سيارات فحمة تروح وتعلو ستاه الصغير من الأمور ، وألوف لا يحسب أجرة لرم ومئات لا يحسبون حتى أرجعهم بدمشيها ، فهي مقصوغة ذهبت بها الآفات ، أما البيوت التي رآها محمد - صلى الله عليه وسلم - في الأفاعص التي تستر بسبب باندباج ، فحس براهها وسائل الترف فيها لم يحظر على قلب بشر في ذلك الزمان

لا حرم إذن يكون الترف سبب الهلاك على مدى التاريخ فالترف سبب للطر «وَكَمْ أَمَلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ بَطِرَتْ مَنِيشتها فَبَلَكَ مَسَاكِينُمْ بِمُ تَسْكُنُ مِنْ بَعْلِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» ^(٤) ولا حرم يكون الترف سبب العذاب في الآخرة مما يؤدي إليه من معصيت ، «وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ فِي سَمُومٍ وَخَمِيمٍ ، وَطِلَّ مِنْ خَمُومٍ ، لَا تَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ، إِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ، وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْغَنِيِّ الْعَظِيمِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْ وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَعُونُونَ ، أَوْ أَبَاؤُنَا لَأَوْتُنَا» ^(٥) |

ولكن اهلاك والعذاب لا يصيبان الفرد المترف وحده ، بل يصيبان الجماعة التي تسمح

(٣) سورة العنصر [٥٨]

(١) سورة الفرقان [٧ - ١٨]

(٤) سورة الواقعة [١٦ - ٤٨]

(٥) أبو داود

بوجود المترفين «وإذا أردت أن تهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميراً» ذلك أن وجود المترفين في الجماعة ، وسماع الجماعة بوجدهم ، وسكوتها عنهم ، ويعودده عن إزالة أسبب الترف ، وتركها المترفين يفسدون كل ذلك أسباب تؤدي حتماً إلى هلاك والتدمير بطبيعة وجودها وهذا معنى الإرادة في الآية ، أي تتبع النتائج لتقدمات ، ويقع المساس إذا وجدت الأسباب ، حسب السنة التي أرادها الله للكون والحياة .

فالجماعة هي المسؤولة عن هدم المسكر الذي يقع فيها . والترف لا بد أن يؤدي إلى المسكر بحكم وجوده في الجماعة ، وقد أبدت الطائفة لفائضة لا بد لها من منصرف فهناك مال فائض وهو طاقة وهناك حيوية جسد فائضة كذلك وهي طاقة وهناك فائضة من فائضة بلا عمل ولا تفكير ، وهي طاقة ولغنية المترفين والغنيات المترفات ، وهم يجدون انشغال والفرح والحدة ، لا بد أن يفسدوا ، ولا بد أن يبحثوا عن مصارف أخرى لفائض الجسد وطاقة دل وطاقة لوقت ، وعالم ما يكون مصارف ذهنية ، تأخذ طبعها من انهم والبيئة ، ولكنها تلقي عند حد الصحاح والمصلحة ولقدارة الخسرة والمعوية

وفي الختام لآخر المستعملون والمستمرعون والمحتاجون ، من تحدر الرقيق ، والمهرجين ، والديون ، وخوارجي المترفين ، يشربون الدغارة ولترهن ، ويرحسون كل قيم بحياة الجماعة ، التي لا تروق للمترفين والمترفات

ثم يسري لداء إلى سائر مراهق الجماعة ثم تكون لعاقبة التي لا بد منها وهي شموع الفاحشة في الأمة ، وانتشار الإباحة - وترهل الأجسام والعقول ، وانحطاط المعنويات والروحانيات عندئذ يحق أمر الله هدم هذه الجماعة تدميراً

ذلك رأى الإسلام في حرمة الترف حرمة تبدأ هردية فإذا سكنت عنها الجماعة ، ولم تزل هذا المسكر باليد واللسان والقلب ، أتت الخريجة ثمراتها ، وأفرح لونها في جسم الجماعة ، وعرضها سهلاك في النهاية ، بحكم ترتب النتائج على المقدمات ، ولمسات على لأسباب «وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا» (١)

وبكن ما هو حد الترف ولحرمان ، وما هو القصد يسهل ولاعتدال ؟ إذا رجعنا إلى أول نشأة لإسلام ، وجدنا بيئة محرومة يبدو فيها الشطط والفقر ، وبعد الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن لس الحرير «من لس الحرير في الدسا لم

(١) امرنا هنا بمعنى أكثر

(٢) سورة الاحزاب [٦٢]

ببسه في الآخرة^(١) ويروي عني كرم الله وجهه أن الرسول سباه عن نفسي والمعصمر من الثياب . كما نهى عن حاتم الذهب . كل ذلك للرحال . وأما النساء فأُتِىَ من الحرير والذهب . وإن كان الرسول كره لابنته فاصمه أن تنس الذهب . فهذه خصوصه كان يأخذ بها النبي أهل بيته ولا يلزمها الناس

ولكننا نحسب أننا لا نحل حراماً حين نقول : إن الإسلام لا يدعو إلى الشطط حين لا تدعو إليه ظروف البيئة وأحوال الجماعة . وحقيقة أن نس الحرير والمعصمر من الثياب . ولمفرض كثيراً ما يزرى بقيمة الرحال ، ويدعوهم إلى صراوة ، ومحصاة في زمن الجهاد ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يطق أن يصل الشطط إلى حد المنظر الزري والإهمال ندري ، فقد روى حابر قال : أتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رائراً ، فرأى رجلاً شعثاً قد نرق شعره ، فقال : «أما كان يحسد هذا ما يسكن به رأسه ؟» ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة فقال : «أما كان يحسد هذا ما يغسل به ثوبه ؟» وروى أبو الأحوص الحشبي عن أبيه قال : رأيته - صلى الله عليه وسلم - وعبيّ طعاماً فقال : «هل لك من مال ؟» قلت نعم اقل . «من أي المال ؟» قلت : من كل قد أتاني الله ، من الثياب والأبل ، قد «إذا أتاك الله مالاً فدير أثر نعمته وكرامته عندك»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله صلب يحب الصب ، لطيف يحب الظافة ، كريم يحب الكرم ، حواد يحب الحود ، فصفوا أهيتكم ولا تشبهوا باليهود»^(٣) .

وقد مر سابقاً أن الله لبني آدم . أن يأخذوا زيتهم عند المساجد ، وألا يحرموا الطبقات التي أحبت لهم فالذي يستحصه من هذا أن مستوى المعيشة العام للجماعة هو الذي يحدد الثرف ولحرمات . وحين فتح الله الأمصار على المسلمين وراحت الثروة العامة وترفع مستوى المعيشة ، تغيرت أزيائهم ، وستمعوا بما لم يكونوا يستمعون ، فلم يكر ذلك عنهم أحد ، إلا أن يتجاوزوا الوسط . والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : «كل ما شئت والس ما شئت ما حطنتك اثتان سرب أو مخية»^(٤)

ولكن يجب - مع ذلك - أن نقرر أن الساطنة في الحياة هي طابع الإسلام الذي يحرص عليه ، وأن استعلاء النفس على المتاع هو لئمة التي يريد الإسلام لأهله ، فلا يصبحون عبيداً لهذا المتاع

«تعس عبد الدرهم تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة . تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش»... (أخرجه البخاري)

(١) روى الترمذي سنن حسن

(٢) البخاري

(٣) البخاري

(٤) أبو داود والبيهقي

فلا استعلاء على المتاع مع مراوغة الوسط منه هو طابع الإسلام ، وأغلب المسلم يتلوق
وبدرك متى يقف عند حد الوسط !

فَرِيضَةُ الزَّكَاةِ

والآن فلتحدث عن الزكاة ، الركن الاجتماعي بدر من أركان الإسلام ، فحديث
الزكاة أدخل شيء في سياسة المال في الإسلام
زكاة حق لئال ، وهي عبادة من ناحية ، وواجب اجتماعي من ناحية أخرى ، فإذا
جربنا على نظرة الإسلام في العبادات والاجتماعيات ، قلنا : إنها واجب اجتماعي تعسفي ،
لذلك سماها « زكاة » ، والزكاة طهارة وبراءة فهي طهارة للصمير وبراءة لأدم . نحن نعروض
وهي طهارة نفس وانقب من فحرة الشح وعريرة حب الذات ، هذان عريز ، وهايك
حبيب . بحيث تجود النفس به للأحرار ، إلى تطهر وترتفع وتشرق وهي طهارة بجمال
أداء حقه وصيرورته بعد ذلك خللاً ، ولأن في زكاة معنى العبادة ، بلغ من نطف حسن
الإسلام لا يطلب من أهل بدمه من أهل الكتاب أدعاء ، واستبدل بها الحرية ، ليشاركوا
في صفات بدولة العامة ، دون أن تعرض عنهم عبادة خاصة من عبادات الإسلام إلا أن
يختاروها

وزكاة حق جماعة في علق لمرء ، لتكفل لطوائف منها كهديتهم أحياناً ، وشيئاً
من المتاع بعد الكفاف أحياناً ، ولذلك يحقق لإسلام جانباً من مبدئه العام « كي لا
يكون دولة بين الأغنياء منكم » ذلك أن الإسلام يكره للناس الفقر والحاجة ، ويحتم أن
يسأل كل فرد كفايته من جهته الخاص ومورده الخاصة حين يستطيع ، ومن مال الجماعة
حين يعجز لسبب من الأسباب

يكره الإسلام الفقر والحاجة للناس ، لأنه يريد أن يعصيه من ضرورات الحياة لماديه
بصرغوا « هو أعظم : ولما هو أليق بالإنسانية وبتكرامة التي حص الله بها بني آدم
« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي كَرْبٍ وَلَنُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْقَانِهِمْ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا »^(١)

ولقد كرمهم فعلاً بالعقل والعاطفة ، وبالأشواق الروحية إلى ما هو أعلى من ضرورات
الحسد ، فإذا لم يتوافر لهم من ضرورات الحياة ما تتبع لهم فسحة من الوقت والجهد لهذه
الأشواق الروحية ، وهذه المجالات الفكرية . فقد سلبوا ذلك التكريم ، ورتكسوا إلى

(١) سورة الإسراء [٧٠]

مربية الحيوان لا ين إى الحيوان ليجد طعامه وشر به غالب ؛ وإن بعض حيوان ليحبال ويغفر ويمرح ، وإن بعض الطير يجرى ويسقى فرحاً بالحياة بعد أن ينال كفايه من الطعام واشرب

فما هو بإنسان وما هو بكريم على الله . ذلك لى تشعله ضرورات الطعام واشرب عن التطلع إلى مثل ما ناله الطير والحيوان ، فضلاً على ما يحب للإنسان الذى كرمه الله . وإن قصى وقته وجهده ، ثم لم ينل كفايته ، فتلك هي الطامة التى تهبط به دركات عمه أراد به الله ؛ والتى تضم الجماعة لى يعيش بها ، بأى جماعة هذيلة لا تستحق تكريم الله ، لأنها تخلف عن إرادة الله .

إن لإنسان خليفة الله فى أرضه ؛ قد استخف به عنها لىمى الحياة فيها ، ويرقبها ، ثم ليجمعها مصرة سيئة ؛ ثم يستمتع بحمد وبضرتها ، ثم لشكر الله على نعمه التى آتاه . والإنسان بن سلع من هذ كنه شيئاً ، إذ كانت حياته تنعصى فى سبيل اللعنه ولو كانت كفيه فكيف إذا قصى الحياة فلم يجد الكفاية ؟

وبكره لإسلام أن تكون الصورق بين أفراد الأمة بحيث تعيش بها جماعة فى مستوى الثرف ، وتعيش جماعة أخرى فى مستوى لشصف ، ثم أن تتجاوز الشصف إلى الحرمان والخور والعري فهذه أمة غير مسلعة . ولرسول يقول : «أى أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ حائلاً فقد مرت منهم دمة الله»^(١) . أو يقول : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢) . بكره لإسلام هذه الصورق لما وراءها من أحقاد وأضغان تحطم أركان المجتمع ؛ وما فيها من أثره وحشع وقسوة تفسد النفس والصمير ، ولا فيها من اضطراب المحتاجين ، إلى السرقة والعصب . وما إلى ذلك وبيع الشرف والكرامة وكلها مهنات يتحدى الإسلام باجماعة عها .

وبكره لإسلام أن يكون أمال دولة بين الأعياء فى الأثمة ، وألا يجد لكثرة ما تنفق لأن ذلك ينهى فى اسهابة بتحמיד الحياة ولعمل والإنتاج فى هذه الأمة بين وجود الأموال فى أيلى أكبر عدد منها يجعل هذه الأموال تنفق فى شراء ضروريات الحياة هذا العدد الكبير ، فيكثر الإقراض على السلع ، فيسأ من هذ كثرة الإنتاج ، فتترتب عليها العمالة لكاملة للأيدى العاملة . وبذلك تنور عجلة الحياة والعمل والإنتاج ولاستهلاك دورتها بعزيمة المنهرة

هذه لمعاني حمصها شرع لركاة ؛ جعلها مريضه فى المال ، وحققاً مستحقها . لا تفصلاً

(١) مسند أحمد شاكر (١٨٨٠)

(٢) صحيحه

من محرربيها ، وحينئذ لها نصيب في المال يحصل لو حدين جميعاً يشتركون في أدائها ذلك أن أقصى حد للإعلاء منها عشرون مثقلاً ذهباً أي ما يعادل ثلاثين حبياً بمثلتنا ، على أن تكون مخصصة عن الحاجات الضرورية لملكها وعن الدين وحال عليها ، حول ذلك يديهي لأن الإنسان لا يطالب بالركاة وهو مستحق للركاة إما في درع والثمار فهي موسعة موقوفة موسم انحصار ، وهي في عروض التجارة تقوم بالذهب أو بفضة ، وفي الحبوب سبب معنة تعادل نسبتها في المال ، وهي ربع العشر على وجه التقريب وفي الركايز الخمس . على خلاف في أنواع الركايز ، تكون لصاحب الأرض ، أم للجماعة

أما المستحقون لها فهم كما نص عليهم في القرآن لفقراء ، وهم الذين يمكنون أقل من الصواب ، أو يملكون بصاً مستغرقاً في الدين ، وظاهر أن هؤلاء يملكون شيئاً ، ولكنه شيء قليل ، والإسلام يريد أن يدر لس كفايتهم ، شيئاً هو الكفاية يعيهم على المتاع بالدين على قدر الإمكان .

والمساكين وهم الذين لا يملكون شيئاً وهم بطبيعة الحال أحقر بالعطاء من الفقراء وبكفي ملح أن ذكر لفقراء قبلهم في الآية يرمي إلى أن وجود شيء قليل للفقراء لا يكفي ، مكأنهم كالمساكين ، لأن هدف الإسلام ليس مجرد الكفاف الضروري ولكن شيء هو الكفاف كما قدمت

ويعاملون عيباً وهم جباب ، وهؤلاء - وبكأنوا أعباء يعطون حراً يعمل ، فهو راتب لوضعة وذلك داخل في نظام الجهد والآخر ، لا في باب الحاجة وسداها والمؤلفة قلوبهم وهم الذين كانوا قد دحجوا في الإسلام حديثاً ، لتقوية قلوبهم ، واحتداد من عداهم . ولكن هذا المصروف قد أقبل بعد أن أعر الله الإسلام غضب حروب الردة في أيام أبي بكر ولم يعد الإسلام في حاجة إلى تأليف القلوب بالدين ومع ن هؤلاء قد نصت عليهم آية قرآنية ، فإن عمر لم يجد حرجاً في التصرف

وفي رقباء وهم الأرقاء المكاتبون ، الذين يستردون حريتهم نظير قدر من المال متفق عليه مع مالكيهم تيسيراً لهم لياالوا الحرية

ولعالمين وهم الذين استغرق لدين ثرواتهم ، على ألا يكون هذا الدين في معصية فلا يكون ثروهم وما يشبهه مساً فيه وإعطائهم قسطاً من لركاة فيه سداد لدينهم ، وتخليص لرقابهم منها ، وفي إعانة لهم على حياة الكريمة

وفي سبيل الله وهو مصرف عدم تحدده الظروف ، ومنه تجهيز المجاهدين ، وعلاج المرضى ، وتعلم العاجزين عن التعلم ، وسائر ما تتحقق به مصلحة جماعة المسلمين ويتصرف في هذا الباب يتسع لكل عمل اجتماعي في سائر لبيئات وظروف

وبن السبيل وهو المنقطع عن ماله الذي لا يجد ما ينفق ، كالمهجريين من الحروب

والاعمار والاصطهاد ، الذين جلعوا أموالهم ورائهم ، ولا سبيل لهم إلى هذه الأنوار
والإسلام لا يقرر لهذه لطوائف حقها في الزكاة إلا بعد أن تستمد هي وسائلها خاصة
في الإرتقاء ، فالإسلام حريص على الكرامة الإنسانية ومن ثم هو حريص على أن يكون
لكل فرد مورد رزق يملكه ، ولا يخص به حتى للجماعة !

لذلك حث على الاستعانة عن طريق العمل ، وجعل واجب الجماعة الأول أن تهئ
العمل بكل فرد فيه فقد جاء سائل إلى النبي يستحديه ، فأعطاه درهماً وأمره أن يشتري
به حبلاً ليحفظ به فيعش من عمل يده وقال : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير
من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يسعه »^(١)

فهذه لإعده من لزكاة هي وقاية جماعية خيرة ، وصيانة للمعاش الذي يبدد طوقه ثم
لا يجد ، أو يجد دون الكفاية ، أو يجد مجرد الكفاف ، ثم هي وسيلة لأن يكون للمدولة
بين الجميع لتحقيق بدوره الكاملة السليمة للمال بين الإنتاج والاستهلاك والعمل من
حبيد .. وفي هذا مجمع الإسلام بين الحرص على أن يعمل كل فرد بما في طاقته ، وألا
يرتكز على الإعانة الاجتماعية فتعطل ، ولحرص على أن يعين المحتاج بما يسد حشته ،
ويرفع عنه ثقل الضرورة ووطأة الحاجة ، ويسر له الحياة بكرامة ثم لحرص على صيانة
الدورة لصحيحة لرأس مال الأمة كما أسلف.

إن الزكاة هي قاعدة المجتمع المتكافل المتضامن ، التي لا يحتاج إلى صفات لنظام
الربوي في أي جانب من جوانب حياته .

وقد سميت صورة « الزكاة » في حسنا وحسن الأحيال الشعبية التي لم تشهد نظام لإسلام
مطلقاً في عالم الواقع ، ولم تشهد هذا النظام يقوم على أساس التصور الإيماني والتربية الإيمانية
و لأخلاق الإيمانية ، فصوغ النفس البشرية صناعة خاصة ، ثم يقيم لها نظام إلهي تتنصص
فيه تصرفاتها لصحيحة وأخلاقها لطيفة وفضائلها العالية ، ويجعل « الزكاة » قاعدة هذا
النظام ، في مقابل نظم الأخلاق الذي يقوم على القاعدة الربوية ، ويجعل بعده نمو
والاقتصاد يرتقي عن طريق الجهد الفردي ، و تعاوب البريء من الرب !

وسميت هذه الصورة في حسن هذه الأحياء الشعبية المنكودة المعط التي لم تشهد تلك
الصورة ابرهية من صور الإنسانية ، إنما ولدت وعاشت في عمرة النظام المادي القائم على
الامتناع الربوي ، وشهدت الكرامة والشجاعة ، والتكالب و تنطاحن ، ولهدية الأثرة التي
تحكم صفاتها الناس ، فتجعل المال لا ينتقل إلى من يحتاجون إليه إلا في الصورة الربوية
الخشيسة ! وجعلت الناس يعيشون بلا صفات ، ما لم يكن لهم رصيد من المال ، أو يكونوا

قد اشتركوا بجزء من ما هم في مؤسسات التأمين الربوية ! وحطبت التجارة والصناعة لا تجد
 مال يدي تقوم به ، ما لم تحصل عليه بالطريقة الربوية ، هوكر في حسن هذه لأجيال المسكودة
 لطالغ أنه بسس هناك نظام إلا هذا النظام ، وأن الحياة لا تقوم إلا على هذا الأسس !
 مهت صوت لركة حتى أصبحت هذه الأجيال تحسبها بحسباً فردياً هريلاً ، لا يهص
 على أسامه نظام عصري ! ولكن كم تكون صحامة حصلة بركة ، وهي تشاوا أش
 وصباً في المائة من أصل رؤوس الأموال الأهلية مع ربحها^(١) ؟ ويؤديها الدس ندين يصعهم
 الإسلام صناعة خاصة ، ويربيهم تربية خاصة ، بالتوجيهات والتشريعات ، ونظام الحياة
 الخاص الذي يرتفع تصوره على صوائر الدين لم يعيشوا فيه ! وتحصلها لدولة مسلمة ،
 حقاً مفروضاً ، لا بحسباً فردياً وتكمل بها كل من تقصر به وسائله الخاصة من الجماعة
 لمسلمة ، حيث يشعر كل فرد أن حياته وحياة أولاده مكمونة في كل حالة ، وحيث يقضي
 عن العارم المدين دسه سواء كان ديناً تجارياً أو غير تجاري ، من حصية البركة

وليس المنهم هو شكلية نظام ، بل المنهم هو روح المجتمع الذي يريبه الإسلام
 بتوجيهاته وتشريعاته ونظامه ، متناسق مع شكل نظام وإجراءاته ، متكامل مع التشريعات
 والتوجيهات ، يهب التكامل من صائره ومن تعميماته معاً متناسقة متكاملة . وهذه حقيقة
 قد لا يتصورها الذين شاؤ وعاشوا في ظل الأنظمة المدنية لأخرى ولكنها حقيقة يعرفها من
 أهل الإسلام - وشوقها مدقاً لإعاني فإذا كانوا هم محرومين من هذا السوق لسوء
 طائعهم وبكد حظهم - وحظ المشمة التي صدرت إليهم مقابلته وقادتها - فبكن هذا
 نصيبهم ! ويحرموا من هذا الخير الذي يبشر الله به «الذين آمنوا وعملوا الصالحات»
 وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة « ليحرموا من الطمأنينة وبرصى ، فوق حرمهم من الأجر
 والثوب . فإنا نحملهم وجاهليهم وصلاتهم وعبادهم يحرمون !

فرائض غير الزكاة

.. ومع ذلك فالزكاة ليست وحدها من

وينا سنحظ شبه توافؤ بين من يتحدثون عن الزكاة في هذه الأيام ، على عسرها البحد
 لأقصى يدي يطلبه الإسلام دائماً من رؤوس الأموال ! لذلك ينبغي أن نكشف هذا التوافق ،
 الذي يتعمده رجال ندين لمحترمون ، كما يتعمده من يريسون إظهار النظام الإسلامي
 بأنه غير صالح للعمل في عصر «الحضارة» !

إن زكاة هي البحد الأدنى المفروض في الأموال ، حين لا تحتاج الجماعة إلى غير حصية

(١) رتفع هذه النسبة إلى ٥ ، وإلى ١٠ ، وإلى ٢٠ في الزروع والكنز

أركانها فأن حين لا تحي ، فإن الإسلام لا يقف مكتوف اليدين ، بل يفتح الإمام الذي يهد شريعة لإسلام ، سلطات واسعة للتوصيف في رؤوس الأموال - أي الأحدث منها بقدر معلوم - في الحدود اللازمة للإصلاح ويقول بصرح الحديث : « إن في الله حقا سوي الزكاة » (١)

ودائرة « المصالح المرسله » و « سد لدوائر » دائرة واسعة تشمل تحقيق كافة المصالح للجماعة ، وتنص دمج جميع الأضرار .

وحرر بكفي في بيان حدودهما كما ورد عليهما في كتاب « الإمام مالك » بالاستاد الشيخ محمد أبو رهرة أستاذ الشريعة بكليه الحقوق بجامعة القاهرة

المصالح المرسله « إن المصالح التي ليس لها نص خاص يشهد لوعها بالاعتدال سمي المصالح المرسله ، وكونها أصلاً فقها موضع نظر بين الفقهاء ، وقد دعي القرني أن لعقهاء جميعاً أخذوا بها واحترموها ديبلاً في الخريجات ، وإن أكثر أكثرهم كونها أصلاً في الكليات ، وقد قال في ذلك

« المصلحة المرسله » غيرنا يصرح بإنكارها ، ولكنهم عند التصريح تجددهم يعلنون عطف لمصلحة ، ولا يطالبون أنفسهم عند الفروق والخواص بإبداء لشهادتها بالاعتدال ، بل يعتمدون على مجرد المناسبة ، وهذا هو المصلحة المرسله »

« وسواء أصبحت تلك الدعوى أم لم تصح ، فمن المؤكد أن عتد المصالح التي لا يشهد لها نص خاص بالاعتدال - نظر العلماء فيها يختلف ، فإن لم يكن في أصل لأحد ، فعلى الأقل في مقدار الأحد ، كما يحسب القرافي .

« وقد اقسمت أقوال العلماء في ذلك إلى أربعة أقسام :

١ (القسم الأول) الشافعية ومن بها يحوم ، وهؤلاء لا يأخذون بالمصالح المرسله التي لا يوجد شاهد من الشارع بأعسارها ، لأنهم لا يأخذون إلا بالنصوص ، والحمل عليها بالقياس الذي يكون أساسه وجود صابط يصبط ما بين الأصل والفرع ، أي ما بين المصوص حيد ، والملحق به ، وإن سائرنا القرافي فإننا نقول : إنه يتلذذ أن يأخذوا بمصلحة مرسله من عبر قياس

٢ (القسم الثاني) الحنفية ومن شاكلهم ممن يأخذون بالاستحسان مع القياس ، فإن الاستحسان مهما يكن قولهم فيه لا يحبو من اعتماد على المصالح المطلقة ، وبوأنصفا لحقيقة لقننا إن محي المصالح في سببهم أكثر من الشافعية ، وإن كان القدر في ذاته قبيلاً ، حتى لم تحسب تلك المصالح أصلاً من أصول مدرة اعتمادهم المجرد عليها

« (نقسم لثالث) العلاء في لأحد بالمصالح ، حتى قدموا المصلحة على الص في معاملات الناس ، واعتبروها محصنة له ، بل اعتبروها محصنة للإجماع . أي أن العلماء إذا أجمعوا على أمر نص ، ووجد مخالفاً للمصلحة في بعض وجوهه قدم اعتبار المصلحة ، واعتبر ذلك أيضاً تخصصاً ، وقد قال هذا القوم لطوي .

« (نقسم لرايع) معتدوب ، وهم الأصحاب بصر ، وأولئك اعتبروا المصالح المرسنة في غير موارد نص لمفطور به ، وأولئك أكثر المالكية .
« وكان مالك في أحسن المصالح المرسنة أصلاً مستقلاً متعلاً مستدعاً

١ - « فقد وجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقومون بأمر من بعده لم تكن في عهده . فجمعوا القرآن الكريم في المصحف ، وه يكن ذلك في عهد رسول ، لأن المصلحة تقاضيتهم ذلك الجمع ، إذ خشوا أن يسي القرآن يموت حفظهم ، وقد رآهم عمر رضي الله عنه يهاقون في حرب لرده ، فحشي سبيل القرآن بموهم فصار على في بكر جمعه في المصحف ، و هو لصحابة على دث وارتصوه

٢ - « ونفق أصحاب لرسول من بعده على حد شارب لحمر ثياب خلد ، مستدين في دث إلى المصالح ، أو الاستدلال المرسل ، إذ رأوا الشرب ذريعة في الاقتراء وقدوف المحصنات ، بسبب كثرة الهدايا

٣ « واتفق الحلفاء برسدون على تصميم الصبح ، مع أن الأصل أن أيديهم على الأمانة ، ولكن وجد أنهم لو لم يصمموا لاستهانوا بحفاظة على أمتة الناس وموهم ، وفي الناس حاجة شديدة إليهم ، فكانت المصلحة في تصميمهم ، ليحافظوا على ما تحت أيديهم ، ولذلك قال علي في تصميمهم « لا يصلح أساس إلا ذلك »

٤ - « وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مشاطر الولاة بدين تهمهم في أمواهم ، لاختلاط أمواهم بحاصة بأموهم التي ستمادوها بسلطان بولاية . وذلك من باب المصلحة المرسله أيضاً لأنه رأى في ذلك صلاح الولاة . ومعهم من استعمال سلطان بولاية جمع المال ، وحر انعام من غير حل

٥ - « وحكي عنه - رضي الله عنه - أنه أرق الناس المعشوش باده ، تأدياً للعاش ، وذلك من باب المصلحة العامة ، لئلا يعيشوا الناس

٦ - « وقد نقل عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قتل الجماعة بوحده إذا اشتركوا في قتله ، لأن المصلحة يقتضي ذلك . إذ لا نص في موصوع ووجه المصلحة أن القتل معصوم ، وقد قتل عمداً ، بإهدار دغ إلى حرم أصل القصاص ، وخذ الاستعانة ولاشراك ذريعة إلى السعي بالقتل ، إذا علم أنه لا قصاص فيه . بل قيل هذا أمر بدعي ،

وهو قتل غير المقاتل ، لأن كل واحد لا يعد قاتلاً بمفرده قبل في رد ذلك إن المقاتل الجماعة من حيث لاجتماع ، فقتلها كلها قتل كالمقاتل بمفرده . إذ قتل مضاف إليها كإضافته إلى الشخص الواحد ، فكل الأشخاص المجتمعون لغرض قتل منة شخص بواحد ، وقد دعت إلى هذا المصلحة . إذ فيه حرص الدماء ، وصيانة المجتمع

«ومن ملاحظة المصلحة في المسائل العامة أنه إذا حلت المال ، أو دفع حاجات أحد ، وليس فيه ما يكفيهم . فلا إمام أن يوظف على الأعيان ما يراه كافياً لهم في الحال ، إلى أن يظهر ما في ست المال ، أو يكون فيه ما يكفي ، ثم له أن يجعل هذه الوظيفة في أوقات حصص بعلاات وحيث أثمار . نكلاً يؤدي تخصيص الأعيان إلى يبعث قلوبهم ووجه المصلحة أن الإمام العدل لو لم يفعل ذلك لظلت شوكته ، وصدرت السار عرصة الفتنة وعرصة للاستلاء عليها من خصاميين فيها ، وقد يقول قائل إنه منذ أن يقوم الإمام بحرص هذه الوظيفة يستعرض لبيت المال ، وقد أجاب عن ذلك الشاطبي فقال «الاستعراض في الأرباب ، إنما يكون حيث يرجى سبب المال دخل ينتظر ، وإن لم ينتظر شيء . وصعقت وحوه بدخل بحيث لا يعني ، فلا بد من حربا حكم التوظيف»

الدرايع «بدرية معاها الوسيلة ومعنى سد درايع رعيها . ومودى الكلام أن وسيلة المحرم محرمة ، ووسيلة المباح راحة . فالغاشية حرام ، ولطيرة إلى عوره لأخيه حرام ، لأنها تؤدي إلى الفاحشة ، وللمعة عرض ، وسعي لها عرض ، وترك سعي لأحد السعي عرض أيضاً ، والحق عرض والسعي إلى بيت الله الحرام وسائر ماسك الحرج عرض لأحده

«والأصل في اعتبار سد درايع هو النظر في حالات الأعداء ، وما تنهي في حمتها إنه ، فإن كانت تنحى نحو المصالح التي هي مقصد وعبادت من معاملات بين الإنسان بعضهم مع بعض كانت مظلومة بمقدار يناسب هذه المقاصد ، وإن كانت لا تساويها في لطيف وإن كانت مآلاتها تنحى نحو الفساد ، فإنها تكون محرمة بما تناسب مع تحريم هذه المقاصد ، وإن كان مقدار التحريم أقل في الوسيلة

«والنظر في هذه حالات لا يكون إلى مقصد يعمل وينته ، بل إلى نتيجة العمل وثمرته ، وبحسب نسبة ثواب الشخص أو يعاقب في الآخرة ، وبحسب لنتجته وإسمه بحسن الفعل ، أو يفسد ، ويضرب أو يجمع ، لأن الدنيا قامت على مصالح العباد ، وعلى القسط والعدل ، وقد يسترحبان الضر إلى نتيجة وثمرته دون سبة المحنة والقصد الحسن من سب الأوثان محض لله سبحانه وتعالى فقد احتسب بيته عبد الله في رعيه ، وبكفه سبحانه وتعالى من سب إن أثار ذلك حق الشركيين ، فسوا الله تعالى ، فقد

قال تعالى كلماته : «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» (١)
فهذه النهي الكريم كان الأمر الملاحظ منه هو التشبه الواقعة ، لا اليه المحسنة و يرى
من هذا ان الملع فيما يؤدي إلى الإثم ، أو إلى الفساد ، لا يتجه إلى اليه المحسنة فقط ،
بل إلى النتيجة لثمره أيضاً ، فسمع شحته ، وإن كان الله قد علم اليه المحسنة .

«وقد يقصد الشخص شره على المباح ، فيكون آثماً فيما بينه وبين الله ، ولكن
ليس لأحد عليه سبيل ، ولا يحكم على تصرفه ، سطلاً شرعياً ، كمن يرحص في سعته ،
يصير بذلك تاحراً بياضه ، فإن هذا بلا شك عمل مباح ، وهو دريعة إلى إثم ، هو الإصرار
بغيره ، وقد قصده ، ومع ذلك لا يحكم على عمله ، سطلاً بإطلاق ، ولا يقع تحت التحريم
لظاهر ادبي بنوعه الفصاء ، فإن هذا العمل من ناحية اليه دريعة بشر ، ومن ناحية
الظاهر قد يكون دريعة ينفع العدم والحسن ، فإن اسئع بلا شك يستمع من بيعة ، ومن
رواج تجارته ، ومن حسن الإقبال عليه ، ويستمع العامة من ذلك المرحص ، وقد يدفع
إلى تزييل الأسرار .

«فبدأ سد الدرع لا ينظر فقط إلى اليات والمناصب الشخصية كما رأيت ، بل يقصد
مع ذلك إلى النفع العدم ، إلى دفع الفساد لعدم ، فهو ينظر إلى النتيجة مع القصد أو إلى
النتيجة وحدها

«وقد ثبت أصل اللرائع بالقرآن واسعة أما القرآن فقولته تعالى : «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» (٢) فيروى أن المشركين قالوا : لتكف عن
سب آلهت أو سب إلهك وقوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْدًا ، وَتَقُولُوا
مُظُنًّا وَتَسْمَعُوا» (٣) ، لأب قصد المسمين كان حسناً ، ولكن اليهود تحمله دريعة إلى
شتمه عليه السلام

«أما السنة فإن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم - ومنها ما أصبح فيه كثيرة ، منها كنه
- صلى الله عليه وسلم عن قتل المبشرين ، لأنه دريعة إلى قول الكفار : إن محمداً يقتل
صحابه

«ومب أن النبي صلى الله عليه وسلم - هي انقراض عن قول الهلعة من المدين حتى
يعصب من دينه ، وما ذلك إلا ليتحد ذلك دريعة إلى تحجير الذين لأهل الهدية ، فتكون ربا ،
فأيه يعود إليه ماله ، وقد اكسب الفصل الذي نإليه بالإهداء

(١) سورة الأنعام [٨ : ١٠]

(٢) سورة الأنعام [٨ : ١٠]

(٣) سورة البقرة [٢ : ١٠٤]

«ومنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - هي أن تقطع الأيدي في العزو لئلا يكون دريعة إلى اتخاذه لحدود إلى المحاربين فيهم إليهم ، ونثل ذلك لا تقام الحدود في العزو حتى لا تدفع حرارة الصرب إلى الصلال ، وهو منه قريب .

«ومنها أن السابقين ، الأولين من المهاجرين والأنصار ورثوا المطلقة طلاقاً بئناً في مرض الموت ، حيث يتهم بقصد حرمانها من خيرات ، وإن لم يشتت قصد الحرمان ، لأن الطلاق دريعة

«ومنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - هي عن الاحتكار ، وقال : «من احتكر فهو خاطئ»^(١) فإن الاحتكار دريعة إلى أن يصيب على الناس ، وكل ما يعد ضرورياً لهم ، وهذا لا يمنع من احتكار ما لا يبصر الناس كالحذوات المرسنة ونحوها ، ولا يدخل في الضروريات ولا الحاجيات

«ومنها أنه - صلى الله عليه وسلم - مع المتصدق ولو وجدها تباع في السوق ، سداً لدريعة العود فما حرج عنه الله ولو بعوضه ، وإن المتصدق يد مع من أخذ صدقته بعوضها ، فتأخذها بعبر عوض أشد مبعاً ، وبها في تخوير أحدها بعوض دريعة إلى التحايل على الفقير بأن يدع إليه صدقة منه ، ثم يشترى به منه بأقل من قيمتها ، ويرى لمسكناً أنه قد حصل له شيء من حاجته ، فتسمح نفسه بالبيع

«وهكذا كثرت الآثار الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد ساق ابن القيم في «إعلام الموقعين» نحو تسعين شاهداً من الآثار ، ثبت فيها النهي سداً للدرائع

«ولهذا عدت الدرائع في شرائع الإسلام صهيها»

• • •

سداً للمصالح المرسنة ، ومبدأ سد الدرائع ، عند تصنيفهما في محيط أوسع ، يمكن للإمام لدي تعدد شريعة الله سيطرة واسعة بتدراك كل المصادر الاجتماعية ، في ذلك «تتوطيف» في الأموال وعناية للمصالح العام للأمة وتحقيق العدالة الاجتماعية بكامله

لبدأ حق الملكية الفردية في الإسلام ، لا يمنع تعالفاً أن تأخذ الدولة نسبة من الربح أو نسبة من رأس المال ذاته على أن يظل قاعدة النظم لإسلامي مرعية وهي أن يكون للناس ممتلكاتهم الخاصة ، واستأثارهم لخاصة ، مفيدة بطرق لتسمية المشروعة وأن يكون التوظيف في الأموال لخاصة ، بقدر الضرورة الطارئة حتى لا تستوحش قلوب الناس .

(١) مسلم و أبو داود والترمذي

ولا نصر همتهم ، ولا يقل اهتمامهم بسمية الثروة وتحسين لإنتاج . وقبل ذلك كله ، وأهم من ذلك كله أن يبقى لهم طمأننتهم على أرواقهم ، ألا يصححو عبيداً لدولة تحشون إليهم بصحوها ، وعارضوها قطع أرواقهم . وسلم - كل مسلم - مكلف أن يرقب الحاكم ، وأن ينكفه عن الانحراف عن شريعة الله . فأتى له هذا إذا كان يرقه ليس في يده . ولا مال له إلا ما يسمح له به ١٢

وبان هذا ضروري ، لكشف هذا التوطؤ الذي سدو في تركيز نفول كنه حول الزكاة ، كأنما هي كل حق لال في الإسلام ، وكشف أولئك المحترفين الذين يشنون بآيات الله ثمناً قليلاً . وما تكلون في بطونهم لا لدر ! وكشف وثث الذين يصعرون من شأن الصيادات في النظام الإسلامي ، ويقولون بعدم كفايتها ، يقولون بعد ذلك بعدم كفاءة النظام الإسلامي للحياة الحديثة !

وكله رحم وقرء ، وحهل بحقيقة الإسلام ، وعدم لإسلام ، وبنواقع التاريخ الذي سجنه هذا النظام .

. . .

وبعد ، ونحن لا نكتب هنا عن « لنظام الاقتصادي في الإسلام » حتى نم بكل حوار هذا النظام . إنما نحن نكتب عن « سياسة مال » فيما يتعلق بموضوع « العدالة الاجتماعية » وحقيقة أنه لا يمكن فصل حوار عن حوار في المسح الإسلامي شامل متكامل للحياة ؛ ولكن صيغة الموضوع الذي يعالجه هذا الكتاب لا تسمح بالتوسع أكثر من هذا في عرض تفصيلات « لنظام الاقتصادي الإسلامي »

هكمي بن نلقول أن النواعد لأساسة هذا النظام تتلخص في

١ - قيامه على أساس قاعدة « لاستحلاف المشروط » . والله سبحانه هو الخالق المالك لكل ما في الأرض من أقوات وأوراق وأموال . وقد استخلف في الأرض « الإنسان » كجنس . على شرط أن يتصرف في هذا المالك بشريعة الله . فأما خروج عن هذا الشرط فهو مصل للتصرف ، ناهض لعهد الاستحلاف

٢ - أن الاستحلاف عام . ولكن الأفراد يحصلون على حق الملكية الفردية ، مقاس « عمل » . ومن ثم يملكهم الشارع - وهو الله سبحانه - قسماً معيناً من هذا المال . ويحوط هذا الحق بكل الصيادات ، التي تجعل الفرد عرير كريباً مطمئناً على ررقه كي يتصرع بقيام بواجبه في رقابة تنفيذ شريعة الله

٣ - أن الملكية لفردية - مع أنها قاعدة هذا النظام - مقيدة بشروط في وسيلة التملك

- ووسيلة التنمية ووسيلة الإيقاق تتحقق بها مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة وتجمع من طعان لفرد أو طعان لجماعة
- ٤ - أن التكافل - مع الاحتفاظ بقاعدة الملكية الفردية - هو قاعدة الحياة في الأمة المسلمة وهذه القاعدة تقرر تكاليف دكرها على الملكية لفردية ، مبنية في الشريعة وفيها الكفاية تماماً لتحقيق هذا التكافل العام
- ٥ - أن هذه الاجتماعية تتحقق عن طريق هذا لقدم بأفضل مما تتحقق في أي نظام من صنع الشرعية الحفظاً ولصواب

من الواقع التاريخي في الإسلام

هناك ما يصح أن يطلق عليه «روح الإسلام»^١ هذا الروح يستشعره من يتبع طبيعة هذا الدين وتاريخه على سواء ؛ ويحسه كاملاً وراء تشريعاته وتوجيهاته . مستك في هذه التشريعات والتوجيهات ومع أن هذا الروح واضح قوي . بحيث لا يملك الإنسان نفسه من التأثير به ، ولا استعراق في حوه . إلا أنه - ككل شعور كلي عميق ، و تصور كلي شامل - يصعب التعبير عنه في عبارات محدودة فهو يتجلى في الأهداف والأهداف . وفي الحوادث والوقائع وفي سلوكه وشعائره ؛ ويصعب صسطه في قالب من اللفظ محدود .

هذا الروح هو الذي يرسم الأفق لأعلى الذي يتطلب الإسلام من معسقه أن يتطعموا إليه ، وأن يحاولوا بلوغه ، لا سعيد لفرئض ولتكاليف محسب ، ولكن بالتطوع الداني لما هو فوق الفرائض والتكاليف وهذا الأفق عسير المرتقى ، وأعسر من ارتقائه نشأت عليه ! لأن نوارع الحياة الشريفة وصعظ الضرورات الإنسانية لا بطوعان للأكثرين من الناس أن يرقوا إلى هذا الأفق العلي ، ولا أن يصبروا عليه طويلاً ، إن ارتقوا إليه في فورة من فورات الشوق والتطلع ؛ فلهذا الأفق تكاليفه العسيرة ، وهي تكاليف في النفس ولذات ، وفي الشعور واسنوك . ومن أشد هذه التكاليف مزية هو تلك ليقظة الداعة التي يحرصها الإسلام على صميم الفرد ، وبحساسيه المرفقة التي يثيرها في شعوره ، تحاه الحقوق والوحدات ، بذاته وللجماعة التي يعيش فيها ، وللإنسانية التي يتسب إليها ، وللمحور الذي يراقبه في الصغيرة والكبيرة ، ويعلم سره ويجواه

ولكن صعوبة هذا المرتقى ، وتعدد الاستواء عليه طويلاً لا يعني أن لإسلام فكرة شاعرية خيالية ، ومثل وحداني تتركه الأشواق وبصير دونه لأعمال ، فحدث الأفق الأعلى الذي يحدث عنه لا يكفه كل إنسان في جميع الأزمان ؛ إنما هو هدف مرسوم لتحذونه الشريفة بيوم كما تحذونه عداء ، وكما حاولته الأمس ، فملت به أحياناً ، وقصرت عنه أحياناً وهو مثل فيه من الثقة بالإنسان وصميمه وطاقاته قدر كبير ، وفيه دليل على أن الإنسانية غير مؤوس منها في المستقبل المريب أو البعيد ودون ذلك محال فسيح للعمل والواقع المستبعد عن الأكثرين « لا يكف الله عبداً ولا وعبداً » وسماحة الإسلام تفصل من

(١) سورة بقره [٢٨٦]

جميع ما يستطيعون في حدود مرسومة ، لا تهبط عنها الحياة ، ونكل درجاتها مما حملوا ،^(١) والطريق إلى الأفق الأعلى أسوأ مفتوح . والفرائض والتكديف بداتها تكفي لاستقامة الحياة وصلاحيها

ولقد كان ذلك الروح الذي أشرب إليه أثر في واقع الإسلام لنا عي . فاستحال الإسلام - وهو عميده وتصور - شخصيات ووقائع ، ولم يعد نظريات مجردة ، ولا مجموعة إرشادات وموعظ . ولا مثلاً وأحالة . إنما عدادها داح إسانية تعيش ، ووقائع عمية تتحقق ، وسلوكاً وتصرفات تشهد بالعين ، وتسمع بالأذن ، وتترك كد لها في واقع لحدة ، وفي طور انتشار . فكأنما كان روحاً يتنس هذه الشخصيات فيحوها . ويصوغها صياغة جديدة وبشئها نشأة أخرى

وهذا هو التفسير الأصديق لكل هذا الحشد من الشخصيات العجيبة التي احصت لها تاريخ الإسلام في نشأته ، وعلى مدى عصوره . ونكل تلك الوقائع والأحداث التي يكاد مرء يحسها أساطير اندهشها حلال معلق ؛ ولم تكن ذات يوم حقائق سحبت الواقع ، ووعاها التاريخ

ومادح التطهر الروحي ، ولشجاعة النفسية ، والتضحية المؤثرة ، والفاء في انقيده ، والومضات الروحة والمكرمة البارة ، والبطولات الحبة في شتى مساحي الحياة لا يكاد يحصيها التاريخ

ولا بد أن بعد الصلة حممة من هذه البطولات والحوارق المتناثرة على مدار التاريخ ، وبين روح الإسلام القوي لفعول ، الذي يعد مصدر هذه الصاقة المسنة في أطوائها جميعاً . ثم دراسة هذه البطولات وحوارق مفرقة ، دون وصفيها بهذا المسع الاصيل ، فأحشي أن تكون مقصده ومصلته عن لحقائق الأساسية في لكون ولحياء ، برحمتها سر عظمه كل شخصيه إلى عنقربه حصه بها ، ويهمل الروح الأول مشع لمؤثر ، ذلك الروح الذي مس أرواح الأنطال ، كما مس عملة لرمس ، وطائغ الأحداث ، ودعوتها جميعاً في تيار حي قوي حياش ، تنخر في حدة العقريات والوقائع والأحداث

ولن يكون مخطئين حين نرد أبحاث هذه العقريات كلها ، وبرور تلك البطولات جميعها ، إلى فعل ذلك الروح القوي ، فهو حركة كوية شاملة ، تتوافى مع هذه الانطاقات ، الفردية في الظاهر ، كوية في الحقيقة . ومقيس عظمه كل عقريه منفردة هو استعدادها لتلقي ذلك العيص الكوني . فلا عجب إن كانت أكبر عظمه هي نيرة محمد بن عبد الله

(١) سورة الأنعام [٣٢]

— صلى الله عليه وسلم — فهي التي نلت ذلك الميصر كله واستوعبته ، وأطاعت تنفيذه كاملاً
والصبر عنه طويلاً ، لأنها في صميمها قوة كوسة لا طاقة فردية

ثم تندرج العظومات تحت أفق السورة ، في أصحاب محمد — صلى الله عليه وسلم —
وفي معتقدي دينه على مدار التاريخ ، كل بقدر ما فيه من استعداد لتلقي ذلك الروح الكامل
في ذلك الدين العظيم .

هذه السطرة الشاملة هي التي تكشف ما عن مس ذلك الروح لأرواح الشر ، وما به
من عقوبات ، وما أثر من بطولات ، وما حور من مجرى التاريخ الإنساني على وجه
العموم .

وبما سملك أن يرى الآثار الواضحة من ذلك روح في أحداث التاريخ كبرى كما
برها في حوادث السلوك السومة والعظمة الروحية لا تدس بالكم والمساحة بل بالسورة
وبدلانة العظمة التي تتجلى في علمه جمع من عرب الجزيرة على إمبراطوريتي كسرى
وقصر في فترة زمنية قصيرة لا تطرحها في القصر لا يحسها قدرها ، بل يحس قسما بها
العظمة التي تتجلى في صبر بلال بعد بحثي . على بدء وريش بدء فوق طرفة البشر
حياته ، تفتته عن دمه وهو علم ثابت ، يرمضه حر لحجارة السحابة وثقها على بطة
وصبره . مع الخوع والعطش والإبداء لما يريد على قوله أحد أحد في وحدة هذا
العباد الذي لا يطاق .

وإن هذا الروح هو الذي يمس الرجل لشارع لا مبال له ولا حاء ، فقف به أمام
السلطان القادر القاهر بحبه بكلمة الحق لا يخشى في الله لومة لائم ، كما يلمسه في الحقيقة
الراشد ، تدب به الممالك ، وهو على حاله من بقعة والسمو والتواضع كلاهما يعرف
من معين واحد ، هو ذلك الروح القوي المؤثر العميق .

وعلى ذكر غيبة العرب على إمبراطوريتي كسرى وقصر ، يجب أن نحسب حساب
دين الروح ، واستصاها على القوى مادية الصلحمة المرصودة في طريقه . معشودة في
الإمبراطوريتين الصلحمتين ، ولتي لم يكن العرب أكفاء ما يعبر ذلك الروح فانتصار
الإسلام ما هو بتصور عمده تصبغت النفوس البشرية ، وإنه من كتيلاً نوياً بتصوير
الإسلامي لنا . لا تفق أمامه سائر التفسيرات لأنها تعجز لا محالة عن تعيل ذلك
الانتصار العريب

على أن النهضة النفسية العبيده التي نصبت للإسلام لعرب الجزيرة في اشعور ولسوك .
وفي الأهداف والعيابات . وفي لتظيم الاجتماعي والاقتصادي لا نقل دلالة في هذا المجال
عن دلالة الفتوح ، بل هي أوضح وأقوى على تطور اقتصادي تم في حياة الجزيرة بين معيت
محمد — صلى الله عليه وسلم — ووفاته أحدث هذا الانقلاب كله في التفكير ولشعور

والانتظيم ولتوجيه^٩ إنما هي العقيدة التي صنعت كل هذه الأعاجيب

وإنه يصعب في هذا المجال أن نستعرض هذا الانقلاب ؛ فحسبنا منه هذه السمحة التي شهد بها شاهد من العرب أنفسهم في ذلك الزمان ، آدم شهود من مكري هذ الدين ، فلم يحدوا لهم رداً يكذبه فيما يقول . ذلك حين هاجر بعض المسلمين إلى بحشة فراراً بدينهم من إيداء عريش أوائل بدعوة الإسلام ؛ فحششت عريش أن يكون في ذلك الهجر متحصن بمسلمين . فعتب سفري من لذهبا إلى نجاشي الحبشة يرد أوئك المهاجرين ، وهما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة فقالا : « يا ملك ! به قد صوى إلى بلدك منا غلمان سفاء . فارقو دين قومهم وم بدحووا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت . وقد نعتنا إليك بيهم أشرف قومهم من تائبهم وعشائريهم ، لتردهم إليهم ، فهم خير لهم عبياً ، وأعلم بما عابوا عليهم وعائبوهم فيه »

فلما ساء النجاشي المسمن « لما هذ الدين بدي فارقتم به قومكم ، ولم بدحووا به في ديني ولا في دين أحد من هذه المس ؟ » كان جواب جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - « أيها الملك ! كما قومنا أهل جاهلية ، بعد الأقسام ، وبأكل الميتة ، وبآتي الفواحش . ونقطع لأرحام ، وبسيء الخوار . وبأكل التقوي ما الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله يسار رسولاً منا . يعرف بسبه وصدقه وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله ليوحدنا وبعده وعلج ما كنا نعد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصلى الحديث وأداء الأمانة ، وصلة لرحم ، وحسن الخوار ، والكف عن المحرم والدماء . وبها على الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال السيم ، وقذف المحصنات . وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة وبركة والصيام »^(١)

ولقد كان السمران حاصرين ، وهبما عمرو ، لا تنقصه دلائل نسيان ولا سعة الحيلة ، فلم يكذباً جعفر في تصويره لحال الحرية قبل الإسلام ، وبحقيقة الدين الجديد ومثله ، فهي صورة صحيحة صدقة لما كان وما صار

تلك شهادة من بطون التاريخ عن الحرية الممينة ، وهذه شهادة أخرى من رحل غير مسلم في العصر الحديث عن لعام كله إذ ذاك يقول (ج هـ ديسون) في كتابه (Emotions as the Basis of Civilisation) « العواطف كأساس للحضارة »

« ففي القرنين الخامس والسادس كان العالم لمتدين على شفا حرف هذ من القصص ، لأن العقائد التي كانت تعين على إقامة الحضارة كدت قد بهارت . ولم يك ثم ما يعتد به مما يقوم مقامها ؛ وكان يبدو إذ ذاك أن المدين الكبري التي تكلف ساؤها جهود رسة آلال

(١) من رواية ابن إسحق عن أم صبرة في ليرة لابن هشام ، الجزء الأول

سنة مشرفة على التمسك والإحلال ، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى « كانت عليه من الحمحية » ، يد القاتل تتحارب وتتساحر ، لا قانون ولا نظام . أما الظلم التي حطفتها المسيحية فكنت تعمل على تفرقة ولا بهار سلا من الاتحاد والنظام . وكانت المدينة كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العلم كله واقعة تترجح وقد تسرب إليها لعطب حتى الباب وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحّد دعاء جميعه » .

* * *

وبعد فإن الحديث بطول ، وبس موضوع هذا الكتاب هو « الإسلام » : بما هو « انعاده الاجتماعية في الإسلام » فحسن أن نعرض لمادح من النوقع التاريخية في هذا الموضوع الخاص

* * *

ولكن من بدأ المادح في هذا الاتجاه حتى نعرض لبعضها في شأن آخر عمق في ضمير الإسلام ، وعليه قامت كل أساس الإسلام

قلنا منذ قليل عن تلك بقطعة الدائمة التي يفرصها الإسلام على ضمير الفرد ، والحساسية المرفقة التي تدها في شعوره . ولقد حفظ النوقع التاريخي للإسلام مادح لتلك النقطة الدائمة ، وهذه لحساسية المرفقة . أكثر من أن تأتي هنا . ، والمادح لقليلة الملوحة تعني عن لكثير عن تربية قاد . اجاء ماعز من مالك إلى سي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال : ويحك ! ارجع واستعصر الله وتب إليه . قال فرجع غير بعيد ، ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك . حتى يد كانت الربعة كان رسول الله - محمد - أظهرت ؟ قال : من أربنا فسأل رسول الله - أبي جبريل ؟ فأخبر أنه ليس بمجنون . فقال : أشرب حمراً ؟ فقال : نعم فاستنكهه فلم يجد منه ربح حمراً . فقال : زيت ؟ قال نعم ! فأمر به فرحم - فلبس ثوبين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : استمعوا لما عر من مالك . فقد تاب توبة نو قسمت بين أمة بوسعتهم ثم جاءته امرأة من عامد من الأردن . فقالت : يا رسول الله طهرني . فقال : ويحك ! ارجعي فاستعصري الله وتوبي إليه . فقالت : ترمد أن تردني كما رددت ماعز من مالك ! إني حلي من أربنا ! فقال : أنت ؟ قالت نعم . قال لها : حتى تضعي ما في بطنك . قال فكعبها رحن من الأنصار حتى وصعت ، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرب - قد وصعت العامدية ، فقال : إذن لا يرحمها وسرع ودها صغيراً بس له من ترضعه . فقال رحن من

(١) عن كتاب الإسلام والنظم : تأليف مولاي محمد علي ورحمه الأستاذ أحمد جودد سحار

الأبصار فقال : إني رصاعه ، بي الله قال فرجها ويروي أنه قال لها : دهني حتى تلدي
فما ولدت قال : ادهني فرصعته حتى تمطميه ، فما تمطميه أنته بالصبي في يده كسرة خبز ،
فقلت : هذا بي بي الله قد تمطميه وقد أكل الطعم فدهج لصبي إن رحل من المسلمين ،
ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها فقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى
رأسها ، فتصبح الدم على وجهه خالد ، فسب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : مهلاً
يا خالد ، فوئدي نفسي بيده نقد ثوب ثوبه لو تأبى صاحب مكس لعقر به ، ثم أمر بها
فصلى عليها ودفنت^(١)

وهذا ماعر من ذلك وهذه صاحته ، ولم يكن أحدهما أو كلاهما ليجهل العقاب
الألم لدي ياله ، وانصير الشيخ الذي يحل به ، وم يكن أحد قد رآهما لتثبت عليهما
الحرمة ، ونكهما بحال على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، كما شابت رحمته ورحمة
الإسلام أن لا يمضي في تتبع الاعتراف أضراً ولحاً ، وأعنف على أنفسهما جميع الأبواب
والمنافذ ، بل رادت المرأة أن تحبه محمداً رسول الله بأنه يريد أن يردّها كما رد ماعراً إن
كانت لتكاد تقول لرسول الله في شريعته :

لم هذا كله ؟ في قوله وقوله : أظهرني يا رسول الله ما يشير إلى اسعث القوي
دي يعل في أنفسهما على رعة الحياة بها بقطة الصمير ، وحساسيه شعور بها
الرعة في التطهر من الإثم لدي لم يطلع عليه أحد إلا الله ، إنه الحياء أن يلقيا الله عدماً لم
تطهرا من ذنب ارتكناه

ذلك هو الإسلام في حساسيته لمهفة سر في صمير الحاي وفي رحمته العميقة ،
تدعو في رداسي - صلى الله عليه وسلم - هما : كذلك يبدو في حرمه في تنفيذ العقوبة عند
ثبوت التهمة ، لا يقمه بل الاعتراف ولا عظم التوبة ، لأن الحاي وشارع يلتقيان هنا
عند الرعة في قيم هذا الدين على أساسه لمركبين

فهذه في لحدود فكيف بها في الاعتبارات الاجتماعية التي يصحح أحداً في سبيل
الحياة ؟

بها قصة عرل خالد عن إمارة الجيش في الشام وتوبيتها أبا عدة وحاند هو نقاد
ندي لم يهرم إلى ذلك اليوم في موقعة قط ، وهو خدي الذي تحري الحدية في كبدته في
الجاهلية والإسلام . حاند هذا يعرل من الإمارة ، فلا يصطغر ، ولا تأخذه معرفة فيسحب من
لميدان - ولا يقول يحاوي الثورة - بل يطل في المعركة بالعرينة ذاتها ، وبالرغبة في بصرة دين
الله ، ولا استشهاد في سبيل الله لا تلقى نالاً إلى هذه الاعتبارات كلها في الموقف ، لأن البقطة

الدخلة التي يفرصها الإسلام على ضمير لهر ، وحساسية مرهفة التي يثيرها في ضميره .
فوق كل الاعتبارات وفوق كل الملاحظات

وهذه الواقعة دلالتها في الحسب الآخر حبت عمر بن الخطاب لقد كتب عنه
حائداً نتيجة هذه الحساسية لمرهفة حساسية فهدأ أحد على خالد في خلافة أبي بكر شيئا ثار
لها ضميره ، وهاجرت لها حساسيته . أحد عليه تسرعه في قتل مالك بن نويرة ، وإعراسه
بعد ذلك بامرته ، كما أحد عليه بعدها حادثه فريه منها هي روحه من سعة نجاعة في حرب
مسبلة الكذب ، عده مقتل ألف ومائتين من حريرة لصحابة في هذه الحرب . فم يشع
به عنده فيما اعتقد من خطئه ، أن كان أكثر لقواد وأكثرهم انتصارات ، ولأمة الإسلامية
على أبواب حروب صحمة في الشام و العراق ، وهي حواح ما تكون إلى عقرية خالد التي
لم تهرم قط ، فم يكن شيء من ذلك بقادر على أن يسكن من حساسية ضمير عمر خطأ خالد
الصالح ، وبضرورة إبعاده عن إمارة الخيش ، ثم عن الخيش كله . وقد انصم إلى هذه
لحوادث كلها أن طريقة خالد في استقلاله بما يوكل إليه من الأمور ، لا تنفق وحطة عمر ،
وطبيعته من الإشراف على بدقائق و لخرثات . استجابة لحساسية ضميره بالشدت ^١

وليس أن يسأل . وم أبقى أبو بكر على خالد إذن وهذا خطؤه ^٢

إننا نكرم سؤ طه خالد إلى بعد لذي بعده طه عمر ، فقد رأى أنه لحظ في
لتأويل ، ولم يقصد حطية ولا إثمًا ، فوسعه عفو ، وإن عصب على فعبته ، وخاصة الثانية ،
فكتب له كتاباً « يقطر دماً » ولكن ما كان تقديره أن عمل خالد يقع في دائرة لخطأ .
عنه ربه

هد هو التفسير لصحيح الذي يتفق وحساسيه انصمير الإسلامي في تلك الفترة
وأعجب بعجب ما وردده رجل كالدكتور هبكل في تعبير موقف أبي بكر وموقف عمر ،
من خالد بن الوليد . مما يتحافى مع روح لإسلام ، وإن كان يتفق مع الألعاب السياسة
العصرية في هذه الأيام . قال في كتابه « بصديق أبو بكر » ص ١٥٠ - ١٥٢

« بلغ خلاف الرأي بين أبي بكر وعمر في حادث مالك بن نويرة ما دبت وكلا
الرحبين كان يرد للإسلام والمسلمين الخير ولا ريب أفكان اختلافهما مع ذلك راجعاً إلى
خلاف في تقدير ما صنع خالد ، أم كان اختلافاً على السياسة التي يجب أن تتبع في هذا
الموقف الدقيق من حياة المسلمين . موقف ابردة وقبم الثورة بها في أنحاء شبه الجزيرة ١٩
الرأي عدي في هذا الخلاف أنه كان اختلافاً في السياسة التي يجب أن تتبع في هذا
الموقف . وهو اختلاف يتفق وطائع لرحل . أما عمر ، وكان مثال العدل الصادم ، فكان

(١) عن كتاب « خالد بن الوليد » للأستاذ صادق عرجون

يرى أن حارساً عاداً على مرئ مسلم ، ويرا على مرأته قبل انقضاء عدتها ، فلا يصح بقاؤه في الحبش حتى لا يعود لملئها فيهدأ أمر المسلمين ، ويسير إلى مكائهم من العرب ، ولا يصح أن يترك بعير عدت على ما شئ مع يبي ولو صح به تناول فاحط في أمر مائت . وهذا ما لا يجيره عمر . فحسبه ما صح مع روحته ببقاء عليه لحد ، وليس يهض عدراً له أنه سيف الله ، وأنه القائد الذي سير البصر في ركابه فلو أن مثل هذا العذر يهض لأسحب لحد وأمثاله المحارم ، وبكان ذلك أسوأ مثل يصرب للمسلمين في احترام كتاب الله بذلك م يمتأ عمر بعيد على أبي بكر ويبح حتى استدعى حاداً ، وعنه على فعلته

أما أبو بكر فكان يرى أن الموقف خطر من أن تصد مثل هذه الأمور ورد ، فقتل رجل أو طائفة من الرجال بقط في لتأويل أو لعبر خطأ ، والخطر محيط بالسنة كنها وشورة ناشئة في بلاد العرب من أقصاها إلى أقصاها . وهذا لحد الذي يتهم بأنه أخطأ من أعظم القوى التي يدفع بها السلام ، وبقي بها الخطر ١٢ وما التروح بمررة على خلاف تقيد العرب ، بل ما السجون بها قبل أن تم طهرها ، إذ وقع هذا من فتح عر ، فحق له بحكم لعرو أن تكون له سدا يصح من مث يمه ١٣ ! إن التزم في تطبيق لتشريع لا يحب أن يتناول النواع والعظماء من أمث حاد ، وخاصة إذا كان ذلك بصر بدونه أو يعرض للخطر . ولقد كان المسلمون في حاحة إلى سيف حاد ، وكانوا في حاحة إليه يوم استدعاه أبو بكر وعنه أكثر من حاجتهم إليه من قبل . فقد كان مسيلة بالمامة على مقرنة من الطح في أربعين ألفاً من بني حيفة ، وكانت ثورته بالإسلام والمسلمين أعف ثورة ، وكان قد تغلب على عكرمه بن أبي جهل من قواد المسلمين ، وكان أكبر الرعاء معقاً بسف حاد في الانتصار عليه . فمن أجل مقتل عالت بن برة ، ثم من أجل ليل الحمله التي فتس حاداً ، يعزل حاد وتعرض حبوش المسلمين لتغلب مسيلة ، ويتعرض دين الله في عكره أن يعرض له ١٤ إن حاداً آية الله وسيف الله . فلتكن سياسة أبي بكر حين استدعاه إليه أن يكفي نفسه ، وأن يأمره في الوقت نفسه بأسير إلى سامة ولقاء مسيلة

لهذا في رأي هو التصوير الصحيح ما كان بين أبي بكر وعمر من خلاف في هذا الحدث . ويعل أن بكر بما أصدر أمره إلى حاد يومئذ بأسير بلقاء مسيلة بعد أن تغلب منى بني حسة على عكرمه ، يرى أهل المدينة ومن كان على رأي عمر مهم حاصه ، أن حاداً رجل الميمات ، وأنه قد قذف به حين أصدر إليه هذا الأمر في حميم ، ما استعته

(١) لو كان هذا صحيحاً لأقام عليه الحد في خلافته

(٢) هذا كلام رجل يجهل بدسيات الشرع للإسلامه . إذ كان حاد على مرئ مسلم فلا بد من قتله بحد الله

ثم ما دام هذا براء مسلماً بوجه لا سى في حرب ٢١

وقضى عليه فكان ذلك حيز عقاب له على ما صنع بأمر تميم وروحها ، وإما صهره أنصر فيه
وظهره ، فخرج مظهر أعاد قد سكر من لسمين روعاً ، لا تعد فعلته بالظاح شيئاً مذكوراً
إلى جانبه .

هذا هو التصوير «الصحيح» للأمر في نظر الدكتور هيكل ! وإن أعجب صاحب
رحل يعيش يفكره بنفسه في جو هذه الفترة من لتاريخ الإسلامي ، وفي ظل هذه الصائر
المرهقة لحساسية لشديدة الحساسية من رجاله ، ثم لا يرتفع صميره هو وشعوره بتفسير
الحوادث عن هذا المستوى ، المستند مباشرة من ملاسات السياسة في عصرنا لمادي
الحاصر ، لا من روح الإسلام وتاريخه في تلك لفترة ! إنما هذه سياسة أيامنا بحاصرة تدور
الوسيلة بالعاية ، وتهبط للصمير الإنساني إلى مستوى بصوريات اوفتيه ؛ ونحسب هذا
براعة في السياسة ، ولبقة في بصرف الأمور ، وما أضمر أن نكر في هذا التصوير الذي
يقول الدكتور هيكل إنه هو تصوير الصحيح ! لولا أن أنا نكر كان نكر وأبعد من
مدى صهر الذي يظفر به رحل يعيش في عصرنا ، فلا يستعجب إطلاء أن يرتفع
إلى ذلك لأفق لسمق لعد مصلاً على الجهل بمصاح أوليات الشريعة الإسلامية

ومره أخرى يعود الدكتور هيكل في كتابه «تفروق عمر» جزء أول ، بصور أفكار
عمر وهو بهم عرب خالد ، فيتركه هبوط العصر لسي يعيش فيه ، وتقعده ثقة رئيس
الحرب الذي يرى المصالح الوقتية والبصوريات المدحية ؛ ولا يطبق أساساً أن يستشعر روح
الإسلام في آفاقه العليا . ذلك حيث يقول في ص ٩٩ - ١٠٠

كيف عامر عمر بعزل خالد ، وحاند على رأس قوت المسلمين بشام ؟ وهذه القوت
في موقف دقيق ؟ فقد كانوا هناك بإراء الروم ، لا يوجهوهم ، ولا يقدرين من أمرهم على
شيء ، ولا يقدر الروم من أمر المسلمين على شيء . كان ذلك موقفهم من أن يذهب حاند بن
لولبد من لعراق إليهم . ثم ظنوا أنه بعد أن أقام حاند بهم ، وكان كلا الفريقين تتحين
لفرصة التي يخرج فيها من حموده ، ويوقع فيها بعده . أفلا يحشى الحبيبة أن يفت أمره
بعزل حاند في أعصاب المسلمين ، فيريد موقفهم دقة ؟ أو لم يكن لأجله أن يزيث حتى
يخرج حاند بالمسلمين من أمارق الذي هم فيه ، وله بعد ذلك أن يأمر عما يشاء !

«هذه اعتبارات لها من غير شك قيمتها في تطور القتب ، وسرى من بعد أن أنا عبيده
قدرة قدرها ، دون أن يحشى برم بخيطة به أو عصه عليه . لكن عمر نظر في الأمر من غير
هذه الناحية ، لو أنه أرحا الأمر بعزل حاند إلى ما بعد المعركة لأصر ذلك سبسته وأفسد
عنه حصته . فس للمعركة مصير إلا أن يهرم المسجون فيها أو ينتصروا . فإن اهرموا م بعز
عزل حاند عن هر بهم ، وإن انتصرو وحالده فانداهم لم يكن لعمر أن يعزل قدياً في أوج صهره

فإن فعل في مراً يداً وعمر حريص على ألا يبقى خالد على لقادة عصاة بالشام أو غير الشام ؛ لذلك أسرع فأنصر الأمر بحربه ، وله من لعن أن حاداً لم يحقق ما لديه أبو بكر تحقيقه فإذا انصر المسلمون بعد هذا فلا ثريب على عمر فيه ، فهو ، بما صنع ، اقتنع بأنه بحق ، وصنعه وتحالف في موقف لا يظلمه من يأمر بعلمه .

هكذا فكر هيكس «نشا» في القرن العشرين ، ثم سدد تفكيره إلى عمر في صلب الإسلام ؛ كما فكر من قبل ثم أسد تفكيره إلى أبي بكر ؛ وهذه قوله رجل لم يمس روحه روح أبي بكر ولا روح عمر ، ولم تستصح حياته في جو الإسلام فترة أن يتزعج من ملاسات القرن العشرين ، وما فيه من التواءات وحداثات وتيارات فرص على حساب الصمير أو حساب الحق أو حساب الدين

وما من هيكس عمر ؟ فكان عمر منياً على خالد بن كاد لظروف غير الظروف . وبو كانت الفرصة غير الفرصة ؟ وهو يعتقد بيه وبين صميره - كما صوره هيكس «نشا» أن حالداً آثم في حق مالك بن نويرة وفي حق الله والدين ؟

أهو عمر ذلك الرجل الذي يقيم وزناً هذه الاعتبارات ، ويحييها رأسه . وهو الذي كان بشي الشواهد ولا بشي ، وبوجه العصفه بالإيمان ولا يحيي ؛ مثل هذا قد يصنعه ملوك بني أمية أو ملوك بني العباس ، ويعده الناس منهم ذهبا وسعة حيلة ؛ فاما عمر فلا ، وأما أبو بكر فلا كذلك . ويأطى بعضهم بهذا هذا لظن لصحالة روح العصر وهوود مقاييسه ومعايره ؛

وبعد . فقد أسهت في عرض هذا اللوب من التفكير وتفسيره لأصحح الخطأ العميق الذي يقع فيه من يريدون تصوير طرائق التفكير والشعور في عصر ارتفاع الروح الإسلامي ، على صورة التفكير والشعور في عصرنا المادي بعيد عن ذلك بروح الخرف وما يجرد هذا الخطأ من سوء تفهم لحقائق الصمير البشري ، وادقته في أسموه ولحماسة وما أريد أن أسس أولئك لرجال ثوباً قصصاً ، ولا أن أصورهم معصومين من كل ضعف بشري ؛ ولكنكم أريد أن أرى شفه بالصمير البشري إلى هوس الناس ؛ كما أريد أن أصور هذه الفترة من حياة المسلمين في صورتها الصحيحة التي يستشعرها بقوة كل ضمير فيه استعداد ينطلق إلى هذا الأفق البعيد ؛

ثم لنمض في استعراض مبادئ الحساسية المرفعة في شتى المباحي
هذا عمر بن الخطاب خليفة يقبل حاملاً قرية ماء ، فيسأله الله في استكدار لم يعت
هذا ؛ فيجيب «أعجبتني نفسي فأحسب أن أدرك ما ه من حساسة لقد استشعر
نفس ارجل شتاً من الرهو في أعماقها بالخلافة وبالتوح والاعظمة بقية ، فكره ما أن
تلج في هذا الرهو ، فادر بدلاً وسفا على مرأى من الناس ولا يباي أنه بحقيقة الحاكم

على رقعة صم إلى بلاد العرب معظم إمبراطوريتي كسرى وقيسر !
 وهذا عي بن أبي طالب حصة يرعد من البرد في لشتاء ، وعلى حصد ثوب صيفي
 لا وفاء له سواه . وبيت المال في يده ، تدوده عنه تلك العيطة في الصمير ، وذلك الإرهاف
 في الشعور

ثم هد أبو عبيدة مع جده في عموس ، وقد أحدها انطاعون لفتاك ، ويحاف
 عمر على « من الأمة » فيدعوه بلتمس له محرراً من الهلاك في كتاب يقول له فيه
 « أما بعد ، فإني قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن شافهت فيها ، فمرمت عليك إذ نظرت
 في كتابي هذا ألا تصعه من يدك ، حتى تقبل إلي » وبظن أبو عبيدة في الكتاب فيدرك
 قصد عمر ، ويشعر أنه إنما أراد أن يستنه من الوفاء لفتاك ، فيقول « بعمر الله لأمر
 المؤمنين ! » ثم يكتب إليه « أي قد عرفت حاجتك إلي ، وإني في جند من المسلمين لا أحد
 سفي راحة عنهم ، فست أريد مراقبهم ، حتى يقضي الله فيهم أمره وقضاه ، فحلالي
 من عرمتك يا أمير المؤمنين ، ودعي في حدي » ، ويقرأ عمر الكتاب فيكي ، فيسأله من
 حوله أمانت أبو عبيدة ؟ فيحجب وأنذرع يحفه « لا وكان قد » وقد كان !

أهو لايمان العميق بغير الله يحسك أنا عبيدة في مراده ! إنه لهو ، ومع ذلك الحساسية
 ألا بهر بنفسه وندع حله ، وهو وإبهم حيد في سبيل الله

وهذا بلال بن رباح مؤيد الرسول ، يرحوه أخوه في الإسلام « أبو ربيعة الخثعمي »
 أن يتوسط له في الزواج من قوه من هل اليمس فيقول لهم « أنا بلال بن رباح . وهذا أخي
 أبو ربيعة ، وهو أمرؤ سوء في الخلق والدين ، فإن شتمت تزوجه فزوجوه ، وإن شتم
 أن تدعوا له »

هكذا لا يدلس عليهم ، ولا يحفي من أمر أخيه شيئاً ، ولا يذكر أنه وسيط ليسي
 أنه مسؤول أمام الله فيما يقول وقد روحه يقوم مطمئنين إلى هذا الصديق ، وحسبهم أن
 يكون صاحبه وسيطاً بين ابتهم ومن خطبها إليه !

ثم هذا أبو حصة قد بحث سمع بن حفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة .
 وأعمده أن في ثوب منه عيباً ، فينه لئس ، فباع حفص المتاع ، وسبي ن يمين ، واستوى
 ثمناً كاملاً لثوب غير كامل ، فقبل أن التمس كان ثلاثين ألفاً ، أو خمسة وثلاثين ألفاً ، فإني
 أبو حبيصة إلا أن يبحث شريكه يكلفه أن يبحث عن مشتري ، ولكنه لم يهتد إلى رجل ،
 فإني أبو حبيصة لا فصلاً من شريكه ، وتتركاً بل رفض أن يصيب الثمن إلى حر ماله ،
 وتصلق به كاملاً^(١) .

(١) من كتاب « أبو حبيصة بطل البحرية والسماع في الإسلام » للأستاذ عبد الحليم الجندى

٨ وروى أنه كان عند يوس بن عُشد حلل مختلفة الأثمان صرب قيمة كل حبة من
 أربعمئة ، وصرب كل حبة قيمتها مائتان ، فمر إلى الصلاة ، وحلف ابن أخيه في الدكان ،
 فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمئة ، فعرض عليه من حلل المائتين ، فاستحسبها ورضيها
 واشتراها ، فصلى بها ، وهي على يديه ، فاستقبه يوس ، فعرف حبه ، فقال للأعرابي
 بكم اشتريتها ؟ فقال بأربعمئة ، فقال لا تساوي أكثر من مائتين ، فارجع حتى ترددها !
 فذهب هذه تساوي في بلدنا خمسمئة وأن أرخصها ، فقال يوس انصرف ، فإن البصيح
 في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ، ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه
 في ذلك ، وقال : أما استحييت ! أما اتقيت الله ! تبيع مثل نفس وتترك بصيح للمسلمين
 فقال والله ما أخذها إلا وهو راضٍ بها قال . فهلا رصيت له عما ترصده لنفسك ؟
 ٩ وروى عن محمد بن المسكندر أن علامه باع لأعرابي في عتبه شقة من الحسمات
 بعشرة ، فلم يرب يطلب ذلك الأعرابي طول النهار حتى وحده فقال له إن لعلام قد غلط
 فبعث ما يساوي خمسة عشرة فقال يا هذا قد رصيت فقال وإن رصيت فإننا
 لا نرضى لك إلا ما نرصاه لأنفسنا ، ورد عليه خمسة ^(١)
 ومحتاج هذه الحادثة الثلاث هو قول يوس بن عبيد لاس أخيه : أما تسحييت ؟
 أما تقيت الله ؟ نعم به أحياء من الله ، وإياها يتقوى الله دينك ما يثبته الإسلام في النفس
 الإنسانية بقوة حين تستشعر روحه ، ويمتحن بها وتحلظها بشدته
 وإن وراء هذه انماذج التي عرصها لعشرات ومئات من أمثالها في كل محي وكل
 أنحاء . وحسبنا منها هذه المثل القليلة ، لتشير إلى الآفاق التي يهدف إليها الإسلام في تظهير
 الصمير لشري ورفعه ، يستعلي على جميع الدلاسات والضرورات على حب النفس
 والحياة ، وحب المال والجاه ، وليبصر على تكليف اليقظة السائمة التي يفرحها على صمير
 الفرد ، والحساسية الموهبة التي يثيرها في شعوره ليصن بذلك نوع تلك الآفاق
 ثم عصي من بلاد مطمئنين ، ستمرض بعض جواب انوقع التاريخي للإسلام في العدالة
 الاجتماعية ، على هدى من تلك الآفاق المشعة ، دعابة في واقع الإسلام

* * *

المساواة المطلقة بين بني الإنسان كانت رسالة الإسلام ، واستحضر الوجداني انطلق
 من جميع لقيم وجميع الاعتبارات التي تحدش هذه المساواة ولقد أسعنا الحديث عن

(١) عن كتاب : الرسالة الحائلة ، للاستاد عبد الرحمن مرام

نظرة الإسلام في مساواة والتحرر ، وخصوص التي لا تدع محلاً لبثث في عمق هذه النظرية وتأصلها في ساء الفكرة الإسلامية عن اجتماع الإنساني ، فالآن نطرح كيف طغت هذه النظرية في واقع الحياة .

كان الرقيق في كل مكان على وجه الأرض طبقة غير طبقة لأحرار ، وكذلك كان في الجزيرة العربية ، فأما محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم - فقد روح ابنه عمته «ريث بنت حنشل» سليله قريش الهاشمية من مولاه زيد ، ولروح مسنة حساسة ترتفع فيها قضية المساواة إلى أفق دونه كل أفق ، وما كان أحد غير هذا لبي ، ولا كنت فوه غير قوه هذا الدين ، بكافية أن يحق هذه المعجزة التي لا يحق إلى اليوم لغير بلاد للإسلام ونحن شهد في دولات متحلة التي نطل فيها الرق بحكم القلوب ، أن لرحي لا يحرم عليه الروح بالبصاء - أية بيضاء - محسب - من يحرم عليه دخول المدارس والجامعات والمصالح والجنوس إلى حوز البصر في المركبات العامة ، والروب معهم في المشاوي والمناظر حتى الآن !

وحسبنا آخي محمد - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار في أول الهجرة كان عمه حمزة ومولاه زيد أخوين ، وكان أبو بكر وجدة بن زيد أخوين وأبو ربيعة بن ثعلبة بن رباح أخوين ولم تكن هذه الأخوة مجرد لفظ ، ولكنها صلة الحياة التي تعدل صلة الدم صلة بقرني في نفس والمال وسائر مظاهر الحياة ثم بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - زيد مولاه قائداً لغزوة مؤتة ، ثم نابه أسامة قائداً لغزو الروم في جيش يضم كثرة من المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وفيهم عمر ، وزياد الرسول وصاحبه ، ولحيقة بن عبد باجماع المسلمين وفيهم سعد بن أبي وقاص وهو ذو قرني من رسول الله يد كان من أخوته بني زهرة ومن أسبق قريش إلى الإسلام . شرح الله له صدره وهو ابن سبعة عشر عاماً ، وهو ذو مال وجمعة وقدرة على الحرب وعنفه في الجهاد

فإذا قص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصر أبو بكر على إرصاد جيش أسامة ثبت قائده الذي اختاره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم سار يودعه إلى طاهر المدينة أسامة راكب وأبو بكر لحببه راحل ، فيستحيي أسامة أن يركب وهو شاب وحليقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمشي وهو شيخ ، فيقول « يا حليقة رسول الله - لتركب أو لأترل » فيقسم الحليقة « والله لا ترل » والله لا تركب وما عني أن أعبر قديمي في سبيل الله ساعة ١٩ . ثم يرى أبو بكر أنه في حاجة إلى عمر ، وقد حمل عبء الحلافة على عاتقه ، ولكن عمر إنما هو جندي في جيش أسامة ، وأسامة هو الأمير ، فلا بد من استئذنه فيه ، فإذا احسسه يقول « إن ريت أن تعيني عمر فافعل »

يا لله ! إن رأيت أن تعيبي عمر فافعل . إنها آفاق حوال . لا يرقى إليها تعليق أو مقال .

ثم تمضي عجلة الزمن هري عمر بن الخطاب حطفاً يولي عمار بن ياسر على الكوفة وهو أحد الموالى - ويقف باب عمر سهيل بن عمرو بن حارث بن هشام ، أبو سفيان بن حرب وجماعة من كبراء قريش ، هناك قبلهم لصهب وبلال ، وهما موبدان فقيران ، لاسهما كانا من أهل بدر ومن السابقين من الصحابة ، فتورم أنف أبي سفيان من العصب هذا التكليم ، وينطلق لسانه يدعو بدعوى الجاهلية يقول : « لم أر كديوم قط يادن هؤلاء العبيد ، وتركنا على بابه » !

وعمر عمر بن الخطاب يوماً ممكة فيرى الحدم وقوة لا تأكل مع ساداتهم . فيعصب ، ويقول لساتنهم مستكراً : « لقوم يستأثرون على حدامهم ؟ » ثم يدعو لحدم للأكل مع السادة في جصة واحدة !

وكان عمر قد استعمل على ممكة نافع بن الحارث فلقبه عمر بعسفاً ، فقال له عمر من ستحلقت على أهل المودي ؟ قال استحلقت عليهم ابن أبري . قال وما ابن أبري ؟ فقال رجل من مواب فقال عمر استحلقت عليهم موى ؟ فقال إنه قارئ بكتاب الله ، عالم بالقرآن ، قاص . فقال عمر أما إن بيحكم - صلى الله عليه وسلم - قد قال « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » .

وما كان سؤال عمر استكراً . إنما هو ستمهام ليعلم هم كانت مزبه ابن أبري وهو لا يعرفه ، وإلا فهو الذي يقول وهو يوصي بالنسبة أهل الشورى بعده « لو كان مدام مولى أبي حذيفة حياً بوبته » فهو عبده أثر من أهل الشورى وهم عثمان وعلي وحطحة والريير وابن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر !

وحطبت رجل من الموالى بن رجل من قريش أحبه ، وأعطاها مائلاً حريلاً ، فأنى بقرشي تزويجها إياه . فلما بيع ذلك عمر ، قال بقرشي ما سمعت أن تزوجه ، فإن به صلاحاً وقد أحسن عطية أحثك ؟ فقال القرشي يا أمير المؤمنين ، إن لك حساً . وبه ليس ها تكف . فقال عمر فقد جاء بحسب الدنيا والآخرة . أما حسب الدنيا فمال ، وأما حسب الآخرة فالتقوى . روح الرجل إن كانت المرأة راضية . فراحها نحوها فرصت . فزوجه منه . وقد رأينا من قبل كيف كان بلال المولى شجعاً لأنى رويحة العربي في نروح عبد أهل اليمن ، فأكرموه من أهل بلال وقبلوه !

وقد كان المحال مفتوحاً أمام الموالى ليلجوا أقصر مراتب المجد في كل أنحاء . قد كان عبد الله بن عباس يذكر معه مولاة عكرمة . وكان عبد الله بن عمر يذكر معه

مولاه دافع ونس من مالك ومعه مولاه ابن سبرين ، وأبو هريرة ومعه مولاه عبد الرحمن ابن هرم

«وفي البصرة كان الحسن البصري ، وفي مكة كان محمد بن حنبل ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاووس بن كيسان هم الفقهاء»
«وفي مصر بولي القتي برند بن أبي حبيب في أيام عمر بن عبد العزيز ، وهو مولى سود من دققة...»^(١)

وهذه الروح نفسها كان المسممون يظنون إلى العدل فالعامل بيده مكرم محترم ، لا في عالم الطغريات والمثل ، بل في وقع نحياء ، لا يحدث منزلة العامل أن تكون صاعته ما تكون ، فللعامل شرفه أي كان ؛ ولن يمتعه خروجه لتزود من نعم وتنمو فيه والاعتراف له بالاستاذية والتوفير

«كان أبو حنيفة حرراً ، كما كان كثير من رجاله لفقته بعدة خمار وصناعاً»
«هذا الإمام الحنفى أحمد بن محمد بن عمر بن مهير ، نوه تلميذ محمد والحسن صاحب أبي حنيفة ، وكان الحنفى يؤلف للمهتدي بالله كتاب الخراج ، ويصف كتبه العظيمة في الفقه في حين يعيش من حصف المال وهذا الكرايسى يبيع الكرايس أو الثياب الخام وهذا النعال يخرج يده فإذا على ظهر كفه آثار ، يقول هذا من أثر عملي في الابتداء (صناعة الأقهار) وهذا ، فظنوناً يعمل حياطلاً والخصاص شح زمانه شتت إلى العمل في الخص ثم هذا الصفر من بيع الأواني الصفرية أي النحاسية (والصيدلاني من بيع العطر) والحنواي (كان أواه يبيع الحصى) والدقق والصابوني والعلالي والسقالي والقنوزي وغيرهم كثيرون يشهدون من خلال حصف الترييح ، وبمجرد أن انصهر فخر الحصار (إسلامة) أن هذه الأمة حققت في العصور لأول ، ما حصد العالم العربي عشرات لفرون لتحقيقه ولما يكذب يحققه أن ليس ثمة مهز ذمعة ، وأخرى وصيعة ، وإنما ثمة رحاب رفيعون وآخرون لا رفعة فيهم»^(٢)

* * *

ولكن هذا لأفق من أساوة الإنسانية لا يتم بتمامه حتى يعلم كيف كان المجتمع الإسلامي يعامل الأغنياء من ليس فيه ، فإنه لا يكفي أن يحترم الأدنى ويسوده ، بل به يبرن لأعلى مستوى واحد معه لا يفصله فيه إلا بالعمل ، والعمل وحده ، لا بالحس واللب ، والجاه والمال

(١) عن كتاب «أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام» للأستاذ عبد الحليم الجندى

(٢) المصدر السابق

قال أبو يوسف في كتاب «الحراج» . حدثني عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال كتب عمر رضي الله عنه إلى عماله أن يوافوه بالوسم ، فوافوه فقال وقال يا أيها الناس بي أبعث عمالي هؤلاء ، ولأه بالحق عليكم . ولم استعملهم ليصيبوا من أثركم ولا من ذماتكم ولا من أموالكم ، من كان به مظنة عبد أحد منهم فليقم ، فإن قام من الناس يومئذ إلا رجل واحد ، فقال : أمير المؤمنين . عاتك صريبي مائة سوط . فقال عمر : أنصره مائة سوط ؟ قم فاستمد منه . فقال : يا عمر بن العاص هذا له يا أمير المؤمنين إنك إن تفتح هذا على عاتك كبر عليهم ، وكانت سنة تأخذ بها من بعدك . فقال عمر : ألا أريد منه . وقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصد من نفسه ؟ قم فاستمد فقال عمرو : دع يد فترصه قال فقال : دوسكم قال فأنصوه بأن اشتريت منه كذا دينار ، كل سوط دينارين .

ونقد انقضا عمرو بن العاص عن سواه ، ولم يستطع أن يوقها عن ابنه حينما نظم ابن المصري فأفاد به منه عمر ، وهو يقول للمصري : «انصرف بن الأكرمين» وكاد عمرو منه يدوقها لولا أن كف المصري وعفا !

ونقد جلس عمر ذات يوم يقسم مالا بين المسلمين فازدحم الناس حوله ، فأقبل معه ابن أبي وقاص - وقد مر به بسبه وبلاؤه في الإسلام - فراحم الناس حتى زحمهم وخلص إلى عمر . فعلاه عمر بأسرة ، وهو يقول : «م بهت سلطان الله في لأ صر ف ذت أن أعنت أن سلطان الله لا يهانك»

ولعل قائل أن يقول : إنما هذا حلمه !

عسطر الآن ماذا يلقي الحلفاء والملوك من رعايهم من حرية في القرب ولشعور مشوها ذلك التحرر بوحداني بني بني الإسلام في الصمبر . وسك المسورة المطلقة التي حققها في نفوسنا وعمل . وذلك النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي كفل لكل فرد وجوده وكرمه وكفل له العدل والصفة من الأعلواء قبل الصعفاء !

هذا عمر يحط بالناس وهو حبيبتهم فيقول : «إن رأيت في أعوجاجاً فهو مؤي» فيسب به رجل من عامه لمسلمين يقول : «لو وجدنا في أعوجاجاً لقومناه بعد سيوف» . في يريد عمر على أن يقول : «الحمد لله الذي جعل في رعيه عمر من بقومه بعد سبه» !

وعلم لمسلمون أبراداً بحبه ، فحضره برد . وحضر ابنه عبد الله برد - كأبي رجل من المسلمين - . فب كان لحليته في حاحه إلى ثوب . فقد مر ع به عبد الله بده بضمه إلى بده فبصع منها ثوب . ثم وقف بخصب الناس وعنه هذا الثوب . فقال : «يا الناس ! سمعوا وأصعوا» . فوقف سمعان فقال : لا سمع لك عينا ولا طاعة . قال عمر : ولم ؟ قال سمعان : من أين لك هذا الثوب . وقد نالت برد وأنت رجل طوال ؟ قال : لا تفعل .

ونادي يا عبد الله ! هم يحبه أحد (فكلهم عبد الله !) قال يا عبد الله بن عمر
 قال سيك يا أمير المؤمنين قال : شهدتك الله فبرأ لدي الترتت به 'هو رُحْدك ؟ قال
 انهم نعم قال سلمان الآن مر سمع رطع
 وبعد ، فعل قائلًا أن يقول : يا هذا عمر !

قد أتوا جمع منصور مشي دولة في ظل الإرهاب وطمش - ولكنه لا يستطيع أن
 يمضي في دنك إلى بعيد ، وسطاب الإسلام قائم يحمي الناس حتى من ذوي الطش
 والإرهاب ! ها هو د يقم دولة في هذا الخو مدخل عليه سبيل الثوري فيقول : «
 قوت أنت ، أمير المؤمنين فما أتقت من مال الله ، وما أمة محمد بعير إدهم » وقد قال
 عمر في حجة حججه وقد أتق ستة عشر دسر هو ومن معه : «ما ران إلا وقد حصنا بيت
 المال » . وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار وأنت حاصر ذلك ، وأون كاتب كتبه
 في المحس ، عن إبراهيم عن الأسود عن عقيقة عن ابن مسعود أن رسول الله قال : «رب
 محوص في مال الله ومال رسول الله فيما شئت نفسه ، له أسار عدا » ؟ فيقول أبو عبيد
 بكاب - أحد مترقي الحاشية في بلاط ملوك أمير المؤمنين يُستقل غل هذا ؟ فيجيبه
 سنان بنصف : «سكب ، ها هنا هلك فرعون همام ، وهامان فرعون » ثم يخرج وقد
 صاع بكلمة الحق لقوية ، حيث لا يملك الجبره مها تجروا - أن يجروا على من
 عمرت قبه ، وارتفع على انصرورات ، وأخلص نفسه لله

وهذا هو الوثق - وهو أحد الملوك المستبدن أنصاً . مدخل عليه شيخ من المتكلمين ،
 فيسم فلا يرد عليه ابوثق ، كما يقول : لا سم الله عليك ! فإذا الرجل بجبهه الشمس
 ما أدبك معلمك ؟ قال الله تعالى : «وإن حيم شحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » فلا
 حيتي بأحسن منها ولا ردونها^(١)

ويحسن أبو يوسف للقضاء ، فيحتصم إليه رجل مع الخدي ، المثل عاصي . في سنان ،
 ويرى أبو يوسف الحق مع الرجل ، ولكن لسطار شهوده ، فيقول : إن الخصم يطب
 أن يحلف الخدي على أن شهوده صادقون ، فيسكل الخدي عن اليمين - لا يعتقد فيه من
 مهنة له - ويرد استان على صاحبه وكذلت يحلف الرشيد في قصه رأى أن يحلفه بها
 وشهد عبد الفصل بن أربع فرد شهادته ، فعاقبه لحليفه قائلًا : م رددت شهادته ؟ قال
 سمعته يقول : أنا عندك هان كان صادقاً فلا شهادة للعبد وإن كان كاذباً إنه لكذبت^(٢)

(١) عن كتاب : أبو حيفة ، للأستاذ الجدي

(٢) عن كتاب : المسند ، الجزء الأول ، نشر الأستاذ أحمد محمد شاكر

(٣) عن كتاب : أبو حيفة ، للأستاذ الجدي

وم تحب هذه لشعلة التي أضاءها الإسلام في الصميم حتى في أحلك عصور التاريخ ،
فقد تباثرت على مذبحه أمثلة شتى ضد التجرد والوحدة ، واسموا الروحي على جميعهم .
وجميع القوى ، وجميع اللامات

« كان أحمد بن طووس في مصر يعظم بكر بن قتيبة القفاصي المحشي فيحيي في
مجلسه ، ولا يحس بكر بمقدمه إلا إذا جاء إلى حبه . فمما صالته بلعن جوق (ولي عهد
خليفة عباسي) توقف وقال : ألا لعنة الله على الصليين وفيل لابن طووس ! إنما فصلت
بهذا القول قطالته بن طووس رد الخواثر لي « حاره » . فأخذها كما هي عواتقها
وسحبها في در « كريت له . فكان يحس في طوى ويحدث الناس بأذن التمسوه من ابن
طووس . فمما عرضت لابن طووس علقته التي مات بها ووجه به يسجله ، فقال لموسوب
قل له « الشيخ كبير وبن عيين ، والمثني قريب . والله يحاربه يس . ومات ابن طووس
فكان بكر يقول : مات البئس »^(١)

هكذا مات البئس . لم كان يحسه في نفسه من تعالي عليه ، ولما كان يراه فيه من
نؤس ولو أوتي السلطان !

وفي أيام الدولة الأيوبية « لما رأى ملك إسماعيل الأفرنج أيام الحروب الصليبية .
وسمهم صليبا وعمرها من لخصون سجنوه على الملك نجم الدين أيوب . أنكر عنه
عر الدين بن عبد السلام هذه الفعلة ، فعصب عليه وعزلوه واعتقله . ثم بعث إليه يعبه
ومعه ، فقال له الرسول : « تعاديتك ما صحت ورددة . وما عليك إلا أن تنكسر بسنن »
« كان جواب الشيخ إلا أن قال : « والله ما أرضاه أن يقلل يدي يا قوم . ثم في واديان
في وادي »^(٢) .

وفي أيام الظاهر برس كان الشيخ محيي الدين لنووي بدمشق ، وكان كثير الوعط
للظاهر . يكتب إليه عما يراه إن كان عصر . ويصدع بكلمة الحق مما به إن كان الظاهر
بدمشق

وقد سجل السيوطي في حسن المحاصرة طائفة كبيرة من تلك المكتبات ، وأكثرها
حاصر بعث براء بعض الصرايب المروسة حتى لحال وحشية . فيقول في
أحدها : « إن أهل الشام في هذه السنة في صيق وضعف جاب . سب قنة لأقطار وعلاء
الأسعد . وقلة الغلات والناس . وهلاك المواشي ، وأنهم تعلمون أنه تحب الشفقة على
الرعية ، وتصبحهم (أي ولي الأمر) في مصلحته ومصلحتهم ، فإن مدين «صبيحة»

(١) انظر السابق

(٢) انظر السابق

وقد رد لسلطان هذه البصيرة رد عفيفاً ، واستكر على العلماء موقفهم منه ، وسكوتهم يوم كانت البلاد تحت سبات نحل في عهد انتثار عددهم ستوبوا على انشام ، فورد لشيخ أيضاً رداً قوياً مؤكداً قوله وبصيحته ، ومناً أسبغ شافى نبي حله الله على العلماء لسهه ، ويقول - رضي الله عنه - رد عليه وعلى هديده « وأما ما ذكر في الجواب من كوننا لم نكر على الكفار كيف كانوا في البلاد ، فكيف يقاس هؤلاء الإسلام وأهل الإيمان وأهل القرآن بطاعة الكفار ؟ وبأي شيء كنا نذكر صفة الكفار ، وهم لا يعتقدون شيئاً من ذلك ، وأما أنا فلا يصري التهديد ولا يعني ذلك من بصيرة السلطان ، فإني أعتقد أن هذا واجب عي وعلى عري ، وما ترتب على الواجب فهو خير وورادة عند الله ، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ، وقد أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نقول الحق حينما كان ، وألا نحاف في الله لومة لائم ، ونحن نحب السلطان في كل الأحوال ، وما يصعه في آخرته ودينه » .

وقد تولت كتب الشيخ هذه القوة رفيقة ، ولكن لم يتصيح الظاهر بصيحته ، واستمر في حياته لأسباب الحرب التي تحتاج إلى المد والعتاد ، وقد جمع السلطان فتوى العلماء في تبيد عمه ، فكتبوا إلى زادة عبد الشيخ محيي فإن ذلك إده امتصت كأمر به وشدة فيه ، فأحضره لظاهر ليوقع على ما وقعوا ، فعدله أحابه جوداً عفيفاً ، بعد تلك الكتب الرفيعة قال به « أنا عرف أنك كنت في الرقي للأسير بندقار ، وليس لك مال ، ثم من الله عليك وجعلك ملكاً ، وسعيت أن عندك نصف مملوك ، كل مملوك له حياصة " من ذهب ، وعندك مائة جارية - بكل جارية حق من الحلي ، فإن أعتقت ذلك كله ، وبقيت بمالك بالسود الصوف بدلاً من الحوائص ، وبقيت الحواري يشيرون دون الحلي أفتيتت بأخذ المال من الرعيه » .

فصعب لظاهر ، وقال حرج من بلدي (أي دمشق) فقال « اسمع ولطاعة . وحرّج إلى بوى دمشق ، فقام الفقهاء إلى هذا من كبار علمائنا وصلحاءنا ، ومن يقتلى به ، فأعده إلى دمشق فوسم برحومعه ، فامتح لشيخ ، وقال لا أدحيها والظاهر بها ، فقام الظاهر بعد شهر (٢) .

وقد وعي التاريخ لقرب مادح من هذه الكرامة يذكر منها حادثير سمعتهما من أهوه لرواة ، ولا أعلم أنهما قد دونوا والأول رواه لي ابراهيم أحمد شقيق دشا المورح المعروف عن عصر إسماعيل ، والثاني يرويه الكثيرون لقرب عهده في أيام الحديو توفيق

(١) الحياصة الثياب الموشاة بالذهب في مصديقه.

(٢) عن كتاب « ابن بنية » للأستاذ الشيخ محمد أبو زهره.

فأب الحادث الأول فكان عدا رار السلطان عدا العرير مصر في أيام إسماعيل وكون إسماعيل حصيدا بالزيارة ، لاسها كانت جزءاً من برنامجها لدخول على لقب حديد مع عدة امتيازات في نظام الحكم عصر وكان من برنامج الزيارة أن يستقبل السلطان لعنه في السراي . ولما كانت بالمقابلة لسيرة تقاليد ، منها أن يسجن الداخلين الأرض ، ويأخذ « تعظيماً تركياً » ثلاث مرات ، ثم ما أدري ماذا من تلك التقاليد العتيقة السحفة الخاهية لروح الإسلام . فقد كان حتماً على رجال السراي أن يندوبوا العلماء على طريقة المقام عدة أيام ، كي لا يخطئوا في حضرة السلطان !

وعندما حان الموعد دخل السادة العلماء الأحناء ، فسو ديبهم واشتروا به ديباهم ، واحبوا أمام محبوق مشهم تب الانحاءات . وأخذوا من لأرض السلام إلى رؤوسهم . ثم منها إلى أفواههم ، ثم منها إلى صدورهم . وخرجوا موحين ظهرهم إلى الباب ووجههم إلى السلطان ، كما أمرهم رجال التشريفات . « لا علماً واحداً هو الشيخ حسن علوي ؛ ذكر ديبه وسبي ديباه ؛ واستحضر في قلبه أن لا عزة إلا لله . دخل مرفوع الرأس كما ينبغي أن يدخل لرجل المؤمن بالله ، وواجه الصحيفة تحية الإسلام « سلام عليكم يا أمير المؤمنين » وتشره بالصيحة التي ينبغي أن يتلقى « العالم الحاكم . دعاه إلى ترقى الله واحرف من عذاب الله . ولعدن والرحمة بين رعاياه . قلب انتهى سلم وخرج مرفوع الرأس كما يخرج لرجال المؤمن بالله !

وأسقط في يد الحديد ورجال السراي ، وصنوا أن الأمر كله قد نقب عليهم ، وأن السلطان لا يد عاضب ، فصاتعة تلك الجهود التي بدلوا ، فدهبة تلك الآمال التي سجدوا ! ولكن كلمة الحق مؤمنة لا تذهب سدى ، فلا بد أن تصدع القنوب قوية حارة ، كما اسعفت من مكعبها قوية حارة . وهكذا كان فقد السلطان لس عندكم لا هذا العالم ونخلع عليه دون سواه !

وما احداث لثاني فوقع في دار العنوم « بين الحديد توفيق باث و شيخ حسن الطويل كان الرجل ببس جيباً وجبة غير مشقوقة ، وهو أستاذ في الدار وفي يوم عم اسطر أن الحديد سيرور مدرسته ، فأخذ أهفته ، وزين مدرسته . وكان من بين لأهه أن عبر الشح حسن الطويل ربه ، ويستحضر له قسطاً وحة مشقوقة ، حتى يظهر في الزي الذي يليق أن يقابل به لحكام !

وسمع لشيخ طلب سطر موافق بالإيماء وفي الصباح حضر الشيخ كما هو ومعه مدبل « محلاوي » به حرمة ملابس وب رآه اسطر هكذا مهي وجهه ، وقال والعصب والألم يلدوان عليه أين حبة والقسطان يا سيدنا الشيخ ؟ فأشار إلى اسديل وقال ها ؟

وترك الدطر بهم نه سرتديهما عند قلوب الرثر العظم ! فاطمان الدطر في هذا التصرف لعرب !

ومر الوقت واهترت أركان الدار بقدم الرائر ارتقب وهذا كبت المدجاة العظمى لماصر وللأساتذة وللجميع تقدم اشبح من الحديد وبهده بحرمة وهو يقول في بساطة وثقة وعندد قدوا لا بد أن يحصر بالحبة والقسط ، فمحضرت بالحبة والقسطان ، فإن كبت تريد الحبة والقسطان فهما ، وإن كبت تريد الحسن الطويل « فهذا هو حسن الطويل ! قال لحديو طبعاً إنه يريد حسن الطويل !

هذه نفوس مؤمنة لا يعتر لا نعره الإسلام ، وقد تحدرت وجدانها وصباؤها من كل لقيم الرنقة ، والاعتبارات القانية لقد فهمت الإسلام على حقيقته ، وسشعرته في صميمه ، واستلهمت روحه القوة العلية ، فلم تعد في حاجة إلى سترعاء إنسان . وهذا هو للإسلام

* * *

وبعد فعلى ما يتصل بالمساواة الإنسانية وتحرر البوحادي والعدالة المطلقة ن تحدث عن لواقع تاريخي في معامنة لبلاد المفتوحة ، ولطوائف غير الإسلامية في بلاد الإسلام بهذا من المساواة ولعدل تتحور الأفراد إلى الجماعات ، ويتحاور حدود الإسلام إلى حدود الإنسان

إن الحديث عن لبلاد المفتوحة لسوق إلى الحديث عن طبيعة الفتح الإسلامي وسبابه وعيائه . وهو محث طوبى ، يحترئ منه بالنفس الذي لا بد منه ، والذي له علاقة وثيقة «بعدالة الاجتماعية في محيطها الإنساني

لقد قامت دعوة الإسلام على محاطية لعقل والصمير والوجدان ، وتحدثت من وسائل تقهر ، حتى الفهر يعوي «بحورق المعصرة لتي صاحب الأديان الأولى ، فالإسلام هو أديان الذي احترام القوى المدركة الشاعرة في الإنسان ، «كتمى محطها بلا فهر ولا إعجاز بحورق طبيعة من باب أولى لا يحسن لقهر لماذي بالسيف أداة من أدواته «لا كرهه في تدبيرة»^(١) «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة وللموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»^(٢)

ولكن قريشاً وقعت أول الأمر بانقوة المادية في طريق الدين الحديد ، وأدت من

(١) سورة البقرة [٢٥٦]

(٢) سورة نحل [١٢٥]

سرح الله صدره للإسلام ، وشردت تسمين الفلاح من أرضهم ودمارهم وسأهم :
 وتآمرت عليهم أن تقاطعهم في الشعب حتى يهلكوا جوعاً ، ولم تدع وسيلة من وسائل القوة
 مادية إلا استخدمتها بصد عن هذا الدين فلم يكن من أن يدفع الإسلام عن نفسه ، وأن
 رد هذا نظم عن أهله « أَدْرَأَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِأَنَّهُمْ ظَاهِرُونَ ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »
 « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَلَا تَحْتُلُوا بِاللَّهِ لَا يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »^(١)

ثم حصلت جريرة العرب للإسلام ، فامتدت الفتوح إلى ما وراء الجزيرة فهم كانت
 هذه الفتوح ؟

إن الإسلام كما أسما عقيدة عامة ، ودين عام ، فهو لا يحصر نفسه في حدود
 جريرة ، إنما يريد أن يقبض على الإنسانية كلها في جميع قطارها وبكيفية يجد أمامه
 قوة الدولة في مراطورتها كسرى وقبض المتاحسين له ، تفب له بالمحصاة ، فلا تسمح
 لدعته أن ينتشروا في الأرض ، ليكشفوا لداس عن حقيقة هذا الدين ولا بد له أن يريل
 هذه القوة - قوة الدولة - ويقم مكانها النظام الإسلامي لقائم على عبودية الداس لله وحده ،
 وخروجهم من لعبودية للعد ، ليحلي بن الهدى والداس ، ولسمع كلمته حاصلة ، فمن
 شاء استمع إليها وهو حر لإرادة ، ومن شاء أعرض عنها وهو ماث لأمر نفسه ، بعد أن
 تزول قوة دونه مادية من الضرب ، وبعد أن تصبح لدسوة لله وحده - سيادة شريعته
 ونظامه - ولا تكون لأحد من العباد وهذا معنى أن يكون الدين « كله لله »^(٢) فدين ها يعني الديونة
 المقصود به أن تكون حاكمية الله هي وحدها التي تدين الداس ، وأن يخرجوا من حاكمية
 العباد ثم يتخذوا عبيد لهم بلا كره .

هذه الفوح للإسلامة إذن لم تكن غرضاً للشعوب بالقوة ، ولا استعماراً للاستغلال
 لاقتصادي على سبيل الاستعمار في تقرب الأخيرة إنما كانت إرادة للقوة المادية للدولة التي
 تحول دون الشعوب ودون العقيدة الجديدة كانت غرضاً روحاً للشعوب ، وغرضاً مادياً
 للحكومات التي تقهر هذه الشعوب . وبصدها عن الدين الجديد بالقوة المادية والجبروت ،
 وتخصها بمتأهب من الأحكام

وتبعاً لحقيقة أن للإسلام دين بشري كافه وأنه لا يعتمد على الفهر المادي ، فإنه وضع
 شعوب الدنيا أمام ثلاث طرق ، لكن ن يسلط إحداها الإسلام ، أو آخره ، أو نقال

١ . سورة الفتح [٣٩]

٢ . سورة البقرة [١٩٠]

٣ . سورة الانفال [٣٩]

فما الإسلام ، فأنه المادي ، ولأنه يتصور الحد الكامل عن الألوهية والكون والحياء والإنسان ؛ وهو المنحاز الذي يعبره غير المسلم ، فهذا هو مبدأ اللحظة الأولى لجميع المسلمين ، به ما لهم وعنده ما عليهم ، لا يرتفعون عليه بحسب و نسب و من أو حده ، ولا يختلف عنهم بحسب أو لون أو أمة أو عشيرة

وأما الحرية ، فلأن المنرد لمسلم يؤدي صريحة الدم لحماية الدولة ؛ ثم يؤدي بدولة لركه لحماية المجتمع وللمرد غير المسلم يتمتع بالأمن في ظل الدولة الإسلامية ، وبالحماية الدخلة وللمحاربة ، وسائر المرافق التي تهبط الدولة للسكان كما يتمتع بصيانة لاحتياجي عند البحر و شجوحة يجب عدلاً أن يساهم في هذا كله بأمال وما كانت لركه عده إسلاميه فوق أي فريضة مالية ، فإن الإسلام - زياده في حساسيته نحو الدين لا يعسقه - ثم يشأن يرغمهم على أداء عباده إسلامية - فأحد مهم الفريضة المالية في صورة جربة ، لا في صورة زكاة ، مظهراً في تعديرها في صريحة الدم التي لا يؤديها إلا المسلمون ثم - الحرية علامة تسليم ، أي عدم مقاومة بالإسلام بالقوة ، وتحمية بينها وبين الناس وهذا ما يهدف إليه الإسلام

وأما القتال ؛ فلأن بناء الإسلام والحرية دليل على الإصرار بواضح على الحيولة دون الإسلام وأنكار الناس يجب إذن أن يرب هذا الإصرار المادي بالقوة ماددة ، لأن هذا هو الطريق الوحيد الأخير

ولقد حقق الإسلام أهدافه كاملة في بلاد معروفة ، فكمثل لأهلها المساواة مطلقاً بأهل الحرية في حالة الإسلام ؛ وكمثل لهم حقوق الإنسانية لكرامة في حالة دفع الحرية ؛ وكمثل هم المعاملة الإنسانية العادلة في حالة القتال

أقر الإسلام بعض أحكام لبلاد المفتوحة على حكمها إذ صاروا من مسلمين فهذا «نار» الفارسي يقره نو بكر على حكم أسس وهذا «فيرور» يقيمها حاكماً على صعاء هذا أخلاه عنها قيس بن عبد يعوث العربي ، رده إليها نو بكر منتصراً لمسلم الفارسي على مسلم العربي !

كذلك أقر أحكام المسلمون كثيراً من الموحدين في بلادهم المفتوحة على وظائفهم التي هي دون الولاية ، ممن بقوا على دينهم ولم يسلموا ، وخلصوا في لعمل مصالح عدم ومع أن نصوص الإسلام تبيح للمفتوحين أن يستأثرو بكل ما يملك المحاربون الدين بأنهم الإسلام والحرية وقاتلون المسلمين ، فإن عمر بن الخطاب حين فتحت فارس على يامه ، تصرف بما أمسه عليه روح الإسلام ، فاستنمى الأرض لأهلها وعرض عنها الخراج ، مراعاة في ذلك مصحتين مصحة هل البلاد المفتوحة ولو هم دلتوا المسلمين - لتفي لهم وسيلة ارتفاقهم وعمدتهم ، ومصلحة الأحياء القادمة من المسلمين ؛ فلا يستأثر بالأرض

دوهم لغاتحون في جيل واحد ، بل يؤخذ بها بحراخ فيمنق في مقل لأحيل على المصالح العامة ، ويد من المستحقون بقدر ما يستحقون في لرم الطويل

هناك ظاهرة واضحة في معاملة الإسلام للبلاد المفتوحة . لقد عاملها على الأساس الإنساني الكريم . فباح لها كل ما هو من خير ، وأتج لها استمنع عراياها جمعاً دون قيد ولا شرط . بل دعاها بكافة الوسائل إلى الانسحاق بدت الخير ولتسمع هذه المزايا وم يقم حاحراً من اللون أو الحسن أو اللين أو النعم أمام أحد ، فاستصع الجميع أن يذلوا شاطهم الطبيعي لحير الجميع . وقد أسلف كيف مع ابوي وأبناء بلاد المفتوحة في حصة ما يخص الإسلام وهو الحق والحديث ، فلم يكن مرفق من مرافق الحياة العامة موقوف على أبناء الحرية الفاتحين ، حتى لولاية العامة كانت من نصيب بعضهم في بعض لأحب

كما أن مؤن كل بلد كانت تهر في مصاحبه أولاً ، فلا يرسل إلى بيت المال إلا ما فصل منها . ثم تكن البلاد المفتوحة مستعمرة يعيش فاتحون من دعاء منها ومواهم

وم يتصل هذه بظاهرة واضحة تلك الحرية التي كمنها للإسلام لأهل البلاد المفتوحة في مراولة شعائهم انسانية ، وهذه لحماية بني عرسهم ليضعهم وكنسهم ومعاينهم وأحدرهم ورحبهم ، وهذا الوفاء بالعهود المخطوعة هم واء بدر . لهذا لم نعرفه الإنسانية في معاملاتهم الدولية في القديم أو الحديث . وما ترك تقلد الإسلام إلى اليوم عاملة في هذا المجال

وإن الإسلام ليسو فارغاً سابقاً ديمعاً كريماً في واقعه لتاريخي في جميع العصور . حينما تقاس إليه محاصرة العربية القائمة ، وما تصعبه بالبلاد التي يوقعها سوء الطالع في أوقات الاستعمار ، حيث يحارب بين هذه البلاد وبين المزايا الحقيقية لمحاصرة عربية في لتربية والتعليم . وفي الاقتصاد وتنعيم . كي تنقى أطول أمد ممكن بقرة حنوناً للمستعمرين وذلك فوق الإدلال لكل كرامه إنسانية . مردبه أو جماعية ، وفوق الفساد الحيفي الذي يشتر عن قصد وسوء نية ، وفوق لفتن الحرية ولطائفية التي سدر بدورها ويعهد غرسها ، وفوق سائر أنواع اللصوصية ونهب والسب بالأمر د وجماعات والشعوب

فأم بحرية الدنية التي يتشوق بها بعضهم في هذا الزمان ، فقد سبقها فطائع محاكم التنشيش في الأندلس ، وفطائع الحروب الصليبية في الشرق . وما ترك هذه الحرية الدنية شكية . فقد كان المبشرون المسيحيون في لسودن الجنوبي إلى عهد قريب جداً محمد لهم كل قوى الدولة ، بينما يحظر دحوب مسلمين حتى للنجارة ، وهذا «السي» الفائت لإيجيري في الحرب العظمى المصيبة يعبر عن نفس كل أوربي وهو يدخل بيت المقدس فيقول

«الآن فقط انتهت الحروب الصليبية» . وهذا هو خير ل كاترو الفرنسي يقف في دمشق في ثوبها الأخيرة عام ١٩٤٠ فيقول : « نحن أحماد الصليبيين ، فمن لم يعجبه أن يحكم فيرجل » .

ويحول مشها رعبيل له في محرقة سنة ١٩٤٥ فأما في لكتله الشيوعية فالمسلمون يصب عليهم الإهانة بالحمة ، فينقص عددهم في ربع قرن من اثنين وأربعين مليوناً إلى ستة وعشرين مليوناً في روسيا ، ويحرمون الآن طاقات تنوير تتي يستحيل على الأفراد أن يحصلوا على ضرورياتهم بلونها ويقاب لهم بكم أن تصلوا لله إذا شئتم ، ولكن لا طعام لكم من الدولة فاطنبوا من الله هذا الطعام ! وشبه هذا ما يصيبهم في الصين ويوغسلافيا وفي كل مكان

لقد كان الإسلام قمة في العدل الاجتماعي الإنساني الشامل ثم تسعها بعد احصارة الأوربية ولم تسعها نداء ، لأنها حصرة المادة الخدمية حصرة انقتل والقتل ولعب والاتصال (١).

* * *

ولقد سبق الحديث عن مذهب الإسلام في الرحمة والر والتكامل الاجتماعي الشامل بين لقادير والعاجرين ، وبين لأعبياء والفقراء ، وبين لفرد والجماعة ، وبين الحاكم والمحكوم ، بين جميع أساء لإسباب فالآن نعرض لمدح من الواقع التاريخي ، مما حفل به تاريخ الإسلام الطويل

فهذا أبو بكر كذب له يوم أسلم أربعون ألف درهم مدخرة من ربح تجارتة ، وقد ربح الكثير من التجارة بعد إسلامه ، فلما هاجر إلى المدينة مع صاحبه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن قد بقي له من كل مخرجه سوى خمسة آلاف درهم لقد أتق الله ماله بلخر في فتاة الصعفاء من ابوابي مسلمين الذين كانوا يدقون العذاب ألواناً من ساداتهم لكفار ، كما أتقاه في بر الفقراء والمعوزين

وهذا عمر بن الخطاب - وإياه نرحل فقير مصيب أرضاً بحير ، فيجيء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول - أصبت أرضاً بحير لم أصب مالا قط أنفس عدي من - فما تأمر به ؟ فيجيبه الرسول - إن شئت حسنت أرضها وتصدت بها ، فيجعلها عمر وقفاً على الفقراء والنقري وفي الرقاب وفي سبيل الله والضعيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل مما بالمعروف ، ويضعه صديقاً غير مضمون فيها ويخرج بذلك من أمر ماله تصديقاً بقول الله - **لَنْ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ حَتَّى تَتَّقُوا مِمَّا هُوَ حَيُّونَ** (٢)

وهذا عثمان - قبل الخلافة - ترد غير له من لشم في وقت نزل فيه بريح بالمسلمين من الجذب ، فإذا هي ألف بعير موسوقة برا وريت وريب ، فيجيشه التحار يقولون بعد من

(١) يرجع مجموع كتاب ١ سلام انعمي والإسلام وفصل ١ طبعه الفتح الإسلامي في كتاب ٢٠٠٠ كتاب إسلامية للزلف

(٢) سورة آل عمران [٩٢]

هذا الذي وصل إليك ، عليك تعلم ضرورة الدس فيقول حيا وكرامة كم برحمتي
 عن شرأتي ؟ فحيون الدرهم درهمين يقول أعطيت أكثر من هذا . فيقولون يا أبا
 عمرو . ما بقي في المدينة تحار غيرنا ، وما سقيا إليك أحد ، من ذا الذي أعطاك ؟ فيجيب
 إن الله أعطاني بكل درهم عشرة ، أعذكهم زيادة ؟ فيقولون لا فيشهد الله على أب منه
 البير وما حملت صدقة لله على المساكين والسقراء من المسلمين

وهذا علي وأهل بيته يتصدقون بثلاثة أروعة من سوق كانت لهم ، على مسكين ويقيم
 وأسير ، ثم يبيتون على الطوى ، وقد شبع المسكين وابيتم ولأسير

وهذا الحسين يشغله الدين وهو يملك عير أبي بزر ، فلا يبيعها ، لأن فقراء مسلمين
 يستقون منها ، فهي لهم ، وليحصل ثقله لدين وهو الكريم من الكرام من ذروة هاشم .
 ومولاء الأنصار في المدينة يشركون المهاجرين في أموالهم ومساكنهم ، ويؤاخوهم
 فيعملون معافلهم ، ويعلمون عانيهم ، ويحفظونهم بأنفسهم «وَلَا يَحِلُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
 مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» (١) كما وصفهم القرآن الكريم .
 وظل روح الإسلام عامية في هذا المجتمع ، بعنت دار الإسلام عن لتأثر بالحضارة
 العربية المادية ، فيروي الأسد عبد الرحمن عزام في كتابه «الرسالة الجديدة» عن قبيلة
 الطوارق يقول

«رأيت بعض قبائل الطوارق في شمال إفريقيا يحبون حياة هذا التكافل السعيد ،
 وليس فيهم من يعيش نفسه ، وإنما لجماعته ، وأعظم ما يخطر به ويعتبر هو ما يصنع هذه
 الجماعة وأول ما نفت بطري لحادثهم هذه أن رجلاً من أهل المحضر هاجر من الفرنسيين ،
 وركب بينهم في قرآن ، فحاورهم وعاش معهم ، ثم خرج يطلب الرزق ، ويريد أن يرد
 الحمل ، وترك أمرته في حوار هذه الجماعة الإسلامية . غير أن المحسن لارمه ، ولم يستطع
 كساً ، فجاءنا في «مصراتة» يستمدنا ، فاعناه ليعود إلى أهله ، ولكنه عاد إلي بعد نحو
 ستة مرة أخرى ، ففقت أنه رجع من أهله ، فقال لا . وإنما الآن أستطيع الرجوع إلى
 أهلي ففقت وكيف ذلك ؟ قال بعد لقدنا الأخير انحوت عما حصلت عليه ، وأصبح
 الآن في يدي ما أعود به إلى جماعة الطوارق . فقلت إلى أولادك أم إلى جماعة الطوارق ؟
 قال إلى الطوارق أولاً ، فهم آووا أولادي في غيبي ، وأنا سأكل أولاد من أجده عت
 منهم ، وأقسم ما خطى الله بين أولادي وأولاد حبراني . فقلت هل تعيش جماعةكم كما
 كما تعيش أنت مع حيرانك ؟ قال - كلنا في الحير وشر سواء ، ونفصل بصاحب القمص ،

(١) سورة الحشر [٩]

والوحد من جماعت يستحي أن يعود إلى سجع حاد ، لا حياة من أهل بيته ، بل حياة من حيراته الذين ينتظرون عودته ، كأهل بيته سواء بسواء .

ثم يعقب على هذه المشهد بكلمة صادقة تمثل لحقيقة الواقعة
ليست جماعة الطوارق هذه أو أصرها من أهل البادية وسكان القفر محتصة هذه الروح الجماعية ، ولا هي من مستلزمات عصبتها ، وإنما هي الروح الإسلامية أكثر ظهوراً في هؤلاء الذين لا يرايون تمرد من الحياة الحديثة البادية وقد وحلت هذه الروح في بلسانهم والقرى الإسلامية التي لا تزال مطبوعة بالصنيع الإسلامي ، سواء أكان أهلها عرباً أم عجماء ، بيضاء أم سوداء . في لمشرف أم في المغرب فقد ربت جماعة المسلمين في كثير منها لا يراون يحيون حياة الخير والانتصاف والتكافل والتعاون على البر لا يراون اقرب إلى المجمع الصالح كما أرادته صاحب الدعوة ، من عشرات الملايين الذين فتقوا بالحضرة العربية البادية ، فهم يعيشون لأنفسهم ، ولو تعرضت خدمتهم ، ويؤثرون شهرتهم على البر بأنهم فضلاً عن جيرانهم .

هذا التكافل الذي نوحى به روح الإسلام لم يكن متروكاً لموحدين لفردي ولجماعي وحده فقد كان الحاكم يلزم به وبطبقته . فهذا عمر بن الخطاب يحرص للمعصوم والمس والمريض مريضة من بيت المال - وذلك غير مصارف الزكاة المعروفة وهذا هو بدر حد اسرقة في عام الرمادة حين جاع الناس لأن في الجوع شبه الاضطراب إلى اسرقة ، واحذود تدراً بشبهات

ولعل الحادثة لثانية عن عمر ذات معنى حاسم في التطبيق العملي للتكافل . ولحق الملكية الفردية وحدوده في محيط الجماعة !

روى أبو عبد الله لاس حاطب بن أبي شعبة سرقوا ناقة لرحل من مريية ، فألقى بهم عمر ، فأقروا ، فأمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم . فما ولي رده ، ثم قال : أما والله بولا في أعلم أنكم ستعموهم وتخبروهم ، حتى ينحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له . لقطعت أيديهم ثم رجع القوم إلى عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة فقال : ويحك الله إدم أعمل ذلك لأعمرتك عرمة توجعك ! ثم قال : يا مربي ، بكم أريبت منك ماقتك ؟ قال : بأربعمائة قال عمر لابن حاطب : ذهب فأعطه ثمانمائة ، وعفى لعلماء لسارقين من אחד ، لأن صاحبهم اضطروهم إلى السرقة خوهم ، وحاجتهم إلى سد رمقهم .

وما يرد في حلال هذه التكافل الاجتماعي في تاريخ الإسلام أن يتعدى الدائرة الإسلامية إلى الدائرة الإنسانية .

رأى عمر شيخاً صريخاً سار على باب مسند ، فعلم أنه يهودي فقال له : ما أخاك إلى ما ترى ؟ قال : الحرية وانحاحه والس فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه

ساعتها وأرسل إلى حارس الباب أنظر هذا وصرياءه فوالله ما أنصصاه أن أكن شييته ،
ثم محمه عبد الهرم إنما الصدقات للفقراء والمساكين . وهذا من مساكين أهل الكتاب
ووضع عنه الجزية وعن صريائه

وذا سافر إلى دمشق مر بأرض قوم مخدّمين من البصري ، فامر أن يعطوا من الصدقات ،
وأن يجري عليهم القوت

وهكذا ترتفع روح الإسلام بمر إلى هذا الأفق الإنساني الكريم مد أكثر من ثلاثة
عشر قرناً ، يجعل الصبار الاجتماعي حقاً إنسانياً ، لا يشعق بدين ولا ملة ، ولا تعوقه عقيدة
ولا شرعة

ألا إنه الأفق العبد السامع الذي تصنع لشريعة ليوم موته !

* * *

عند سياسة الحكم وسياسة المال من الوجهة الرسمية في اندوله ، فقد شهد الواقع التاريخي
عينا فترة فريدة في حياة الإسلام ، لم تعمر طويلاً مع الأسف الشديد . وسرى هذا بعد
عنه هذا ، أدى إلى كاست العنة كاملة في طسعة انظام الإسلامي في هاتير الماحتين كما
برسم الزعمون أم إنها للملاسات الأخرى التي لا علاقة لها بطبيعة هذا النظام . وسدأ بالحديث
عن سياسة الحكم ، إذ كانت سياسة المال في الواقع التاريخي تبعاً لها ، وفرعاً عن بصورها
حيثما حصرت النبي - صلى الله عليه وسلم - الوفاة دعا النبي بكر لبصلي بالناس : فلما
رجعته عائشة . لأن أن بكر رجل أسيف . وقد قام في الناس م يسمعون صوته . أحده
العصب ، وذكر صويحدث يوسف ! وأصر على دعوة النبي بكر لبصلي بالناس
أفكان ذلك استخلاقاً من الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبه في العار ؟ وهل فهم
المسلمون منه ذلك فهماً صريحاً ؟

ستعد نحن هذين الفرصين . فلو شاء النبي صلى الله عليه وسلم أن يستخلف ، ولو
كان هذا الاستخلاف من فرائض هذا الدين ، ظهر ، لاستخلاف كما ظهر بكل فرصة
أخرى من فرائض دينه . ولو أن فهم المسلمون منه فهماً صريحاً أنه يستخلف أما بكر ما ثار
الجدل في لسقية بين المهاجرين والأنصار . ف كان الأنصار ليحددوا في أمر رسول الله
كان الأمر إذن للشورى بين المسلمين ، وللاقتناع وللإقناع عن هو أحق الناس بالخلافة .
ولش كان الحدل يوم السقية قد انتهى إلى أن تكون الخلافة في المهاجرين ، فما كان ذلك
عرضاً إسلامياً ، ولكنه تواضع واتفاق بين جماعة المسلمين . كان الأنصار يملكون رده
ولا تريب عنهم ، لولا أنهم ارتصوه لأنه أصلع حبيبة ، ولأن المهاجرين نسق إلى الإسلام ،
ولعوامل محلية واقعة بين الأوس والخزرج كذلك في المدينة

وإذا كان التراخي قد تم يومئذ أن تكون الخلافة في المهاجرين ، ف كان هناك ما

يرم أن تكون في قريش حاصه ، و هو كان لأمر كدث ما قال عمر بن الخطاب وهو
يعين أهل الشورى بعده « و هو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستحلفته » سالم ليس قريشياً
عن يمين « و روح للإسلام ومبادئه تأتي أن تجعل لقرش درجة فوق درجة المسلمين ، لمجرد
سما قريش ، أو أن فيها سب الرسول والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يقول « من
أطاع به عمله لم يسرع به نسبه »^١ .

ولقد استخلف أبو بكر عمر ، ولكن هذا لم يكن إلزاماً منه بالمسلمين ؛ فقد كانوا في
حل من رد هذا الاستخلاف وعمر لم يصح حلفه بحكم استخلاف أبي بكر به ، من
تلبية الناس إياه . وكذلك عين عمر بعده ستة لشورى على أن يختاروا منهم واحداً ، وما
كان المسلمون علمهم أن يختاروا واحداً من ستة ، وإنما هم التزموا لأن الواقع كان يشهد
بأن الستة هم الأفضل وأن تعيين عمر هم يتم مع هذا الواقع من هنا جاء التأخير
فأما التبعة لعلي ؛ فقد ارتضاها قوم . وادعوا حروب . فكانت الحرب لعمره الأولى بين
المسلمين وأعفتها الكورث التي جاءت بروح للإسلام ومبادئه في الحكم والمال ، وفي غير
الحكم والمال

هذا الاستعراض السريع يكشف ما عن قاعدة الإسلام الأصلية في الحكم وهي أن
اختيار المسلمين المصطفى هو المؤمن الواحد بحكم ربه من فهمه لمسلمون وهم يؤخرون
عليه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرب الناس بسببه . ولقد يكون علي قد
عن في تأخير . وبخاصة بعد عمر ولكن هذا التأخير كان به فضله في التقرير لعلي
لنظرية الإسلام في الحكم ، حتى لا تقوم عندها شبهة من حق الورثة ، الذي هو أحد شيء
عن روح الإسلام ومبادئه . وأياً كان العمل الذي أصاب شخص لإمام كرم الله وجهه فإن
تقرير هذه القاعدة كان أكبر منه على كل حال

فلما جاء لأُمويون . وصارت الخلافة الإسلامية ملكاً عصوصاً في بني أمية ، لم يكن
دث من وحي للإسلام ، إنما كان من وحي جاهلية الذي أظفأ شرقة الروح الإسلامي
ويكي أن ثبت ما بعض الروايات عن الملائكة التي صاحبت أئمة ليريد من معاوية
كان معاوية بعد أحد التبعة ليريد في الشام قد كلف سعيد بن العاص أن يحتار لإقناع
« أهل الجند ، فجعج ، فسا . معاوية إلى مكة ومعه الخلد والمال ودعا وجهاء المسلمين
فقال لهم

« قد علمتم سيرني فيكم وصلي لأرحمكم يريد أحوكم واس عمكم ، وأردت أن
تقدموا بردي باسم الخلافة . وتكونو ثم عربون وتؤمرون ونحبون المال وتقسموه » فاجابه

١ مسلم ، أبو داود ، والبيهقي

عند الله من الزبير محيراً بين أن يصنع كما صنع رسول الله إذ لم يسحب أحد ، أو كما صنع أبو بكر إذ عهد إلى رجل ليس من بني أبيه . أو كما صنع عمر إذ جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من وده ولا من بني أبيه . واستشاط معاوية عصاً وهو يقول « هل عندك غير هذا ؟ » قال لا . والتفت معاوية إلى لآخرين يسألهما فأتتهما فقالوا عنى ما قال ابن الزبير فذهب يتوعددهم « أعدى من نذر إني كنت حطت فيكم فيهم وبني القائم منكم مكدي على رؤوس الدس ، فأحمل ذلك وأصيح وبني قائم بمقالة ، فأقسم بالله لئن رد عني أحدكم كلمة في مقامى هذا لا ترحع إليه كلمة غيرها حتى يستقي السيف إلى رأسه ، فلا يقرب رجل إلا على نفسه » ١

فأما لذي كان بعد ذلك ، فهو أن أنام صاحب حرس معاوية رجلين على رأس كل وجه من وجهاء الحجاز المتعصبين ، وقد قل له معاوية « إن ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليصرناه سبعهما »

ثم رقي لمر فقال « هؤلاء الرهط سادة مسلمين وخيارهم ، لا يرمي امرؤ دونه ولا يقصى إلا على مشورتهم . وبهم قد رصو ونايعوا يريد ، فاعوه على اسم الله » (٢)
فابع الدس !!

على هذا الأساس ندي لا يعترف به لإسلام ستة قام ملك يريد فمن هو يريد ؟ هو الذي يهون فيه عند الله من حفظه « والله » حرجاً على يريد حتى حصاً أن يرمى بالحجارة من النساء . إن رجلاً يكبح لأمهات وبنات والأخوات ويشرب الخمر . ويدع لصلاة والله يوم يكن معي أحد من الدس لألبس الله فيه بلاء حساً

فقد كانت هذه معانة حصم ليريد ، فإن نصرهات يريد العملية الواقعة فيه بعد ، من قتل للحسين - رضي الله عنه - على ذلك النحو الشيع ، إلى حصر البيت ورميه بالحجارة . شهد بأن حصوم يزيد م يبالغوا كثيراً فيما قالوه !

وأما ما كان الأمر فإن أحدًا لا يحوز على الزعم بأن يريد كان أصلح المسلمين بالخلافة وفيهم الصحابة والتابعون . إنما كانت مسألة وراثته الملك في لست الأموي . وكان هذا الاتجاه طعنة باهضة في قلب الإسلام ، ونطم الإسلام ، واتجاه الإسلام

وفي سلسل تركة الإسلام روحه ومبادئه ، من ذلك النظام الورثي الذي ابتدع ابتداعاً في الإسلام بقر هذه الحقائق لتكون واضحة في تصور الحكم الإسلامي على حقيقته

• • •

(١) بن الأثير في حوادث سنة ٤٠ هـ . ومن لا يحب أن يجرم بصدق مثل هذه الرواية ولكن تركة للإسلام في ذاته يقول : إنها إن صحت كان هذا مخالفة أساسية لطبيعة النهج الإسلامي في الحكم لا يروها حجة ، ولا يقوم لها عذر !

ولكني يدرك عمق هذه الحقيقة ، يجب أن ستعرض صوراً من سياسة الحكم في اليهود المحتصة على أيدي أبي بكر وعمر وعبيد علي بن عثمان ومروان وعبيد علي الإمام ثم عبيد أيدي الملوك من أمية ومن بعدهم من بني العباس . بعد هذه اهرة اسكرة في تاريخ الإسلام .

حيثما نبت يسمون أن بكر ليكون حبيبه رسول الله . ثم تزد وطبقته في نظره على أن يكون قائماً بتتبعه دين الله وشريعته بين المسلمين ! فلم يحظر له أن هذه الوظيفة تتيح له شيئاً لم يكن متاحاً له وهو فرد من الرعية ، أو ممججاً حقاً حديداً لم يكن له ، أو نسفط عنه نكلياً وحاداً كما كان يكفه ، سواء لنفسه أو لشعبه أو لإلهه !

وقف عقب انتهاء بيعة له بالسقيفة فقال : «أما بعد - أيها الناس - فإني قد وليت عبيكم ، وليت بحيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة والكذب خيانة . وانصعبت فكم قوي عسدي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، ولتقوي هيكم صعب عسدي حتى أجد الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا صرهم الله بذلك ، ولا تشع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله باللاء . أطيعوني ما طعت الله ورسوله . فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم »

وكان منزل أبي بكر بالسج على مقربة من المدينة منزلاً صغيراً متواضعاً . فلما ولي الخلافة لم يعيره ولم يعير فيه . وكان يعيش على قدميه من منزله بالسج إلى المدينة عموماً ورواحاً ، وركب فرساً له لا من أهل من بيت المال ، حتى إذا رادت أعماء عمله انتقل إلى المدينة . وكان يعيش من رزقه في التجارة ، فلما أصبح رزق أن يدعو على تجارته فأمسكه المسلمون ، وقالوا : إن هذا الأمر لا يصح مع التجارة . فسأل - كأني لا أعلم طرهماً آخر للفت - ومم أعيش ؟ فتروا في الأمر ، ثم جعلوا له من بيت المال كفايته بقوته وقوت عياله ، جراً قعوده عن التجارة ، واحتباسه لوظيفته .

ومع هذا فقد وصي عبيد حضرته لوفاء أن يحصى ما أحده من بيت المال ، فيرد من ماله وأرضه تورعاً وتنعافاً من مال المسلمين . وكان يعد نفسه مسؤولاً عن حاجة كل فرد في الرعية ، مدفوعاً إلى هذا بقطعة الدائنة التي يحرصها الإسلام على صبر الحاكم والمحكوم ، والحساسة المرهقة التي شرها في صبر الجميع . وقد وصل في هذا إلى حد أنه قد كان يحبب بصعفاء ممن حوله بأسح أعمامهم ، فلما ولي الخلافة سمع حاربه يقول : اليوم لا يحب لنا مائج دارنا ! فقال : بلى لعمرى لأحسب لكم فكان يحبها . وروى سأل صاحبها : يا جارية ! تحبين أن أرعي لك أم أصرح ؟ فربما فأت راع . وربما فأت صرح . فإني ذلك قالته فعل .

وكان عمر بن الخطاب - في خلافة أبي بكر - يتعهد امرأة عمياء بالمدينة ويقوم بأمرها ،

فكان إذا جاءه لقاها قد نصت حاجاتها . فترصد عمر يوماً ، فإذا أبو بكر هو الذي يكفها مؤونها ، لا تشعبه عن ذلك الخلافه ونعاتها . عندئذ صبح عمر حين رآه . أنت هو لعمرى !

هذه لحظة من تصور أبي بكر لمحكم . فما أن حلله عمر م يختلف هذا التصور . وم بهم عمر أن مصه حديد يرتب له حقوقاً جديدة من أي نوع - عبر أن يريد في تعاته في القسام بتنفيذ شرع الله .

حطب عقب البعثة له فقال : «أيها الناس ما أن يرحل منكم . وبولا أبي كرهت أن أرد أمر حقيقة رسول الله ما تعلدب أمركم»

وحطب حصته الثنية فقال فيها : «وكم علي أيها الناس حصال أدكره لكم محدودي بها . لكم علي ألا أحيي شيئاً من حر حكم ولا ما شاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم علي أن لا يقع في يدي لا يخرج منها إلا في حقه ، ولكم علي ألا أضيكم في المهادك ولا أجزركم في نهركم . وإذا عيتم في البعوث فأنا أبو العيال»

وكان يقول : «إني أكره من الله مني عمر له من انتم . وإن استعنت عقبه عه ، وإن افتقرت أكرهت بالمعروف»

سئل يوماً عما يحل له من مال الله فقال : «أنا أحركم بما ستحل منه يحل لي حلان حنة في شتاء وحنة في القبط ، وما أخرج عليه وعتير من الطهر ، وقوتي وقوت أهلي كفتوت راحل من قريرش . سس ناعماهم ولا نأفقرهم ، ثم نرحل من المسلمين بصبي ما صاهم» وكذلك عاشر ، ولكنه كثيراً ما كان يتخرج حتى إذا حل نفسه اشتكى يوماً فوصف له العمل وفي بيت المال عكة منه . فلما كان على المسير قال : «إن أدبر لي فيها . ولا فإس علي حرام» ، فادبوا له .

ورأى المسلمون ، هو عليه من انشده . فذهب بعضهم إلى سته حصصة ثم المؤمنون فقالوا له : «أبي عمر إلا شدة على نفسه وحصر» ، وقد سطر الله في الرزق ، فليسط في هذا النبي . فيما شاء منه . وهو في حل من جماعة المسلمين . فلما كتمته حصصة في ذلك كان حوله «أبا حصصة بت عمر . نصحت قومك وعشت أباك ، إنما حق أهلي في نفسي ومالي . فما في ديني وأمانتي فلا !»

وكان يشعر شعوراً عميقاً بوجوب المساواة بينه وبين أفراد رعيته ، فلما جاع الناس في عام الرمادة ، أتى على نفسه لا يدوق شيئاً ولا لهما حتى يجيا الناس وطل كذلك حتى اسود جلده وسر من أكل الرب ، ثم جاءت السوق عكة من سمن ووطب من لبن فاشترى ما علام به ناربعين درهماً . وذهب إليه يسئله أن الله أحله من يمينه ، وأن قد قدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن وقد اشترى ما به . فلما علم الثمن قال له : «أعليت

فتصدق بهما ، وفي أكره أن تكن إسرقة ، وطرق هبنة ثم قال « كيف ينبغي شأن الرعة
إذا لم يحسب ما يحسبهم ؟ »

لقد كان يرى أن يحرم نفسه حرمان رعيته ، يحسب ما يحسبها كما قال ، ولأنه في
أعماق نفسه ما كان يرى أن قيامه بالحكم يجعل له حقوقاً وامتيازات يستلزمها الناس .
وأنه إن لا يعدل في هذا فهو مستحق طاعة لوعيته ، وقصة البرود اليمنية ، وقراره سقوط
صدعته حتى يشت عدله قد سبق أن ذكرناها ، وهي تقرر مبدأ من مبادئ الحكم في الإسلام
أن لا طاعة لأبداً غير عدل ، ولو كان يقر أن الحكمية لله وحده ويحكم شريعة لله
ولكنه لا يعدل في الأحكام

ولقد كان هذا الشعور الإسلامي عميقاً في نفسه ، مصححاً له في كل ملاسنة فقد
سأوم رجلاً على فرس ، ثم ركه ليحرره فعض ، فأرد أن يرده إلى صاحبه فأتى فتحاكماً
إلى شريح القاضي ، فسمع حجة كل منهما ، ثم قال « يا أمير المؤمنين هذا ما ابتعت ،
أو رد كما أخذت ، فقال عمر « وهل القضاء إلا هكذا ؟ » ثم أقام شريحاً على قضاء
الكوفة جراً ما قصى بالحق والعدل

* * *

فإذا فهم عمر الحكم على أساس هذا التصور ، فلا مجال لأن يكون لقربة الحاكم
متيازات ما على سائر أفراد رعيته ، فإذا تناوب ابنه عند الرحمن الأحمر فلا بد من الحد ،
وقصته في ذلك معروفة ، وإذا عدا ابن عمرو بن العاص عن المصري فلا بد من القصاص
فأم في المال فعماله مسؤولون عن كل ما راد في أموالهم بعد الولاية ، خشية أن يكون بموفا
على حساب من المسلمين ، أو نسب من حاه الولاية . و« من بنى هذا » كان قانونه الذي
عامل به عماله واحداً واحداً كلما وجد مرراً لأن يعذبهم به ، فقد فاسم عمرو بن العاص وأمه
في مصر وسعد بن أبي وقاص وأبيه في الكوفة . كما صم مال أبي هريرة وأبيه في البحرين
ولقد كان قوام تصور الحكم في نفس عمر احتصار هو الطاعة والنصح في حدود
الدين من الرعة ، والعدل والحسنى كذلك من الراعي . ولقد قبل من دخل من دعيته أن
يقول له « يا وجدنا بك عوجاً لقموا له سيوفاً » فأقر بذلك عند حق الرعية في تقويم
الراعي كما حط ابن من يوماً فقد « يا لم أستعمل عليكم عمالي ليصروا أشارككم .
ويشتمو عراضكم ، ويأخذوا أموالكم ، وبكي استعملتهم ليعموكم كتاب ربكم وسنة
سيكم فمن صممه عامل بمظلمة ، فلا بد له عني ، ليرفعني إلي حتى أقضه مه » فأقر
بذلك حدود الحاكم على الناس لا يتعداها

وشعوره العميق بشعب الحكم لم يشأ أن يحملها ثن من أسره الحطاب ، فمع أن
يكون ابنه عبد الله مرشحاً لها وإن حعه من أهل النورى وقد قوله المسهورة التي سطر

مروان ، وإنه لن الصعب أن تنهم روح الإسلام في نفس عثمان ، ولكن من الصعب كذلك أن نغيبه من الخطأ ، الذي يلمس أسنانه في ولاية مروان الوردية ، في كبرية عثمان . ولقد اجتمع أساس ، فكلوا على بن أبي طالب أن يدخل إلى عثمان ليكنمه ، فدخل إليه فقال : الناس وربي وقد كمنوني عليك . فله ما تدري ما قول بك ، وما أعرف شيئاً تجهه . ولا أدلك على أمر لا تعرفه . إنك تتعلم ما نعلم ، ما سئناك في شيء فحيرك عنه ، ولا حلول شيء فسهلكه ، وما حصصنا بأمر دونك . وقد رأيت وصحبت وصحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وست صهره . وما بن أبي جحافه بأولى بعمل الحر ميت . ولا ابن الخطيب بأولى شيء من الخير ميت ، وإليك أقرب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماً ، ولقد نلت من صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يبالا ، ولا سئناك في شيء . والله الله في نفسك ، فإليك والله ، تنصّر من عبي ، ولا تنعم من جهل . وإن لطريق نو صبح يتر ، وإن أعلام الدين لقائمة . نعم يا عثمان أن أفضل عبد الله عبد الله إمام عادل هادي وهدي ، فأقام سنة معلومة ، وأقام بدعة متروكة ، فوالله إن كلاً ليس به . وإن السن لقائمة ها أعلام ، وإن شر الناس عبد الله : من حائر صكل وصل به ، فأقام سنة معلومة ، وأقام بدعة متروكة . وربي سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يؤتى يوم القيامة بالإمام الحائر وليس معه نصير ولا غادر ، فيبقى في جهنم » .

فقال عثمان : « قد والله علمت يقول الذي قلت . أما والله لو كنت مكاني ما عميتك ولا أسلمتكم ولا عت عليك ، وما حثت مكرراً أن وصيت رحماً ، وسددت حلة ، وأويت صائغاً ، ووليت شيئاً عن كاه عمر بولي أشدك لله يا عبي . هل تعلم أن المعبرة من شعة ليس هناك ؟ قال نعم ، قال : أنعلم أن عمر ولاه ؟ قال نعم . قال : فم تومئ أن وليت ابن عامر في رحمه وقرانته ؟ قال عبي . سأخبرك . إن عمر كان كل من ولى فإمما يظن عبي صحاحه ، إن بلغه عنه حرف حله ، ثم بلغ به أقصى العاية ، وأنت لا تفعل . صممت ررفت على أقرائك . قال عثمان : وأقرائك يعبأ ؟ قال عبي . بعري إن رحمهم مي تقرينه ، ولكن الفصل في غيرهم . قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولي معاوية خلافة كنها ؟ فقد وبينه ، فقال عبي : أشدك الله ! هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر ، من برأ أعلام عمر منه ؟ قال نعم . قال عبي : فإن معاوية يقطع الأمور دونك وأنت لا تعلمها ، فيقول لئناس : هذا أمر عثمان ، فيسمعك ولا تغير على معاوية . »

وأخيراً ثارت الدائرة على عثمان ، واختلط فيها الحق بالباطل ، والحير بالشر . ولكن لا بد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام ، ويستشعر لأمر بروح الإسلام ، أن يقرر أن

تلك الثورة في عمومها كانت هزة من روح لإسلام ، وحدث دون إعمال لما كان وراءه من كيد اليهودي ابن سبأ عليه لعنة الله !

وعند عثمان رضي الله عنه ، الحلافة قد جاءت إليه متأخرة ، فكاتب العصبة الأموية حوله وهو يدلف إلى الثمانيين ، فكان موقفه كما وصفه صاحبه علي بن أبي طالب : « بني بن قعدت في بيتي قال : تركمي وقرنتي وحتى » وإن تكلمت فجاء ما يريد ، يلعب به مروان ، فصار سيقه به يسوقه حيث شاء ، بعد كثر السس وصحنته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ولقد كان من جراء ما كرهه الدين الناشئ بالتمسك منه للعصبة الأموية على يدي الحبيبة لثالث في كبره ، أن تقاليد العممة لم تتأصل على أسس من تعاليم النظرية لفترة أطول . وقد نشأ عن عهد عثمان الطويل في الحلافة أن تنمو سلطه الأموية ويستعمل أمرها في الشام وفي غير الشام ، وأن تنصحب الثروات نتجة لسياسة عثمان (كما سيحيى) وأن تحلحل الثورة على عثمان سوء الأمة الإسلامية في وقت مكر شديد التكرار ومع كل ما يحسنه دريغ هذه الفترة وأحداثها من أمجاد هذا الدين ، تكشف عن عدة بعدة حد في تصور الناس للحياة والحكم ، وحقوق لأمرء وحقوق الرعية ، إلا أن الفئسة التي وقعت لا يمكن التحليل من حطرها وآثارها البعيدة المدى

* * *

مضى عثمان إلى رحمة ربه ، وقد خلف أسولة لأموية دائمة بالفعل بفصل ما يمكنها في الأرض ، وبخاصة في الشام ، وبفصل ما يمكن للمبادئ الأموية بحاجه لروح لإسلام ، من إقامة تلك التراتي والاستبصار بالحكام ولأموال والمنازع ، مما حدث حيلة في الروح لإسلامي عدم وليس بأقليل ما يشيع في نفس الرعية إن حقاً وإن باطلاً - أن الحبيبة يؤثر أهله ، ويمسحهم مئات الأنوف ، ويعزل أصحاب رسول الله لولي أعداء رسول الله ، وبعد مثل أبي ذر لأنه نكر كثر الأموال ، ونكر لترف الذي شح فيه لائريه ، ودعا إلى مثل ما كان يدعو إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإيقاق والبر ونعف . وإن نتيجة الطسعة بشوع مثل هذه الأفكار ، إن حقاً وإن باطلاً ، أن تثور نفوس - وأن تسحل نفوس - تثور نفوس بدين أشربت نفوسهم روح الدين إنكار وتأنياً ، وتسحل نفوس الدين لسوء الإسلام رداء ، ولم تحبط مشامتة قلوبهم ، وأدين بحرفهم مطامع الدين ، ويرون الاحتدار مع التبار وهذا كله قد كذب في أواخر عهد عثمان

فما أن جاء علي - كرم الله وجهه - لم يكن من اليسر أن يرد الأمر إلى مصده في هودة وقد علم المستنصعون على عهد عثمان ، وبخاصة من أمية ، أن عيباً يسكب عليهم ، « سحرروا بصيغتهم ومصابيحهم إلى معاوية

جاء علي ليرد التصور الإسلامي للحكم إلى نهوس الحكام ونهوس الناس جاء ليأكل
 لشعير تطعجه امرأته بيديها ، ويختم هو على حرب الشعير ويقول « لا أحب أن يدخل
 بطي إلا ما أعسم » ورما دمع سبهه لشعري شمه الكساء والضعف ، وكره أن يرل القصر
 الأبيض بالكوفة مؤثراً عليه انحصاص التي يسكنها الفقراء . جاء يعيش كما روى عنه النصر
 ابن منصور من حقة بن حلقمة قال : دخلت على علي عليه السلام ، فإذا بين يديه ابن
 حامض ، أدبي حموصته ، وكسر يسة فقلت يا أمير المؤمنين ! أنا كمن مثل هذا ؟
 فقال لي يا أبا الحبوب ! كان رسول الله يأكل أبس من هذا ويلبس أحش من هذا .
 وأشار إلى ثيابه - بأن لم آخذ بما آخذ به حقت إلا الحق به « أو كما روى عنه هرون بن
 عتبة عن أبيه قال دخلت على علي بن الحورنق ، وهو فصل شتاء ، وعليه حلق قطيفة ، وهو
 يرعد به فقلت يا أمير المؤمنين ! إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً ،
 وت فعل هذا نفسك ؟ فقال « والله ما أرى لكم شيئاً ، وما هي إلا قطيفتي التي أحرقتها من
 المدينة »

وما يصنع عليُّ هذ نفسه وأهله ، وهو يحهل أن الدين يبيع له فوق ما يصنع ، وأنه لا
 يختم لترهد والحرمان والشطف ، وأن حظه من بيت المال في ذلك الحين - كهرد من المسلمين
 . سلح ضعاف ما يأخذ ، وأن ربه كأمر للمؤمنين يؤدي حدمه عامة ، أكر من هذ
 لو شاء أن يأخذ مثلما حصصه عمر لبعض ولانه على الأقلهم ، إذ قدر لعمر بن ياسر حين
 ولاء الكوفة ستمائة درهم في أشهر به ولمس عديبه ، يرد حبيها عطائوه الذي يورع عنه كما
 تورع لأعطية عن بطرثه ، ونصف شاة ونصف حريه من اسقيق ، كما قدر لعبد الله
 ابن مسعود مئة درهم وربع شاة لتعبه الناس بالكوفة وقدمه على بيت مال هب . وبعثان
 ابن حنف مائة وخمسين درهماً وربع شاة في اليوم مع عطائه السوي وهو خمسة آلاف
 درهم . .

ما يصنع عليُّ نفسه ما صنع وهو يحهل هذا كله إنما كان يعلم أن الحاكم مظنة
 وقدوة مظنه التصحح بالمال العام إذ كان تحت سطاه ، وقدوة الولاة والرعية في التخرج
 والنصف فأخذ نفسه بمرائم أبي بكر وعمر في هذا الأمر فالأحق الأعلى كان هو الأخرى
 بحكماء رسول الله علي دين الله .

وسار عليٌّ - كرم الله وجهه - في طريقه يرد بحكم صوربه كما صاعها نبي - صبي
 الله عليه وسلم - والخليفتان بعده « وحده درعه عند رجل نصراني ، فأقبل به إلى شريح
 قاصبه ، يحاصمه محاصمة رجل من عامة رعيابه ، وقد إياها درعي ولم أع . وم أهب
 هار شريح البصري ما تقول عبد يقرب أمير المؤمنين ؟ قال النصراني ما اللرع إلا
 درعي . وما أمير المؤمنين عدي بكذب ! فالتفت شريح إلى علي يسأله : يا أمير المؤمنين

هل من سنة ؟ فصحت علي وقد أصاب شريح ما بي سنة ١ فقصي بالدرع لصرابي ،
 أحدها ومشي ، و« أمير المؤمنين » بنظر به إلا أن لصرابي لم يحط حطرت حتى عاد
 يقول أما أنا فاشهد أن هذه أحكام أنبياء أمير المؤمنين بدسي إلى قاصيه فيقصي عنه ١
 أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الدرع والله درعث يا أمير المؤمنين
 اتعنت الجيش وتنت مطلق إلى صفين ، فحرحت من عبرك لأورو . فقال علي أما إذ
 أسلمت فهي لك ١١ .

ولقد كان مهاجة الذي شرعه هو ما قاله في خطبه عقب البيعة به
 « أيها الناس إنما أنا رجل منكم . بي ما لكم ، وعني ما عليكم . وفي حاسمكم علي
 مهج بسكم ومنفد هيكم ما أمرت به . ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان ، وكل من أعطاه
 من مال الله ، فهو مردود في بيت الله . فإن سحر لا يبطه شيء . ولو وجدته قد تروح
 به لساء ، وملت الإمام . وعرق في المدن تردده . فإن في العدل سعة ومن صاق عليه
 الحق فالجور عليه أصيب .

« أيها الناس ألا لا يقول رجل منكم عداً . قد عمرتهم الدنيا فاملكوا العقار وهجروا
 الأنهار ، وكموا الحيل ، واتخذوا الوصائف المرفقة . إذا ما صنعتهم ما كانوا يخصوصون به ،
 وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون . « حرما ابن أبي طالب حقوقاً » ألا وإنما رجل من
 أمها حريص والأبصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفصل له على سوره بصحته ، فإن
 الفصل عداء عند الله ، وثوانه وأخره على الله ألا وإنما رجل استجاب لله ورسوله ، فصدق
 ملثا ودخل دينا وسقط قلبه ، فقد استوح حقوق الإسلام وحموده ، فأنتم عباد الله ،
 ومال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، ولا فصل مع لأحد على أحد ، ولمنقب عند الله
 أحسن الخراء .

ونقد كان من الطبيعي ألا يرضى المستمعون عن علي ، ولا قبح شرعه مساواة من
 اعتادوا التفصيل . ومن مردوا على الاستشارة . فاجل هؤلاء في النهاية إلى المعسكر الآخر
 معسكر أمية ، حيث يحدون به تحقيقاً لأصداعهم ، على حساب العدل والحق للناس
 يصر عليهما علي - رضي الله عنه - هذا الإصرار !

والذين يرون في معاوية دهاء وبراعة لا يرونها في علي ، ويعرون إيهما عسة معاوية
 في النهاية ، بما يحطون بتقدير الظروف ، كما يحطون بهم علي وواجبه . لقد كان واجب
 علي الأول والأخير ، أن يرد شفايد الإسلام قوتها ، وأن يرد إلى الدين روحه ، وأن
 يحلو العاشية التي عشت هذا الروح على أيدي بني أمية في كبره عثمان ولو حري وسائل

بي أمية في المعركة بطلت مهمته الحقيقية ، وما كان لظفره بالخلافة حاصلة من قيمة في حياته هذا الدين إن علياً ، أن يكون علياً أو فتندهب الخلافة عنه ، بل فتندهب حياته معها وهذا هو الفهم الصحيح الذي لم يعب عنه . كرم الله وجهه - وهو يقول - فيما روي عنه إن صبحت الرواية - «والله ما معاوية بأدهي مني وبكمه يعسر ويعجر وبولا كراهية العسر لكنني من أدهي الناس»

• • •

ومضى علي إلى رحمة ربه ، وجاءت سو أمية
فلش كان يمد عثمان وورعه ورقته ، كانت تقف حاجر أمام أمية لقد أهدر هذا
الحاجر .. وافتتح الطريق للانحراف
لقد اتسعت رقعة الإسلام فيما بعد ، ولكن روحه انحسرت بلا حد بل ولولا قوه
كامة في طسعة هذا الدين ، وفحص عارم في طاقته الروحية ، لكنت أيام أمية كهينة بتعيب
محره الأصيل ولكن روحه طلت تقووم وتعالج ، وما تزال فيها الطاقة الكامة للعب والانتصر
غير أنه مد أمية اساحت حدود ست من المسلمين ، فصار بها مباحاً لملوك والحاشية
والمتلقين ، وتحللت قواعد العدل الإسلامي الصرم ، فأصبح بلطفة لحكمة امتدات ،
ولأديها مدفع ، وحاشيتها رسوم ، وانقست الخلافة منكاً ، ومنكاً عصوصاً ، كما قد
عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وثنه من وثات لاسشفاف الروحاني العميق
وعندنا نسمع عن هات لمتنقن والمهلن والمطرين ، فهنا أحد ملوك أمية ثني عشر
ألف دينار لمعد ، ويهنا هارون الرشيد - من ملوك العباسيين - إسماعيل بن حاتم المعني في
صوت واحد أربعة آلاف دينار ، ومراً نفيس الأثاث والرياش ويطلق بلوحة في
طريقها لا تفق إلا فترة بين الحين والحين

ولا بد أن يذكر هنا عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقد كان بقية من
عهد الخلافة ، وإشعة مصيبة تير الطريق لقد بدأ عهده برد الحكم بعصوب إلى صاحب
الحق لأرب هه إلى الأمة المسمة ، التي يجب أن تحتار إمامها حرة طائفة مختاره ، لا
بقوة الجند ، ولا بسطط الورثة ، صعد المنبر فقال

«أيها الناس إلي قد انتليت هذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طسة له ، ولا
مشورة من المسلمين وإلي قد خلعت ما في عناقكم من بيعتي فاحتاروا لانفسكم» فصاح
الناس قد اختارناك يا أمير المؤمنين ، ورضيتك ، قل الأمر بليس والبركة

وبذلك رد الأمر إلى بصاده في ولاية الأمر ، فلا ولاية غير شورى ورضي وهوب
عندئذ حطب الناس ههنا «أيها الناس به هذا كاد في ولاية تحرون مودتهم بأن
تدفعوا بذلك ظنهم عنكم» لا لا صاعة لملوك في معصية الخالق من أصاع الله وحسب

طاعته ، ومن عصي الله فلا طاعة له . أطيعوا ما أطعت الله فكم . فبدأ عصت الله فلا طاعة لي عليكم . ٥

وحينما باثر سلطته بدأ برد المطام ، مستدثاً نفسه فقد « إنه ليسعي ألا يبدأ بأول من يصي فطر إن ما في يديه من أرض أو متاع فحرج منه ، حتى نظر إلى قص حاتم كان في يده ففرد هذا عضديه توليد من غير حقه ، فحاجه من أرض المغرب فرده وخرج بها كان في مله من القطنع ، وكان في يده قطائع باليمامة ، والمكيدس وحسن الوردس بدمين وعدك ، فحرج من ذلك كله ، وردده إلى المسلمين إلا أنه ترك عيناً بالسويداء ، وكان استنطه بعتائه فكذب ثأته عليها كل سنة مائة وخمسون ديناراً أو أقل أو أكثر

٥ وقد أرمع أن يرد ما يديه أمر هودي في لناس الصلاة جامعة ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطوا عضدي ما كان يسعي له أن يأخذها ، وما كان يسعي لهم أن يعطوها ، وإن ذلك قد حصار إلي ، ليس عني عه دون الله محاسب . ألا وإني قد رددتها ، ودفنت بصبي وأهل بيتي أفرايا مراحم وقد حيء من ذلك بسقط فيه منك الكتب - فجعل مرحم بقر كتماً فكان في حمله عمر وبيده مقص فيقصه به . حتى لم يبق فيه شيء إلا شفه .

ثم ثنى بروحته قطعة ست عند منك من مروان ، وكان عندها جوهر مرها به نوها من بر مثله ، فقال لها : احتاري إن أن ترددي حبيك إلى بيتك ، وإما أن نادني لي في مرافقتك ، وإني أكره أن تكون أن وهو في بيت واحد ، قالت : لا . بل احتاروك ما أمر المؤمنين عليه وعلى ضعافه لو كان لي . فأمر به فحمل حتى وضع في بيت من المسلمين فلما مات عمر واستخلف يزيد بن عبد الملك ، قال لأخته فاطمة : إن شئت رددته عليك . قالت : إني لا أشاؤه . طيب عه بصبي في حياه عمر ورجع فيه بعد موته ، لا والله ' بدأ فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده

٥ وم يكنف عمر برد ما كان في يده من المطام ، بل ذكروا أنه كان لا يأخذ من بيت الماء شيئاً ، ولا يجري على نفسه من الشيء درهم ، وكان عمر من الخطاب يجري على نفسه في ذلك درهمين في كل يوم . فقل لعمر بن عبد العزيز : لو أحدثت ما كان يأخذ عمر من الخطاب ، فقل : إن عمر بن الخطاب لم يكن به مال ، وأنا مالي يعيني

٥ كذلك حمل بني مروان على الروم عند كان في يديهم من الأموال بعد استحقاق ، وردوها إلى ذويها . روى به حواء رحل دمي من هن حمص ففاد يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله . قال : وما ذلك ؟ قال : لعاس من لويد من عند ذلك عتصني رصي والعاس من حاس هناك به يا عاس ما نقول ؟ قال : قطعها من المؤمنين تولد من عند ذلك . كتب في به سحلاً فقال : ما نقول يا دمي ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك

كتاب لله عمر وحمل ، فقال عمر ، نعم ، كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، يا عباس أردد عليه صيغته ردها عليه .

« وكان للوليد بن عبد الملك ابن يافار له روح ، وكان يشا في البادية فكأنه أعرابي ، فأنى ياس من لمسمين إلى عمر يحاصوب روحاً في حرايت بحمص - وكانت هم . أقطعه يده أنه توليد - فقال له عمر ردد عليهم حوايتهم ، قال له روح إني لي سحل توليد ، قال ما يعني عنك سحل الولد . الحرايت حوايتهم قد قامت هم البينة عليها . حل هم حوايتهم فقام روح والحمصي مصرعين فتوعد روح الحمصي ، فرجع بن عمر فقال هو والله يتوعدني يا مير المؤمنين ، فقال عمر لكعب بن حامد - وهو على حرسه - أخرج بن روح يا كعب ، فإن سم إني حوايتهم هذات . ولا فأني برأسه فخرج بعض من سمع ذلك ممن بعينه أمر روح . فذكر به الذي أمر به عمر ، فجمع هؤلاء ، وخرج إليه كعب وقد سل من السيف شراً فقال له قم فحل به حوايتهم . قال نعم نعم فحل له حوايتهم

« وتنازع الدس في رفع المطالم إليه ، فادفع إليه مظلمة لا ردها سوء كانت في يده أو في يد غيره ، حتى أخذ أموال بني مروان وغيرهم مما حصار بينهم ظلماً وكان يرد المطالم إلى أهلها غير لبينة القاطعة ، وكان يكتبي نابيسير ، فإذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكنه تحقيق البينة ليعرف من طعم الولاية فبه الناس وقد ذكروا أنه أهد بيت مال العراق في رد المطالم حتى حمل إليها من الشام

« وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر بعسسه بن سعيد بن العاص - من بيت الأموي - بعشرين ألف دينار هدرت في البواري حتى انتهت إلى ديوان الحتم هم يتق لا قصصا ، فتوفي سليمان قبل أن يقصصها ، وكان عسسه صدقاً لعمر بن عبد العزيز ، فعند يريد كلام عمر فما أمر به به سليمان فوجد بني أمية حضوراً شاب عمر يريدون الإذن عليه ليكلموه في أمورهم ، فلما رأوا عسسه قالوا نظر ما يصنع به قبل أن يكلمه فدخل عسسه عليه فقال له يا أمير المؤمنين . إن أمير المؤمنين سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الحتم ولم يتق لا قصصها ، فوفي على ذلك ، وأمر المؤمنين أوى باستنام الصبيغة عسدي ، وما بني وبه عظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان ، فقال له عمر كم ذلك ؟ قال عشرون ألف دينار قال عمر عشرون ألف دينار تعني ربعة آلاف بيت من مسلمين ، وودعها إلى رجل واحد ؟ والله ما لي إلى ذلك من سس قال عسسه فمررت بالكتاب الذي فيه الصث . فقال لي عمر لا عليك أن يكون معك ، فعند أن يأتيك من هو أحرأ على هذا الناس مي فامر لك به ! فأحدثه وحرص إلى بني أمية فأعلمتهم ما كان من ذلك فعدوا ليس بعد هذ شيء ، أرجع إليه فأسأله أن يأذن له أن

لحق بالبلد ، فرحمت إليه فقلت يا أمير المؤمنين إن قومك بالباب يسألونك أن تحري عليهم ما كان من قبلك يحري عليهم . فقال عمر : والله ما هذا المال لي وما لي إلى ذلك من سبيل . قلت يا أمير المؤمنين ، يسألونك أن تأذن لهم بصربون في البلد . قال ما شاءوا ذلك لهم ، وقد أدت لهم . قلت وأنا أيضاً ؟ قال أنت أيضاً قد أدت لك ، ولكي أرى لك أن نقيم ، فإنك رجل كثير النقد ، وأما أبيع تركة سليمان فلعنت أن نشري بها ما يكون لك في ربحه عوض مما فاتك . قال فأقمنا وسعت من بركة سليمان عاقه أنف ، فحرجت به إلى العراق معها بمائتي ألف دينار ، وحسب الصك ؛ فلما توفي عمر وولى يزيد بن عبد الله ثبته بكتاب سليمان ، فأنفذ لي ما كان فيه .

« وجمع عمر بني مروان فقال لهم : إنكم قد أعطيتكم حظاً وشرى وأموالاً ، وإني لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثها في أيديكم ، فأدوا ما في أيديكم من حقوق الناس . ولا تلحقوني إلى ما أكره فأحسبكم على ما تكرهون . فلم يحج أحد منهم . فقال أحيوني فقار رجل منهم والله لا يخرج من أموالنا التي صدرت إلينا من آتينا فقير أساء وكفر آتاه ، حتى ترايل رؤوس أجساد . فقد عمر والله لولا أن تستعيروني من طلب هذا لحق له ، لأصرعت جنودكم عاجلاً . ولكي أخاف الفتنة ، ونش أنقاي الله لأردن في كل ذي حق حقه إن شاء الله » (١) .

وبكده لم يعش ليرد نكل ذي حق حقه كما كان يريد ؛ فحاء من بعده يسيرون على سبيل أمته ، ولا يسيرون على سبيل عمر ! فلما أن حاء بنو العباس جاءوا ملوكاً وقد فسدت الأرض ، وبعد الناس عن تقاليد الذين . فباعدت أمة بهم وسبه ذلك الأمد لطويل وما كان ملوك بني العباس خيراً من ملوك بني أمية ، فإنه بكذلك الملك المعصوم !

* * *

ويذكر كذا لا يخرج هنا بدولة الإسلامية ، ولكن الروح الإسلامي في الحكم ، فإنما يكتب في برر مظاهر التحول والاحساس في هذا روح ثلاث ثلاث خط من عهد الملوك وحوارتها بالخط الثلاث التي سبقت في عهد الخلفاء يتبين الفرق العميق .

خطب معاوية في أهل الكوفة بعد الصلح فقال : « أهل الكوفة ! أناني قاتلتكم على الصلاة ولركاة وانحج . وقد علمت أنكم نصرون . وتركون . وتحجون ؟ وبكني قاتلتكم لأنتم عسكم وعلى رقابكم ، وقد تأتي الله ديث . وأنتم كارهون إلا إن كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فطلون ، وكل شرط شرطه . فتحت قلمي هاتين » .

١ . من كتاب عمر بن عبد العزيز . الأمانة . أحمد ركني صفوت

وحطب كذلك في أهل المدينة فقال

«أما بعد - يا أيها الله - وسبنا بحبة غنمكم مكم ، ولا مسرة بولايتي ولكني جلدكم
سبي هذا محالده وبعد رخص لكم بقضي على عمل ابن أبي قحافة - وأردتها على عمر
عمر - هفرت من ذلك نفاً شديداً - وأردتها على سبب عثمان - فاسد علي - فسكنت -
حريفاً لي ولكم في موقعة - مؤاكلة حسنة - ومشاربه حميمة - فإن لم تحبوني حرككم - يا أي
خير لكم ولايه »

وحطب تصور العدائي - وقد فعت «مؤنة الأموية» عليها في تصور الحكم حتى انتهت
به أيام العباسيين في نظرية الحق الإلهي المقدس التي لا يعرفها للإسلام فقال
«يا أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه - أنوسكم بتوفقه وتأييده - وحاربه على
ماله - أعمل فيه عشيته وإرادته - وأعصيه بدينه - فقد جعلني الله عبده قفلاً - وإن شاء أن
يفتحني فتحتي لإعصائكم وقسم أراؤكم - وإن شاء أن يقضي عبي فعلي » !
وبذلك حرجت سياسة الحكم نهائياً من دائرة للإسلام - وتعاليم الإسلام

♦ ♦ ♦

فأما سياسة المال فكانت نعتاً أساسه الحكم - وهرعاً عن تصور الأحكام لطبيعة الحكم
وطريقته - ولحق براعي ولرعية - فاما في حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه
وفي خلافة علي بن أبي طالب - فكانت سطرة السائدة هي النظرة الإسلامية وهي أن للمال
تمام مال الجماعة - ولا حق للحاكم نفسه أو مفرته أن يأخذ منه شيئاً إلا بحقه - ولا أن
يعطي أحداً منه إلا بقدر ما يستحق - شأنه شأن الآخرين - وأما حين انحرف هذا لتصور
قبلاً في عهد عثمان - فقد بعثت أساس حقوقهم - وعهم الطبيعة - في حل - وقد اتسع
بذ عن انحراف الناس - أن يصدق فيه بده يرأ عنه ومن يرى من غيرهم حسب تقديره
وأما حين صار الحكم إلى الملك المخصوص فقد انهارت لحدود وهود - وأصبح يحاكم
مطس ليد في مع والمخ - بحق في أحيان مسة وبالاطل في سائر لأحيان - وتسع من
المسلمين ترف الأحكام ونسائهم وحاشيتهم ومخلفيتهم إلى غير حد - وحرع الأحكام بذلك
نهائياً من كل حدود الإسلام في المال

هذه صورة محملة بعرض هذا عاوح فصلها من وقائع التاريخ

كانت موارد بيت المال عند أيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - هي

لركاه المفروضة على المسلمين في موسم بحسب كتاب المعروفة في نذهب والقصة
وبرع والثمار - وفي ماشية - وفي عروض التحارة - وفي الزكوار والمتوسط تمام فيها هو
نصف العشر - وسبق في مصارفها الثمانية المعروفة

وحرية على لرؤوس المتصلحين جلب من الدمين وهي مقابل حرية الدم وحرية
الزكاة التي يدفعها المسمون

ونبيء ، وهو ما يصل إلى مسلمين من المشركين عمواً غير قتال ، وكله لله والرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين واس السبل بصل القرآن ،

والعامة ، وهي ما يصل إلى المسلمين من المشركين بالحرب وأربعة أحماس للمحاربين ،
وحمس كائني في مصرفه

و الحراح - بدل العيمة - وهو مال مقرر على الأراضي التي كانت في يد المشركين
واستولى عليها المسلمون حرباً ، أو صلح عيب المشركين ونقيت في أيديهم ، كالصدم
الذي تبعه ضمير من الخطاب في أرض فارس

وفي أيام الرسول لم تكن موارد بيت المال وفيرة ، لأن المهاجرين قد تركوا ديارهم
وأموالهم ، فوسعهم الأنصار وشاركوهم وآحومهم وكان عند المسلمين بعد محدوداً ، وقبل
الغزو لم يكن لبيت المال إلا مورد التطوع للإبفاق في سبل الله

فلما بدأت الغزوات وحرصت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة وجد المورد الأساسي -
وهو الزكاة - ومورد آخر هو مورد العيمة الذي يحصل لمحاربون على أربعة أحماسه
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي الراحل سهماً والمارس سهمين وقيل ثلاثة
مقدراً مدناً «الرحل ولاقوه» كما كان يعطي الأعرب سهماً والمتزوج سهمين مقدراً بذلك
مدناً «الرحل وحاجته» واما الخمس فكان بورع حسب مصاريفه التي ذكر

ثم حدث أن وقع نوب فيء في عروة بني البصر ، فحبه الرسول - صلى الله عليه وسلم -
للمهاجرين خاصة ، لم يعط إلا راحلين من الأنصار فقيرين ، وجاء القرآن بعد ذلك فقرر
المبدأ الإسلامي العام «كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم»

ثم أضافت موارد المسلمين تسع باتسع رفعة الإسلام وتوالي الفتوح ، فأخذ لرحاء
شمل شيئاً فشيئاً حتى أجمع المسمين على السواء إذ كانوا جميعاً شركاء في موارد بيت المال ،
بالأصصة التي حددها الإسلام

وحين لحق الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى ، وارتد من ربه ومعه
لزكاة . وقف أبو بكر وقتته المشهورة وقال قوته لحالدة «والله لو معوني عقلاً كانوا
يؤدونه في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلتهم على معه» محالفاً في ذلك رأي عمر بن
الخطاب الذي كان يرى - قبل أن يبيء إلى أبي بكر - ويشرح الله له صدره ويعلم أنه
الحق - أن تقوم بقولوا لا إله إلا الله فلا يجوز قتالهم وقد سمع من معارضة أن تقرب
في شيء من الحدة كيف يقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت
أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن قاله فقد عصم

مبي ماله ودمه إلا بحق الإسلام . وحسابهم على الله . فأجابه أبو بكر في تصحيح « والله لا قاتل من فرق بين الصلاة والزكاة » فإن الزكاة هي حق المال » وعندئذ يقول عمر « موافقه ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر بالكتاب معروف أنه بحق »
 وبعد الموقف الحاد تقرر جهات في الواقع الثلاثي أصل من أصول سياسة المال في الإسلام هو القتال والقتل بتقرير حق الجماعة في المال في الحدود التي شرعها الله وبمقدار التي حددها الله .

وسار أبو بكر في توزيع أموال لركاة على مصاريفها المعهودة سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكذلك في احساس العيمة وسائر الأمور فكان يأخذ بنفسه ذلك القدر لصنل لذي فرصة له لمسمون - وقيل به درهمان في اليوم - ثم يعطي أصحاب القرائص قرائصهم ، وما بقي في بيت المال ينفق في تجهيز الحيوش للجهاد
 وقد حدثت في عهد أبي بكر سابقة اختلف عنها هو وعمر فقد رأى أبو بكر أن يسوي في القسمة بين المسلمين لأوليين ومتأخرين في الإسلام ، وبين الأحرار ولولي ، وبين المذكور والإبث . ورأى عمر مع جماعة من الصحابة أن يقدم أهل النسيب في الإسلام على قدر مبارهم ، فقال أبو بكر « أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفصل ، ها أعرفني بذلك وبي ذلك شيء » ثوبه على الله حل ثأؤه ، وهذا معاش ، هالأسوة هيه غير من الأثرة »

وطبت هذه أساواه مرعية ، وانيسر بهيصر على المسلمين سوء ، كلما اتسعت الأمور ، حتى كان عهد عمر بن الخطاب فظل مستمسكاً برأيه الذي رآه « لا أجعل من قاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كمن قاتل معه »
 وقد حدث أن جاءه يوماً عامله بالبحرين أبو هريرة بمال كثير ، ورويته أقدمت من سحرين بحسبائه ألف درهم . فأتيته عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فحسب ، فقلت يا أمير المؤمنين اقض هذا المال ، قال وكم هو ؟ قلت بحسبائه ألف درهم قال وتدي كم بحسبائه ألف ؟ قلت نعم مائة ألف ومائة ألف - خمس مائة - قال أنت ما عس ! اذهب اليه فبت حتى أصبح ! فلما أصبحت أتيت ، فقلت : اقض هذا المال ، قال وكم هو ؟ قلت بحسبائه ألف درهم قال أمن طلب هو ؟ قلت لا أحسم إلا ذاك ، فقال عمر رضي الله عنه أيها الناس إنه قد جاء مال كثير فإن شئتم أن نكيل لكم كلها ، وإن شئتم أن نعطاكم عدداً ، وإن شئتم أن نوزل لكم وزاً ، فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين ذوق للناس ذوقين يعصون عني . فاشتبهى عمر ذلك هو من تنهاجر بن خمسة آلاف خمسة آلاف ، وبالأصغار ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، وبالأزواج التي - صلى الله عليه وسلم - اثني عشر ألفاً « وقد أثبتنا هذه الرواية هالما تين من رأي عمر

في فصل بعض الناس على بعض ، ولما تصور من درجة الثراء حتى نحسب في نصف مائة درهم حلماً من الأحلام يتحدث به اسام ! وقد تعير ذلك كنه فيما بعد الفتح العظم قال أبو يوسف في كتاب الحراج « وحشني شيخ من أهل المدينة عن سماعة بن محمد سأل عن ريد عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول والله إنني لا يه إلا هو ، ما أحد إلا وله في هذا مال حق ، أعطيه أو منعه ، وما أحد أحق به من أحد إلا عند مملوك . وما أن فيه إلا كأحدكم ونكنا على ماربنا من كتاب الله عز وجل ، وقسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقومه في الإسلام ، والرجل وعياله في الإسلام ، والرجل وحاجته في الإسلام والله شقيق ليأتين الراعي يحمل صاعه حمله من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه - أي في حمله - .. »

ثم إنه عرص لكل رجل شهد أربعاً خمسة آلاف درهم في كل سنة ، وعرض لكل من كان له إسلام كإسلام من بدر من مهاجرة الحبشة ومن شهد أحد أربعة آلاف درهم في كل سنة ، وعرض لأساء الدريين بقين ألفين إلا حساً وحسباً فيه تخفيفاً بقرضه أبيهما لقرايتهما من رسول الله ، وعرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم ، وعرض لكل رجل هاجر قبل الفتح ثلاثة آلاف درهم ، ولكل رجل من مسبعة الفح ألفين ، وبعدم حدث من أساء المهاجرين والأنصار كقرايته مسبعة الفتح وعرض لباس على مديهم وقرءتهم القرآن وجهادهم ثم جعل من بقي من الناس مائة واحداً وعرض لمن جاء من المسلمين إلى مدينته ، وأقام بها ، خمسة وعشرين ديناراً . وعرض لأهل اليمن وقيس بالشام وانصرف لقيس إلى ألف دينار سعمانة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة ولم ينقص أحد عن ثلاثمائة وقد لئن كثر لمن لأفرص لكل رجل أربعة آلاف درهم ألف سمره ، وألف سلاحه ، وألف يخلعها لأهله ، وألف لفرسه وسبعة ^(١)

غير أن عمر حرج عن القاعدة التي وضعها تشجيع العطاء في أمر رجال وساء راد في عطائهم على عطاء مشاهيرهم ممن في طلبهم عرض بعمر بن أبي سبعة أربعة آلاف درهم ، وعمر هذا هو ابن أم سمية أم المؤمنين وقد عترض محمد بن عبد الله بن حشاش ، وقد لأمر المؤمنين « ثم تفصل عمر عس » فقد هاجر آباؤا وشهدوا « وأجابه ابن الخطاب بقوله « أفصله حكاية من أبي صلى الله عليه وسلم ، فلأتني الذي يستعيب بأمر مثل أم سمية أخته » وعرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم ، فقال عبد الله بن عمر « عرضت في ثلاثة آلاف ، وعرضت لأسامة أربعة آلاف ، وقد شهدت ما لم يشهد أسامة » وأجابه

(١) كتاب التاريخ عمر جزء ٢ للدكتور هيكل

عمر «ردته لأنه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، وكان أبوه أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أنت !» وحرص لاسمائه بنت عميس روح أبي بكر ألف درهم ، ولأم كلثوم بنت عقبة ألف درهم ، ولأم عبد الله بن مسعود ألف درهم ، فزادهم على مناهن لمكتنهن الخاصة يد كل أرواحاً ومهات لرجالهم على غيرهم مربة وفصل»^(١)

همارأناك إدد في تقسيم المال ربي أبي بكر وراي عمر وقد كان برأي عمر - رضي الله عنه - سده «لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه» و «لرحل وملاؤه في الإسلام» وهذا رأي أصل في الإسلام وهو التعدد بين العهد والخراج وكان لرأي أبي بكر - رضي الله عنه - سده كذلك «عما أسموا الله وعنه أجرهم» يومهم ذلك يوم القيمة ، وإد هذه اديب بلاع «ولكن لا تردد في احببر رأي أبي بكر إدد كان أقمن أن يحقق المساواة بين المسلمين - وهي أصل كبير من أصول هذا الدين - وأخرى ألا ينتج النتائج الحظرة التي نشأت عن هذا تفاوت من تصحيم ثروات فريق من الناس ، وتزايد هذا التصحيم عاماً بعد عام بالاستثمار - ومعروف اقتصادياً أن زيادة الربح تتسبب إلى حد بعيد مع زياده أس المال - هذه لنتائج التي راهد عمر في آخر أيام حياته ، فآلى نشر جاء عليه انعام ليسوي في الأعطت ، وقال قولته المشهورة «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأحدثت من الأعياء فصول أموالهم فرددتها على الفقراء» ١

وبكر وأسفاه ! لقد فات الأوان ، وسقت الأيام عمر ، ووفعت النتائج المؤلمة التي أودت بثوار في المجتمع الإسلامي ، كما أدت فيما بعد إلى لفظة ، عما أصف إليها من تصرف مروان ويقرار عثمان ١

رجع عمر إدد عن رأيه في التصرف بين المسلمين في العطاء ، حينما رأى نتائج الحظرة ، إلى رأي أبي بكر وكذب جاء رأي علي مصدقاً لرأي الحبيفة لأول - ونحن نعلم إلى اعتبار خلافة علي - رضي الله عنه - امتداداً طبعياً لخلافة الشيعين قبله ، وأن عهد عثمان لذي تحكم فيه مروب كان محنة بسهم ذلك نتائج الحديث عن عهد علي ، ثم يعود للحديث عن الحالة في أيام عثمان

خار علي مبدأ لمساواة في العطاء ، وقد مضى عنه في خطته الأولى حيث قد «ألا وإنما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفصل له على سوء بصحته ، فإن الفصل عدداً عند الله ، وثوبه وأخره على الله ألا وإنما رجل ستحاب لله ولرسوله ، فصدق ملت ، ودخل دينا ، واستعمل قنيت ، فقد ستوجب حقوق الإسلام

(١) المصدر السابق

وحدوده فانتم عند الله ، و مال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، ولا فصل فيه لأحد على أحد ، ولستم بين عند الله أحسن الجزاء .

هذا هو المبدأ الإسلامي سليم الذي يتفق مع روح مساواة الإسلامية ، ويكمن بمجتمع الإسلامي الثوار ، فلا يدع الثروات تنضج إلا بقدر أخها وتعمل وحدهما ، لا بفصل ناحة فرصة لا تتاح للآخرين . بوجود وفر من المال لعمل منه أكثر مما لدى الآخرين .

وقد كان عمر في آخر أيامه عن أبي بكر إلى هذا المبدأ ، ولكنه عوجس فاستشهد ولم بعد عريخته التي اعترم ، بل عريخته عريخته في أن يأخذ فصول أموال لأعداء فدها على الفقراء ، إذ كانت هذه لفصول قد بذلت - في لأعداء - من تعريته في العطاء ، وعريته في أن يسري بهم في العطاء فلا تعود هذه الفوارق إلى الظهور كما ظهرت ، ولا يخل المجتمع الإسلامي كما بدأ يخل .

وجاء عثمان - رضي الله عنه - فلم ير أن يأخذ بعريته أو أحد من ترك الفصول لأصحابهم فلم يردها ، وترك لأعطيات كدث على نفقاتها ونكر هذا لم يكن كل ما كان بل ومع أولاً عن الناس في العطاء فاردد يعني ، وربما تنجح الفقير قبلاً . ثم جعل مسح الصفحة لم لا تنقصهم الثروة ؛ ثم أناح لقريش أن تصرف في الأرض تناحر أموالها المكنته ، فتريدها أصداً مصاعفة ، ثم أناح للأثرياء أن يفتوا الصباغ والدور في السود وغير السود ؛ فإذا نوع من الفوارق المالية الصفحة يسود المجتمع الإسلامي في نهاية عهده يرحمه الله .

كان أبو بكر وكان عمر من بعده يتشدداً في إمساك الجماعة من رؤوس قریش بالمدينة ، لا بدعومهم بصرب في الأرض المفتوحة . احتياطاً لأن تمتد أنصار هؤلاء الرؤوس إلى الماء والسلطان ، حين يجمع إليهم الأنصار بحكم قراسهم من رسول الله ، أو بحكم لاثهم في الإسلام وساعتهم في جهاد . وما كان في هذا اقتيات على الحرية الشخصية كما بهمها الإسلام ، وهذه الحرية محدودة بصلحة الجماعة والصالح . فلما جاء عثمان أناح لهم أن يصرب في الأرض . ولم يحل لهم هذا وحده بل يسرهم وحصمهم عن توظيف أموالهم في الدور والصباغ في الأقاليم ، بعد ما أتى بعضهم من أهبات مئات الآلاف .

لقد كان ذلك كما برأ ورحة بالمسلمين وبكبارهم خاصة ولكنه أشأ خطراً عظيماً لم يكن حافاً على فطة أبي بكر ، وفطنة عمر بعده . أشأ الفوارق الماسة والاختماعه الصفحة في الجماعة للإسلامة . كما أشأ صفة تأنيهاً أررقها من كل مكان دون كد ولا تعب ، فكان الترف لدى حارة الإسلام بنصوصه وتوجيهاته ، كما حاربه الحيفتان قبل عثمان . وحرصاً على ألا يتبعياه

عنده ناز الروح الإسلامي في نفوس بعض المسلمين ، يمثلهم أشدهم حرارة وثورة
أبو ذر ، ذلك الصحابي الحليل الذي لم يجد هيئة لغوى المصرية في الزمن الأخير إلا أن
تخطئه في تحفه ، وإلا أن تزعم لنفسها بصراً بأعين أكثر من بصره بدينه ! ثم عادت -
في مناسبة أخرى - فأصدرت فتوى بصواب تحفه ، عذبت تعيرت الظروف لأولى ! كان
دين الله سعة تتجر بها هيئة في سوق الرعيات !

قام أبو ذر يسكر على لثرفين نرفهم الذي لا يعرفه الإسلام ، وسكر على معوية وأمة
حصة سياستهم التي تقر هذا لثرف ، وتستزيد منه ، وتتمرع فيه ، ويسكر على عثمان نفسه
أن يهب من بيت المال لمئات والأثوف ، فيريد في ثراء لثرفين ويرهب المنرفين
علم أن عثمان أعطى مروان بن الحكم خمس حراح إغريقية ، والحارث بن الحكم
مائتي ألف درهم ، وريد بن ثابت مائة ألف ، وما كان صمبر أبي ذر يطيق شيئاً من
هذا كله ، فانطلق يحطك في الناس

«لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه والله إني لأرى
حقاً بطلاً ، وابطلاً نجس ، وصادقاً مكذباً ، وثورة تعير تقى يا معشر لأعياء وسوا الفقراء
وبشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا يفتقروا في سبيل الله ممكوا من نار ، يكرى بها
جدهم وحبوبهم وظهورهم ما كبر المال اعلم أن في المال ثلاثة شركاء : القدر لا
يستأمر أن يذهب بحيرها أو شرها من هلاك أو موت ، والوارث ينتظر أن تصع رأسك
ثم يستاقها وتنت دميم ، وتنت الثالث ، إن استطعت ألا تكون أعجز الثلاثة فلا تكون
إن الله عز وجل يقول «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»

«اتخذتم ستور تحريز ، وبصائد الديناح ، وتألمتم الاصطجاج على الصوف لأدري ،
وكان رسول الله ينام على الحصير ، واحتلف عليكم بألوان الطعام ، وكان رسول الله لا
يشبع من خبز الشعير»

وروى مالك بن عبد الله الزياتي عن أبي ذر : «أنه جاء يستأذن على عثمان بن عفان ،
فأذن له ويده عصاه فقال عثمان : يا كعب ، إن عبد الرحمن توفي وترك مالا ، فما ترى
فيه ؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه فرفع أبو ذر عصاه فصر كعاباً
وقال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : «ما أحب لو أن لي هذا الحص
دهماً ثمه وتنقل مي ، ذر حلفي منه ست وقى» شمسك الله يا عثمان أسمعته - ثلاث
مرت - قال نعم»

وما كانت مثل هذه الدعوة لطيفها معاونة ، ولا سيطقتها مروان بن الحكم ، لما رآه
 به عند عثمان يحرضه عليه حتى كان مصيره إلى « الرinde » معيأً من الأرض في غير حرب
 لله ولرسوله ، وفي غير سعي في الأرض بسفاد كما نقول شريعة الإسلام^١
 فقد كانت هذه الصبيحة بقطعة ضمير مسلم لم تحتره الأصماع ، أمام تصحيم فاحش
 في الثروات ، يفرق الجماعة الإسلامية طبقات ، ويحطم الأسس التي جاء به الدين
 يقيمها بين الناس ، ونحسب أن عرضها نموذجاً لثروات الصحاح أورده المسعودي ، قال
 « في أيام عثمان اقنبي الصحابة الصماع والمال فكان عثمان يوم قتل عند حاربه حمسون
 ومائة ألف دينار وألف ألف درهم ، وقيمة صباغته يودي القرى وحسين وغيرهما مائة ألف
 دينار ، وحلف بللاً وحلاً كثيرة ، وبلغ لشتر الواحد من متروك الربر بعد وفاته خمسين
 ألف دينار ، وحلف ألف فرس وألف أمة ، وكانت علة طلحه من لعراق ألف دينار كل
 يوم ، ومن سحبه لسراة أكثر من ذلك ، وكان على مريد عبد الرحمن بن عوف ألف فرس ،
 وله ألف بعير ، وعشرة آلاف من العم ، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين
 ألفاً ، وحلف ريد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالعقوس غير ما حلف من
 الامور والصباغ ، وبنى الربر داره بالصرة ، وبنى أيضاً بمصر والكوفة والإسكندرية
 وكسنت بني طلحه داراً بالكوفة ، وشيد داراً بمدينة ، وسماها بالخص والاجر ونسج
 وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ، ورجع سمكه وأوسع قصاهما ، وحمل على أعلامه
 شرفات وبنى القداد داره بمدينة ، وجمعها محصنة الظاهر والباطل ، وحلف يعني بن
 مبه خمسين ألف دينار وعقاراً ، وغير ذلك ما قيمته ثلاثمائة ألف درهم »^٢
 هذا هو الله ، الذي بدأ صغيراً بإشاد بعض المسلمين على بعض في العطاء في أيام عمر -
 ذلك الإيثار الذي كان معترفاً بإطائه وتلاقي ثوره لولا أن عاصيته الطعمة التي لم تصب قب
 عمر وحده ، وإنما أصابت قب لإسلام - ثم بما وإرداد بأبناء عثمان عليه ، فضلاً على
 العديا وضات والقصدع ثم فت عشواً درهماً بتجميع لأملالك والصباغ وموارد الاستغلال ،
 بما سحبه عثمان من شراء الارصين في الأقاليم وتصحيم الملكيات في رقعة واسعة ، ومقاومة
 الصبيحة الحالصة العميقة التي ابغشت من قب أبي در ، وكانت جديره لو سب عديتها ،
 ولو وجدت من الإمام استماعاً لها ، أن تعدل الأوصع ، وأن تحقق ما أورده عمر في أولجر
 أيامه من رد قصور الأعياء على الفقراء ، بما يبيحه له سلطان الإمامة يدفع الضرر عن الأمة ،
 بل بما يحتمه عليه تحقيقاً مصلحة الجماعة

ونقدر ما تكسدت الثروات وتصححت في جانب ، كان الفقر والبؤس في الجانب

(١) عن كتاب عثمان للأستاذ صادق عرجون

الآخر حتماً ، وكانت اسمة والسخط كذلك وما لبث هذا كله أن جمع وتصحح .
 ليبحث فئة هائجة ، يستغلها أعداء الإسلام ، فتؤدي في النهاية نتائج فتودي معه بأس
 الأمة الإسلامية وصلاتها ، وتسلمها إلى صطراب وفوران لم يحب أواره حتى كان قد عشي
 بدخابه على روح الإسلام ، وأسس الأمة إلى ملك عصوص

بلدك م يكن غريباً أن يعصب أصحاب الأموال . والمستمعون من ثماوت الحظوظ في
 العطاء ، على سياسة المساواة والعدالة التي اعترمها علي بعد عثمان ، وأن تصاهرو بأنهم إنما
 يصحون بالعدول عن هذه السياسة حول عيه من الانتقاص ، قد كان جوهه إلا أن يستلهم
 روح الإسلام لي صميره القوي يقول

«أتأمروني أن أطلب النصر بالحور عيم وليت عليه ؟ لو كان هذا المال لي بسويت
 بينهم ، فكيف وإنما المال ماب الله ؟ ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تدبير وسراف ، وهو
 يرفع صاحبه في الدنيا ، ويضعه في الآخرة»

• • •

فأما سر أمة فقد ساروا في سياسة المال سيرة أخرى حتى كان عمر بن عبد العزيز ،
 فصع الذي أسفد في رد انظام ، وفي الكف عن بعثة مول المسلمين في غير حقها ، فلم
 يكن لشيء مية إلا ما لسائر الناس ، ولم يكن للمتمنقين والمنهين نصيب في هذا المال ، فقد
 انقطع عن الشعراء للمباح ، ولم يحرمهم شيء من بيت المال

وفي خبر له مع حرير أن حريراً مدحه فقال له عمر «يا ابن الحطاي أمي أساء
 المهاجرين نت يعرف بك حقهم ؟ أم من أساء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم ؟ أم من
 فقراء المسلمين فنامر صاحب صدقات قومك فيصت مثل ما يصن به قومك ؟» فقال
 يا أمير المؤمنين ، ما أنا بواحد من هؤلاء ، وبني لمن أكثر قومي مالاً ، وأحسب حالاً ،
 ولكي أسألك ما عودتيه الخلفاء أربعة آلاف درهم وما يشعها من كسوه وحملان
 فقال له عمر «كل امرئ يبقى فعه ، وأما أنا فما أرى لك في مال الله حقاً ، ولكن انتظر
 حتى يخرج عطائي ، فانظر ما يكي عيني سنة مه فأدخره لهم ، ثم إن حصل فصل صرفاه
 إليك» فقال حرير لأبل بومر مير المؤمنين ويحمد ، وخرج رصياً ، قال : «هللك
 حب إلي» فخرج هماً إلى قال عمر ، يا شر هذا بيتي ، أدوه لي فردوه فقال «إن
 عشي أربعين ذباً وحلعتين إذا عشت جداهم ليست الأخرى وأنا مقامك ذلك ،
 على أن الله حل وعمر يعلم أن عمر أخرج إلى ذلك منك» فقال له قد وفرك الله ، أمر
 المؤمنين ، وأن والله ر صر قل أم وقد خلعت فإن ما وفركه علي وء تصق به معيشاً
 أثر في نفسي من المدح ، فمض مضاحاً

لا عجب إذن حين تحفظ أموال المسلمين فتد على المستحقين أن يروي الرواة أن أسس
اكتتموا في عهد عمر بن عبد العزيز حتى لا يجد الصدقات في بعض الأقطار من يأخذها
لاعتداء عامة الأمة باستحققاتهم الأخرى عن أموال الصدقات وفي ذلك يقول يحيى
ابن سعيد

شعني عمر بن عبد العزيز على صدقات إهريقية ، لاقتصبتها . وطلت فقراء عظمهم
هم يجد بها فقير ولم يجد من يأخذها منا ، فقد أعى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت
بها رقاباً فأعتقتهم .

إنما لفقر وانحاجة ثمرة التصحيم والزيادة . ولفقراء في كل وقت هم أصحاب الأعباء
المحشون والأعباء المحشون في ألعابهم تاح لأعطيات ولاقصديات والمجاهد والظلم
والاستغلال !

• • •

وفي أيام بني أمية ثم في أيام بني العباس من بعدهم ، كان بيت المال مباحاً للملوك
كأنه ملكهم حصص ، وذلك على الرغم من وجود بيتين للمال بيت المال العام ، وبيت
أموال المحاص . ولأول مهروض أن موارده ومصارفه للجماعة ، والثاني مهروض أن موارده
ومصارفه من حصة السلطان . لكنا نجد أحياناً أن أموالاً عامة تحمل إلى بيت مال المحاص
وأن مصارف خاصة تؤخذ من بيت المال العام !

حاء في كتاب الحصار الإسلامية في القرن الرابع الهجري تأليف آدم ميتز وترجمة
محمد عبد الهادي أبو ريدة

أما العطاء وكل ما يتعلق بنفقات الدولة والحلقة فكان يؤخذ من بيت المال العام . وعندما
بدأ يرجع إلى أول القرن الرابع مشتمل على وحوه الأموال التي تحصل إلى بيت مال المحاص
١ الأموال المختلفة التي يتركها الأبناء لأسبائهم في بيت مال ويقب ابن رشيد خلف
أكثر مصادر من مال ، وهو ثمانية وأربعون ألف ألف دينار ، وكان المعتصم (٢٧٩-٢٨٩)
٢٨٩) يستخلص من كل سنة من سبي حلالته بعد النفقات ، مما كان يحصله بيت
مال المحاص ألف ألف دينار حتى اجتمع في بيت المال تسعة آلاف ألف دينار ،
وكان يريد أن يضمه عشرة آلاف ألف دينار ، ثم سبكه وجعلها نفقة وحده ،
وبعد عبد بلوغ ذلك أن ترك عن أهل البلاد ثلث الحراج في تلك السنة . وراد أن
يطرح السيكة على باب العامة يبيع أصحاب لأصراف أن له عشرة آلاف ألف دينار
وهو مستغن عنها ، وخرمته نسبة قبل نوع الأمة . ثم جاء المنكهي بعد المعتصم
(٢٨٩-٢٩٥ هـ) فبيع المدخر إلى أربعة عشر ألف ألف دينار

٢ مال الحراج والصباغ العامة الذي يرتفع من أعين فارس وكرمان (بعد إسعاد النفقات)

وبلغ مقدار ذلك في كل سنة منذ عام ٢٩٩ إلى عام ٣٢٠ هـ (٩١١ - ٩٣٢ م) ثلاثة وعشرين ألف ألف درهم ، مائة ألف درهم كانت تحمل إلى بيت مال العامة ، والباقي وهو تسعة عشر ألف ألف درهم إلى بيت مال الخاصة . ويجب أن يسقط من ذلك لفقات الحادثة التي تتطلبها هذه البلاد . في عام ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) أُنقِصَ الخليفة نفقها ما يريد على سبعة آلاف ألف درهم .

٣ - أموال مصر والشام . وكانت حرية أهل السنة مثلاً تحمل إلى بيت مال الخليفة باعتباره أمير المؤمنين لا إلى بيت مال العامة . وهذا ما يجب للحليفة نظرياً !

٤ - المال الذي يؤخذ من المصدرة لأموال الوزراء المعروفين والكتائب والعمان وما يحصل من ارتفاع صيغاتهم ، والمال الذي يؤخذ من التركات^(١)

٥ - ما كان يحمل إلى بيت مال الخاصة من أموال الصياع والبحر والحدود والأهواز والشرق والحرب

٦ - ما كان يستغصبه الخلفاء ، فكان كل من الخديمتين الأخيرين في القرب الثالث المجري (وهما المتعبد والمكتفي) يستحصل في السنة ألف ألف دينار ، وكان سبيل مقتدر أن يستحصل مثلهما ، فيكون مبلغه في خمس وعشرين ألف ألف دينار ، أعني نحواً من نصف ما خبئه الرشيد .

ومن هذا النص يبدو كم عدل من سمون خفاء من يدرك على أموال المسلمين العامة ، وكم تعدد سياسة المال عن أصول الإسلام ، وكم ارتفاع الثراء والترف في جانب الرؤس والشدء في جانب ، وكم احتل المجتمع الإسلامي شحة بخله عن النهج الإسلامي ، وتكره للمبادئ الإسلامية

* * *

ونكر لواقع التاريخي للإسلام - على الرغم من هذا كله - استطاع أن يقرر عدة مبادئ أساسية في «سياسة المال» وأن يحقق الكثير من نظريات الإسلام ومبادئه على الرغم من السكة التي أصابته في مطلع عهده ، على أيدي بني أمية استطاع الواقع التاريخي أن يمرر .

١ - أن الفقراء أولى من ذوي السانقة في الإسلام ، المال لعدم وجاء في عهد أحمد بن حنبل «حدث بكر بن عيسى ، حدثنا أبو عوانة عن معبرة عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : كنت عمر بن الخطاب في أسس من قومي ، فجعل يهرص للرجل من

(١) كان الخليفة يرث مال الخدم ومن لا يولد له من موالي أسر الخلافة . وقد كان هؤلاء في الغالب سادة ذوي ماصب تلو المروق الكثير فإن مالا كثيراً كان يجري إلى خزنة الخليفة

طسئ في ألفس ومعرض عبي قال فاستغفرت فاعرض عبي . ثم أتيت من حبال وجهه فأعرض عبي . قال فقلت يا أمير المؤمنين أتعرفني ؟ قد فصحت حتى استلقى لعماء . ثم قال نعم والله إني لأعرفك . أمس إد كهرو . وأقمت إد أدبروا ، ووعيت إد عدروا . وإن أول صدقة بيصت وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووجه أصحابه ، صدقة طسئ حثت بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أحد يعتذر . ثم قال : بما فرصت لقوه أجهضت بهم العاقبة ، وهم سادة عشائره
يوهم من الحقوق :

وهذه من عمر الذي أثر أوي السابعة في تقدير العطاء ، ها قيمها ، وها دلالتها فالحاجة هي المرر الأول للاستحقاق في المجتمع الإسلامي وهو مبدأ عميق الدلالة في كرامة الإسلام للحاجة والعاقبة ، وحنه على إزالتها أولاً قبل كل رعاية لأي اعتبار آخر

٢ أن الإسلام مكره تكديس الثراء في حاسب والحرمان في حاسب وفي سبيل رثة هذه الحالة يبيع لولي الأمر لمسم الذي بعد شريعة الله ، حرية التصرف في المال العام وهذا لمبد وعده الواقع التاريخي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - في توزيع فيه بي التصرف على المهاجرين الفقراء خاصة . عدا رجلين فقيرين من الأنصار . حتى يعيد بعض التوارن للمجتمع الإسلامي في أول فرصة عرصت له . ثم جاء القرآن مصداقاً لهذه السانقة التاريخية : « كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم »

وهذه سانقة لها دلالتها وها قوتها . لوي الأمر لمسم وهو الذي بعد شريعة الله يثلث دائماً أن يخص الفقراء من المال العام . ي بعد التوارن إلى الجماعة الإسلامية ، وما يحقق رعة الإسلام في ألا توحد فوارق بين لطقات تحل هذا التورن العام

٣ - مبدأ الصرية المتناهية حسب لمدره والعصر . فحين فرصت الحرية على الدينين جعلت بالعتات الآتية

(أ) أغنياء ويؤخذ منهم ٤٨ درهماً عن كل رأس في العام

(ب) أوساط ويؤخذ منهم ٢٤ درهماً

(ج) فقراء يتكسبون ويؤخذ منهم ١٢ درهماً

ولا تؤخذ حرية من مسكين يتصدق عليه ، ولا من عاجر عن العمل . ولا من عبي أو مفعد أو محمول أو ذي عاهة على وجه العموم . ولا تخور الحرية إلا على برجن لأحرر العفلاء . . فلا جزية على امرأة أو صبي

وحين وقعت المجاعة في عام الرمادة بسب القحط ، لم يرسل عمر جناته ليقصوا الزكاة ، من ترك أساس حتى يرتفع الحدب ، فلما اطمأن الناس وعاد البرحاء ، بعث عماله فتقاصوا من لقادير حصتين . حصنة عن عام الرمادة ، وحصنة عن لعام الحاضر ،

- وأنهى غيرهم ، ثم أمر أن مرد على هؤلاء إحدى الحصتين ، ويقدم العمال عليه بالثانية
- ٤ - مبدأ عدم الحجر على الضرورات وفاء للضرورة ، وعدم استثنائها كذلك بالقوة
- قال علي بن أبي طالب لأحد عماله : « إذا قدمت عليهم ، فلا تبسهم لهم كسوة ، شتاء ولا صيفاً . ولا زرقاً يأكلونه ، ولا دابة يعمرون عليها ، ولا تبصرين أحداً منهم سوطاً واحداً في درهم ، ولا تقمه على راحته في طلب درهم ، ولا تبع لأحد منهم عرساً في شيء من الخراج . فإمّا قرنا أن تأخذ منهم العفو »
- ٥ - مبدأ « الرحل وحاجته » بحسب مبدأ « الرحل وبلاؤه » . فقد حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - للأعرب حظاً من العسمة وللمتروح حظين . وهذا حرص دلالة في أن الحاجة مبرر كالجهد للعصاة . بجهد متروح في الجهاد كجهد لأعرب ولكن حاجته مصدقة فصوعف له حظه والحاجة وحده مبرر كاف للتملك في الإسلام وهذا قيته في الصواب الاجتماعي
- ٦ - مبدأ الصواب الاجتماعي العام بكل عاجز وكل محتاج فقد حرص عمر للموود مائة درهم ، إذا تفرغ بلغ به مائتين ، وإذا بلغ رده . وكان يحرص لنقطة مائة . ولويه كل شهر زرقاً يعينه عليه ، ويجعل رصاعه وعقته من ست نبال ، ثم يسونه عند كبره بسوّه من الأطفال . وهذه صدقة من عمر توجبها سماحة الإسلام ، فالقبط يريه ، لا يحمل ور أنويه للحرمين . وقد أثبت من قل كيف حرص لليهودي الأعمى ، وبمحددومين من الصناري . وهي سماحة الإسلام في نفس عمر للناس جميعاً لا للمسلمين وحدهم . وتأمين للمجتمع من عوائل الحاجة والعجز والحرمان
- ٧ - مبدأ من أين لك هذا ؟ فلا حصانة للحاكم مع الجماعة أن تحاسبه على ما كسبه من مال . يتبين لنا أن كان ذلك ماله أو ماله . ونقرر هنا مبدأ كهيل بأن يردد الحاكم مرتين قبل أن يقدم على إعيال المال العام . وقد قرر عمر مع ولاته جميعاً ، وأقره علي مع بعض الولاة .
- ٨ - مبدأ الزكاة العام الذي لم ينقص حتى في أشد الميود ظلاماً وصوقاً عن روح الدين
- قال من أحد أنكره بطريقاً أو عملاً ، منذ حروب الردة في أوائل عهد أبي بكر . أن عبت المدينة العربية في عصرنا الحاضر . فنقص آخر مبدأ حي من مبادئ الإسلام
- ٩ - مبدأ التكافل العام الذي يجعل كل أهل مد مسؤولين مسؤولية مباشرة عن تنفذه لخواج ، مسؤولية حائية يؤدوب فيها بدنه . بوضعهم قتلة لذلك الذي أتته لخواج وهو بينهم مقسم . ولم يؤد هذا المبدأ حق الخائف أو المعطش أن يقاتل من في يده الطعام وسه

حين يحشى على نفسه التلف ، فإذا قتله فلا دية عنه ولا عقاب

١٠- مبدأ حرمة البر ، ولا يطار عبد العسرة لمدين ، وبقد حل برء محرماً حتى أباخته
لمدية المادة ، يحملها إلينا القديس الفرنسي ، وجعلته أصلاً من أصول الحياة الاقتصادية
العامة . في غير ما ضرورة منحة إلا إعدام العصر لخلق في الحياة وانتفاء روح
التعاون والبر من صدور الناس تلك الروح التي يحدها لإسلام أساس المجتمع وركن
التعاون بين الناس .

ودنت كله غير تفاسد البر والمواطنة والتكافل في المجتمع - عن غير طريق لتشريع -
ولماضي القريب الذي شهده آناً - لا أحداتنا - في لرب الإسلام في كل مكان ،
والذي ما تزال نية منه حتى بعد أن طغت الحصار لمدية العربية على العالم الإسلامي ،
يشهد بأن لروح الإسلامي في المجتمعات الإسلامية ، حيث كان عيص ذلك الروح
يعني عن التشريع والإبرام وهذه الأوقاف بكثيرة ، والحيوس المنوعة . التي صرعت
اليوم عن أهدافها . ونها المناهون تحت محصف العيونات والتعلات ، شاهد عوامل
الرحمة والبر والتكافل ولتأمين لإجتماعي في نفوس أحوال المسلمين المعدة والقرنة ،
فمن أن تصدده الحصار لمدية الحاملة ، القاسية القرب والشعور

ولقد بلغت لرعة في الصن لإجتماعي للصعفاء ملعاً حمي تتجاوز الإنسان إلى الحيوان
وقد حسنت بعض الحيوس على صعايف الحيوان لتتحد لها «أوى» وتنال بحمديه من
التشرد والجوع !

• • •

مد هو الإسلام على الرغم مما اعترض خطواته العملية الأولى ، من بحراف في تصور
معنى الحكم وسياسة المال كانت له آثار ضحاح
هذا هو الإسلام في واقع التاريخ الذي حققه فعلاً فأما الإسلام في مبادئه بعمدة ،
فهو على استعداد دائم للوفاء بالحاجات المتحدة في كل مجتمعات التي تقوم على أساسه ،
وتتحد شريعته شريعة وهو في هذه الحاجات في شعوب وتوارى ، بريء من التحطبات
التي تتأرجح في التجارب البشرية وإمداهاف إنشورية بين التفريط والإفراط والتي تكلف
البشرية ثمناً عدياً من «صحايا والتصححات»^(١)
فأما حاصر الإسلام ومستقبله فستحدث عنها في فصل آت .

(١) يرجع فصل «المحيط والاضطراب» في كتاب «الإسلام ومشكلات الحضارة» للمؤلف

حاضر الإسلام ومستقبله

نحن ندعو إلى استئناف حياة إسلامية ، في مجتمع إسلامي ، تحكمه العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي ، كما تحكمه الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية - على هذا النحو - قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض ، وأن «وجود» الإسلام ذاته من ثم قد توقف كذلك !

ومع تدهور هذه الحقيقة الأخيرة ، على الرغم مما قد تحدثه من صدمة ودعوى وحيه أمل للكثيرين من لا يزالون يحدون أن يكونوا «مسلمين» ! - ونجهر بها على هذا النحو في الوقت الذي ندعو فيه إلى استئناف حياة إسلامية ، في مجتمع إسلامي ، تحكمه العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي كما تحكمه الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي ولا يرى أن في رؤية تلك الحقيقة وخبرها كذلك ما يدعو إلى حيرة لأمل ؛ واليأس من هذه الدعوة ومن هذه المحاولة . على العكس يرى أن اخبر بهذه الحقيقة المؤلمة - حقيقة أن الحياة الإسلامية قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض ، وأن «وجود» الإسلام ذاته من ثم قد توقف كذلك - يرى أن لخبر هذه الحقيقة ضرورة من ضرورات الدعوة إلى الإسلام ، ومحاولة استئناف حياة إسلامية . ضرورة لا مفر منها

إن الأمر المستقضى في هذا الدين أنه لا يمكن أن يقوم في الصمير «عبيدة» ولا في واقع الحياة «عبيد» إلا أن يشهد الناس أن لا إله إلا الله أي لا «حاكمة» إلا الله

حاكمة تمثل في قصاته وقدره كما تمثل في شرعه وأمره - وهذه كلها سواء في كونها اسماً للعبيدة لا تقوم - ابتداء - في الصمير إلا به - كذلك هو لا يمكن أن يقوم في واقع الحياة «ديناً» إلا أن تمثل لعقيدة في مصم واقعي بالحياة هو «الدين» فتعبره شرعة الله بالهمنة على حياة الناس حملة وتفصلاً ؛ ويرأفه الحاكم والمحكوم من ادعاء حق «لأوهية» عن طريق ادعاء حق «الحاكمة» ومراولة التشريع فعلاً لما يأذن به الله ، مما يتحداه البشر لأنفسهم من أنظمة وأوضاع وتشريعات وفوائيد غير مستمدة من شريعة الله نصاً حين يوحد النص - وسجداً - في حدود المبادئ العامة حين لا يوحد النص طاعة لأمر الله سبحانه «فإن تسارعتم في شيء فردوه إلى الله ولرسول» - إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر -

ونحن لا نحدد مدلول «الدين» ولا مفهوم «إسلام» على هذا النحو من عند أنفسنا في مثل هذا الأمر الحاضر ، الذي يترتب عليه تقرير مفهوم لدين الله ؛ كما يترتب عليه

الحكم شوق «وجود» لإسلام في الأرض اليوم ؛ وإعادة النظر في دعوى مئات الملايين من الناس أنهم «مسلمون» في مثل هذا الأمر لا يجوز أن يفتي الإنسان فيما يخص الظاهر في الدنيا والآخرة جميعاً !

إن الذي يحدد مدلول الدين ؛ عن هذا النحو . «مفهوم» الإسلام ؛ هو الله - سبحانه - إنه هذا الدين ورب هذا الإسلام . ودست في خصوص قاطعة لا سبيل إلى تأويلها ولا الاحتيال عليها

«إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَقَدْ أَطَاعَهُ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» (يوسف : ٤)
«وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ نِعْمِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ عَلَىٰ تَافُؤٍ» (المائدة : ٤٩)

«وَمَنْ يَعْصِ الْحُكْمَ يَحْزَنْهُ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (المائدة : ٥)
«فَلَا وَدَّعَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتُمْ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا» (النساء : ٦٥)

«إِنَّمَا إِلَهُ الْبَنِينَ آمَنُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَعُوا أَرْسُلَ اللَّهِ وَأُوتِيَ الْأَمْرَ مِنْكُمْ فَإِنْ تَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَارْجِعُوهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ الْأَرْسُولِ ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَحَسَنٌ تَأْوِيلًا» (النساء : ٥٩)

وكلها تقر حقيقة واحدة : أنه لا إسلام ولا إيمان غير الإقرار بالحاكمية لله وحده والرجوع إليه فيما يقع عليه السارع . مما لم يرد به نص - إذ لا رأي مع نص ولا راجع . والحكم بما نزل دون سواه - في كل شؤون الحياة . وترضى بهذا بحكم رضى الله بعد الاستسلام له عمياً . وإن هذا هو «الدين القيم» وهذا هو «الإسلام» الذي أراد الله من الناس

وحيث ستعرض وجه الأرض كله اليوم - على صوت هذا التقرير لإيماني لمفهوم الدين والإسلام - لا يرى هذا الدين «وجوداً» ؛ بل هذا الوجود قد توقف منذ أن نحت آخر مجموعة من المسلمين عن إفراد الله سبحانه بالحاكمية في حياة البشر ، وذلك يوم نحت عن الحكم شرعته وحدها في كل شؤون الحياة .

ونحت أن نمر هذه الحقيقة الأليمة . وأن نجرها ، وألا نحشى حبة الأمل التي تحدث في قلوب الكثيرين الذين يحول أن يكونوا «مسلمين» هؤلاء من حشمتهم ، يستقوا كيف يكونون مسلمين !

إن أعداء هذا الدين بدؤوا طوال فروع كثيرة وما يرايون يبدلون ، جهوداً ضخمة مأكرة

حينئذ ، يستعملوا إشعاق كثير من الذين يحبون أن يكونوا مسلمين ، من وقع هذه الحقيقة مريرة ، ومن مزاحمتها في سور ! وتخرجهم كذلك من إعلان أن « وجود » هذا الدين قد توقف ، من أن تحت آخر مجموعة مسلمة في الأرض عن تحكيم شرعة الله في أمرها كله ، فتحت بذلك عن إفراد الله سبحانه بالحق كمة - [أو بالألوهية] - وهذه مرادفة لتلك ، أو لازمة لها لا تتخلف

هؤلاء الأعداء الذكروب الحثاء يستعملون ذلك الإشعاق وهذا التخرج لتحذير مشاعر لكثيرين في الأرض الذين يحبون أن يكونوا « مسلمين » وإيهامهم أنهم ما يزالون « مسلمين » فعلاً ، وأن « الإسلام بخير » ! وأن ساس يمكن أن يكونوا « مسلمين » دون أن تحكيمهم شرعة هذا الدين بل دون أن يعترفوا بالحق كمة لله وحده ، من دعاها لنفسه فقد ادعى الألوهية . وكفر ، وخرج من هذا الدين !

ولقد نبع من سجع هذا الحث أن يكتب « مستشرق » و« هرود » كما تقول سميت « كتاباً كاملاً تحت عنوان « الإسلام في العصر الحديث » هذه الأساسي هو إثبات أن « العلمانية » التركيب ، التي قام بها « أتاتورك » ، هي « إسلامية ! » بل إنها هي « الحركة الإسلامية ! » الوحيدة النجدة في تاريخ « فترة الحديث » ، وأن على « مسلمين » الذين يريدون شفاء « وجود » الإسلام أن يجدوا حيوها ، بوصفها محاولة « توحيد » الصحيحة !

كذلك نبع الحث من التسحج ، وكذلك سعي أن يخبر نحن بالحقيقة القديمة ، التي قد يشفق منها الكثيرون ممن يحبون أن يكونوا مسلمين ، ومن يخرجون أن يعدوا أن وجود هذا الدين قد توقف . لسطل « معور » « المحسر » بحيث الذي يحذر به أعداء هذا الدين محي هذا الدين ! !

ويسعي كذلك لا يخشى ما يحدثه إعلان هذه الحقيقة من حيبه أمل مريرة . فمن وثقون بعد ذلك أن « مستقبل هذا الدين » ، وأن هذا التوقف عن الوجود بل يستمر بل من بطون ! وأن جميع المقاعد التي يفتح فيها الاستعمار الصليبي والصهيوني في هذه الأرض ستعنى كما تعنى المقاعد دائماً مهما تكن ضخمة المظهر ، شديدة البريق !

إن هذا الذي لدي توقف - مؤقتاً - عن الوجود ، عميق الخدور في هذه التربة ، وهو « عمق » من هذا في تربة « مصر » ، إن اثني عشر قرناً من الوجود الإقليمي هذا الدين في الأرض لم يمكن محوها من هذه الأرض . وإن « فطرة الله » التي فطر الناس عليها من تعلبها محاولات لاستعمار الصليبي والصهيوني !

إن « مستقبل هذا الدين » في هذه لأرض التي تحمى بها وجوده الفعلي أكثر من مائتين ألف عام ، وفي غيرها من لأرض « نص » ، التي تصارع فيها « فطرة ما هو مفروض عليها من المذاهب والأنظمة والأحكام »

ذلك حاصر هذا الدين إِنْ وجوده متوقف لأنه لا يوجد إلا بالمدلول الذي رآه الله له ، وهو أن يكون هو مهيمن وحده على حياة أساس كلها وأن تتحقق به ألوهية الله - سبحانه - في الأرض تحقق هذه الألوهية في السماء أي أن تتحقق عن طريق الإبداع لتريته وأمره بحققها عن طريق قصائده وقدره تصديقاً لقول الله سبحانه وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله

وهذا هو مستقبله أمل عريض واثق في عودة هذا الدين إلى الوجود مل مسدده للوجود لتاريخي الطويل ، ويؤكد وجود «الفطري» الأصيل إلا أن هذا الأمل العريض الوثاق لا يجوز أن يقعد عن استعراض الاسباب التاريخية لذلك التوقف - الوقفي - وستعرض العقبات القائمة في وجه لوجود الفعلي واستعراض الجهود الأوبية بالارمة و لمهدة لحد الوجود الفعلي

لقد أشرنا من قبل إلى هرة التي أصاب لمجتمع المسلم وهو حديث عهد بالوجود ، وذلك بما وقع من بني أمية من تحراف عن لقمه التي كان المجتمع مستوياً عليها عن عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعهد الخلافة الراشدة . ولأن شبر إشارات سريعة إلى أهم الصدمات التي وجهت هذا الدين بعد ذلك فتبها طوائف هذه القرون

ونحن ونحن أولاه في قيام الدولة العباسية وعمادها على عناصر حديثه العهد بالإسلام . لم تخلص بين له بعد ، لما يحتل فيها من عصبية هومة لا تزال حذورها كمة ؛ فلما تقسم العهد بالدولة العباسية ركبت العناصر التي قامت عليها والتي أحدثت تسمح في الإسلام ، في عناصر أخرى قنوها علف من التردد ولشرا كسة والديهم وسود . وهكذا طلت الدولة تعتمد على عناصر مضادة لروح الإسلام . وتأثر هذه العناصر بحكم عتدها عنها فلم يكن إلا روح الإسلام مغاوماً لهذه العناصر وبسطها الدولة معها . كما نحمله من طاقة كمة ، وحيوية عظيمة

ثم كانت عروات التتار المدمرة ، التي طعت على العالم الإسلامي بمريرة متوحشة ، ثم بسث الإسلام أن طوها في تماره ، واستعفى فصارت بعض روايته ، ولكن بعد أن هزت هذا الروح الإسلامي هرة عيفة . وأثرت حتماً في أوصاعه وتضاليله إلا أن لأمه الإسلامية طلب - على لرعه من تصعصع الدولة أمام عاصفة التار - قوية منسكة الأواصر ، دائمة على أصول الدين مهما بدت عنها في بعض الخواص الرسمية الخاصة

وبسعي أن يذكر هذا أن لإمبراطورته الرومانية التي استعرق بناؤها ونموها نحو ألف عام ، تفرص وتفسح في قرن واحد نتيجة عرواب الهوى ولقنوط ، فلم يبق منها سوى

نصحه معكم وإمرات ، على حين نصبت أندونه الإسلامية فائضة في رقعته فسحة ، وهي لدولة التي لم يستعرق ساؤها سوى سيف ونصف قرب ، على الرغم من جميع النزاعات المدحية بين الأمر لحاكمية ، والصدمات الخارجية من التنازع وغير التنازع ، مما شهد بحبوبة لإسلام العظيمة في مواجعة تلك الظروف .

فإذ مصنا في تنبع لصددمات وحدها صدمة الأندلس في العرب ، بعد صدمة الحروب الصليبية في شرق وقد هرم لإسلام في الأور و انتصر في الثانيه ، ورض يعاني لعداء لوحشي من الروح الصليبية مد ذلك الحين ظاهراً ومستتراً حتى الآن .

ونكى الكارثة التي أطلقت على الإسلام إنما كانت في هذا العصر لحدث حين عبت أوروبا على العالم ومد طل الاستعمار الصليبي . وعشي العالم الإسلامي كله شرقاً وغرباً ، ورصد لقتل الروح الإسلامية كل قواه ، مستمداً دفعته من العداء الصليبي الموروث ومن انقوه المدنية وثقافته التي يحملها ، مصفاً بهما التصنيع الداخلي في قوة الأمة الإسلامية ، واستعادها روسيا رويداً في هذا المدى الطويل عن تعاليم دين ووصاياه

وفي الحديث عن العداء الصليبي ، كما في النفس الأوربة للإسلام بسمي ألا تحدد الطواهر ، وألا يستعصنا لتظاهر واحترم الحريات الدينية ، والقول بأن أور ليست متحمسة للمسيحية اليوم تحمسها إبان الحروب الصليبية ، فليس هناك ما يدفعها إلى التحمس ضد الإسلام كما كانت في تلك الأيام !

إن كل حديق وأصايل وما كان النور الذي إلا مثلاً ضمير أوربا كنه . وهو بدخل بيت المقدس في الحرب لعظمى حاصيه فيقول : اليوم فقط انتهت الحروب الصليبية ! وما كان الحاكم العام للسودان إلا مثلاً هذا الضمير ، وهو يصع كل قوى الحكومة تحت تصرف المشركين في جنوب السودان ، ويمنع أي تحر مسلم أن يمر هناك بحرد مرور وقد حدث أن موظفاً بقي في الجنوب أم طوبلا وطلب بقبه إلى الشمال فم يجب : فهدته بحيلة أن يرفع صوته بالأذان بمصلاه فكان هذا إيذاناً بقبه في العودة !

واعترا في أشد أسول لأوربية تسامحاً وإعصاء ولبقة في معاجة مسائل الأديان وقد يعجب لبعض لأن تظل هذه الروح التعصبة ضد الإسلام قوية إلى هذا الحد في الشعوب الأوربي ، بعد ما تنكرت أوربا بمسيحية . وم تعد صبيحات الحجاج والقدسين هي التي تملأ سمعها كما كانت أيام الحروب الصليبية ، ولكن هذا العجب يرو حين ننق بالننا إلى حقيقتين واقعيتين

الحقيقة الأولى : أن الشر الذي بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح ، ولكنه كان قبل كل شيء وفي مقدمه كل شيء شراً ثقافياً فقد شأ تسميم العمل الأوربي عما شوهه قادة الأوربيين من تعظيم لإسلام ومثله انعبا أمام الخموع ، الخهولة في العرب وفي

ذلك الحين استقرت بث الفكرة المصححة في عقول الأوروبيين ، من أن الإسلام دين شهوانية وعنف جنسي . وأنه تمسك بهروص شككية . وليس تركته بلقلوب ونظهيراً له ؛ ثم بقيت هذه الفكرة حيث استقرت . وفي ذلك الحين أيضاً سر الرسوب محمد بنوهم «كلي»^(١)

«لقد سرب بدور العصاة . إن حمة لصلبيين الحاهدية كان ها ديوط في أماكن كثيرة من أوروبا . فشجع ذلك بصادي الأندلس على بحرب لإيقاد بلادهم من «بير اوثيين» أ رعا ندمير «ساية المسلمة» (الأندلس) فقد فتصى قرواً كثيرة حتى تم ولد تناول امد هذا القتال على وجه الحصر . أحد الشعور ضد الإسلام في أوروبا بثت حدوده ثم بثت . ولقد انتهى باستئصال شأه العهد الإسلامي في ساية بعد اصطهاد «مع في لوحشيه والفسوه» ثم يشهد انعام قط ؛ وب كانت أصداء الفرح قد انحوت في أوروبا على إثر ذلك ، مع انعم بان السانح لبي نلته كانت العصاة على العدم والثقافة ، والتبدل بها جهن لعصور الوسطى وخشونتها .

«ولكن قبل أن يتاح لصادي هذه الحوادث أن عمت في ساية حدث حدث ثالث عظيم الأهمية . راد في فساد الصلات بين انعام بعربي ورس لاسلام ، ذلك هو سقوط القسطنطية في يد الأتراك . لقد كانت أوروبا ترى نعة من الزهر اليوناني والروماني القديم على سبريطوم (القسطنطية) وكانت سطر يها على ها حصص أوروبا ضد براربه اسيا وسقوط بقسطنطينية فتح باب أوروبا على مصراعيه بسبل الإسلامي . وفي اقرون التي تمت والتي مثلت انحوت ، لم تبقى عدوه أوروبا للإسلام قصيه ذات أهمية ثقافة فحسب بل ذات أهمية سياسة أيضاً . وهذا راد في اشتداد نك العداوة

«ومع هذا كله فإن أوروبا قد استعادت كثيراً من هذا الرع . إن «العصاة» و «جاء لقلوب ونعموم الأوروبية باستمداده» الواسع من المصادر الإسلامية والعربية على الأحص ، كانت تعمر في لأكثر إلى لاصال المادي بين الشرق والغرب . لقد استعادت أوروبا كثر مما استمد العالم الإسلامي ، ولكنها لم تعترف بهذا الخميل ، وذلك بان تنقص من بعصائها للإسلام ، بل كان الأمر على العكس . فإن تلك العصاة قد تمت مع تقديم بر من . ثم استحالت عدوه . ولقد كانت هذه العصاة تعمر اشعور لشعي كلما ذكرت كلمة «مسلم»

(١) «أورب بين صورة Mahomed وصورة Mahound» ان Ma ما . صمير ذلك للمكالم رسمير جر) و Hounu

هاوند - من هوند Hanc حرميه معي بكل . وقد كان أوثلك النايروب يتلاعيور بظهر بقطين «هوند

وماهوند» . كتاب «الإسلام على مصرى نظرى» قاليب نيويود هابس (محمد اسد) وترجمه لادكتور . عمر هروح

ولقد دحمت في الأمثال السائرة عندهم حتى برلت في قلب كل عربي وحلاً كان في امرأة
و عرب من هذا كله . أنها طلبت منه بعد جميع دور التسلسل الثقافي ثم جاء عهد الإصلاح
الديني حينما انقسمت أوروبا شعباً ؛ ووقفت كل شعبة مدحجة سلاحها في وجه كل شعبة
أخرى . ولكن العدو للإسلام كان عاماً فيها كلها بعدئذ جاء زمن ضد الشعور الديني
فيه نحو . ولكن العدو للإسلام استمر . وإن من أبرز المحققين على ذلك أن العيسوف
وانشعر الفرنسي فولتير . وهو من أبداً أعداء البصيرية وكبيستها في نفوس الناس عشر
كان في الوقت نفسه معصاً معادياً للإسلام وللرسول الإسلام . وبعد بضعة عقود جاء زمن
أحد فيه علماء العرب يدرسون الثقافات لأجنبية ويواجهونها بشيء من العصب ؛ أما فيما
يتعلق بالإسلام فإن الاحتقار للتصديقي أحد يتمس في شكل بحوث عبر معصوب في بحوثهم
العلمية ؛ وبني هذا الحلح الذي حصره التاريخ بين أوروبا والعالم الإسلامي غير معقود فوقه
بحسب . ثم أصبح احتقار الإسلام جزءاً أساسياً في التفكير الأوروبي . ولواقع أن المستشرقين
الأوليين في العصر الحديث كانوا مشيرين بصرى بسلوك في بلاد الإسلامية ، وكانت
الضرورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير
في موقف لأوروبيين من الوثنيين . غير أن هذا الاتواء العقلي قد استمر مع أن علوم الاستشراق
قد تحررت من نفوذ التشهير ، وءدق لعلوم الاستشراق هذه عصر من حملة دسنة جاهلة
تسيء توجيهها . أما تحصيل المستشرقين على الإسلام فعريرة موروثة ، وخاصة طسعية ،
تقوم على المؤثرات التي حققتها الحروب الصليبية . يمكن ما هـ من ديون في عقول الأوروبيين
الأولين

«ونقد يتساءل بعضهم فيقول كيف نتفق أن نفوراً قديماً مثل هذا - وقد كان دساً
في أساسه وممكاً في زمانه سب السيطرة الروحية للكنيسة البصيرية - يستمر في أوروبا في
زمن ليس لشعور الديني فيه إلا قصية من قصايا الماضي ؟

«ليست مثل هذه المعصلات موضع استعراب أبداً ، فيه من اشتهور في علم النفس
أن الإنسان مد عقد جميع الاعتقادات انسية التي تلقها في أثناء طفولته ، بينما تظل بعض
الحراعات الخاصة - والتي كانت من قبل تدور حول تلك الاعتقادات المهجورة - في قوتها
تتحدى كل تعليل عقلي في جميع أدوار ذلك الإنسان ، وهذه حال الأوروبيين مع الإسلام
فعلى رغم من أن لشعور الديني الذي كان السب في انشور من الإسلام قد حنى مكانه
في هذه الأناء ، لاستشراف حياة أكثر مادية ، فإن البصير القديم نفسه قد بقي عصراً من
الوعي ساطعي في عقول لأوروبيين وأما درجة هذا لنبور من القوة ، فإنها تختلف بلا شك
بين شخص وآخر ، ولكن وجوده لا ريب فيه . إن روح الحروب الصليبية - في شكل مصغر

على كل حال - ما زال تسكع فوق أوربا - ولا يزال مدينتي نقف من العدم الإسلامي مرفعة
 بحمل آثاراً واضحة لذلك الشح المستعيت في القباب^(١)
 والحقيقة الثانية أن الاستعمار لأوربي والأمريكي الصليبي لا يكتف أن يعرض من
 حسنه أن الروح الإسلامي صخره مقدمة لمد الاستعمار ؛ وأنه لا مهر من تحطيم هذه
 الصخرة أو دحرحتها على الأقل ؛ ولا غيره مما يقو به بعض المدحورين و المدحورين من أن
 أوربا لا يهملها لدين ، ولا يراه مصدر قوة - ولا تحشى من العدم الإسلامي إلا قوته المادية
 فاديين في حقيقته قوة راحية لها حسب في تحديد قوى المادية ؛ فوق أن الإسلام بالذات
 غير لمسحة ، فهو يأمر بعداد القوى المادية ويحصى على المقاومة والكفاح ، ويسر استئسجين
 واستصعبين سوء المال في الدنيا والآخرة «وَعَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ
 لِحَيْلٍ تُرْهِقُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ»^(٢) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا أَكْثَرِينَ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ»^(٣) «فَلْيَعِزِّلِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ»^(٤)
 «وَلَا تَهْزُوا وَلَا تَهَيَّؤُوا لِلَّذِينَ يَكُونُونَ أَعْدَاءَكُمْ»^(٥) «إِنْ جَسَدَكُمْ قَرَحَ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ
 قَرَحٌ مِثْلُهُ»^(٦)

فالدين قوة روحية عظيمة ودعوة إلى قوة مادية والدين صخره مقدمة ودعوة إلى
 شبه المقاومة فلا مهر للاستعمار الأوربي والأمريكي أن يكون عدوً لهذا الدين كل
 ما هناك أن مظاهر العدو تختلف بحسب أسباب كل أمة في الاستعمار ؛ ثم بحسب
 الظروف والأحوال فمرسماً مثلاً تعبها حرباً صريحة سافرة في المغرب العربي كنه على
 الإسلام باسم «الطهير البربري» أو بأي اسم آخر ويعلى ممثلوها في دمشق أنهم أصحاب
 الصليبيين جهراً ساراً واجلته تراوع فتسكت طرفها حسنة إلى معاهد التعيم في مصر لتشي
 عقبة عامة تحظر كل مقومات الحياة الإسلامية من الشريعة ، فإذا هم ها تكوين حيل من
 المعلمين بهذه العقيدة ، أطلقهم في المدارس وفي دوروس المعارف يصنعون عهلة لأحبال
 هذه الصنعة ، ويصنعون السامح والخصم مؤدية إلى تكوين هذه العقيدة ، مع المحافظة
 التامة على إبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه في الوزارة وكذلك
 يستعي عن مواجهه شعور الديني بالعدوة السافرة ، إذا ندع هذه المهمة لمرشق كبير ذي
 أثر بعيد في تكوين العهدة المصرية العامة ، ما في السودان الخو في فلا نجد حاجه إلى هذه

(٣) سورة النساء [١٤٤]

(٤) سورة النساء [٧٤]

(٥) سورة آل عمران [١٣٩ - ١٤٠]

(١) عن كتاب «الإسلام على مفرق الطرق» تأليف أبو زيد

فارس (محمداً) وترجمه الدكتور عبد العزيز

(٦) سورة الأنفال [٦]

بورية ، فتصف موقفه الذي وصفه من المشركين المسحوقين والتجار المسلمين ! وأمريكا
تقيم الأوصاف والأنظمة التي تسجن الإسلام سحقاً لكل مقوماته العقائدية والحقيقية والحركية
في جميع أنحاء العالم الإسلامي ..

وهكذا سارت كل دولة مستعمرة على طريقة في مقاومته هذا الدين وحقيقته منذ قرون
مضت وما تزال تسير على خطه متعاونة في صميمها سداً في موقف الأمم العربية من كل
قضية تواجهها فيها الإسلام من قريب أو من بعيد !

والدين يحسبون أن يهود اليهود الذي في الولايات المتحدة وسواها هو الذي يوجه العربيين
هنا لتوجيهه ، والدين يحسبون أن مطامع الإنعصاف والمكر الأغلوسكسوي هو الذي يوجه
الموقف ، والدين يحسبون أن الصراع بين لكنته الشرقية والكتلة العربية هو الذي يؤثر
كل أولئك يعملون مصراً حقيقياً في المسألة يضاف إلى هذه العناصر جميعاً : هو روح
الصليبية التي تحمها دماء العربيين والتي تدس في عقولهم ناسطاً ، مصفاً بين الحواف
الاستعماري من الروح للإسلامي ، والعمل على تحطيم قوة الإسلام ، حيث يربط العربيين
جميعاً شعور موحد ومصحة موحدة في تحطيمها . تجمع بين روسيا الشيوعية وأمريكا
الرأسمالية ولا تسي دور الصهيونية لعبة في تكدي الإسلام وتجميع القوى ضده في العالم
الاستعماري الصليبي والعالم المادي الشيوعي على السواء وهو لنور المستمر الذي فاء به
اليهود دائماً منذ هجرة الرسول إلى المدينة وقيام دولة الإسلام !

وتعجب أن روح الإسلام على الرغم من جميع هذه الصدمات التي واجهته منذ لفترة
لأولى في حياته إلى اليوم ، وعلى الرغم من معاجلة الصدمات به وتأثر ذلك في كيانه الويد ،
ثم على الرغم من عبثة الحصار العربية بيوم نفوتها بإدنه والثقافية ، بما أحال بعض من
يحمون أسماء المسلمين ذوب هدم وتحطيم للإسلام في أيدي مستعمرين وهم مستريحون !
على الرغم من هذا كله صب روح الإسلام في دماء سميعة ، وظلت صدقته الكامنة
تؤثر في مجرى انحناء الإنسانية بصفه عامة . وتأثر في صوغ لسياسات انعمية وتوجيهها منذ
أربعة عشر قرناً إلى اليوم ، فما من حركة سياسية أو حرية في العالم لم يحسب فيها بالإسلام
حساباً ، حتى في عصور الضعف والفرقة وتحتل الحياة الروحية والإجتماعية والاقتصادية
في العالم الإسلامي

ونقد انقصب فترة الحمول والاضمحلال ، وأخذ المد الإسلامي في الظهور في كل
مكان على الرغم من أنصر باب الحقيقة التي توجه إلى ضلائع البعث الإسلامي في كل مكان !
وهي مظاهر لا يمكن إغفالها ، على الحيوية الكامنة في الإسلام وعلى أن رصده بالبحر
يكفي لاستئناف حياة إسلامية جديدة . لا نقوم على مجرد الرعة والهاؤب . بل على أسس
عملية وواقعية كدست صهره لنعد ، هي اليوم في دور التجمع والاستعداد على الرغم مما

يسو أحياناً من عوامل المقاومة والانتكاس . فما هي إلا فقاعات نفقع ، و سحابة صيف
تتفجع !

ولكسي على الرغم من إيماني مطلقاً بحتمية استئناف الحياة الإسلامية في لعالم
الإسلامي ، واستعداد الإسلام لأن يكون نظاماً عالمياً - لا محيياً - في المستقبل . فربي
لا أحب أن أندفع وراء خيال جامح ، فأقرر أن هذا سهل ميسور !

كلا فهناك عراقيل شتى وصحمة ، كما أن هذا أعمالاً عظيمة يجب أن تم قبل أن
يصبح استئناف الحياة الإسلامية الصحيحة ميسوراً في المجتمع الإسلامي ذاته . ونقدبر
تلك العراقيل الصحيحة ، ونلتصق في هذه الأعمال الواحة أمر يوحه الشعور الحقيقي بمظمة
الغاية التي سبقت . ونشغل النبعة التي تنتظر من ينهض هذه غاية

ونسكن بكفي أن نبعث لمرء بالصيحة المدونة في حماسة هائلة ، ليصبح لأمن واقعاً
والرجاء حقيقة . إن لم نقدر كل لعقبات وكل لتعات . وسبه من نبعث إليهم نصحتة إلى
المجدد الصحيح الذي يطلب إليهم أن يدلوه

وطسمي أن نخرج المسافة بين سياسة الحكم وروح الإسلام فترة طويلة من الزمان ،
بجعل العودة إلى السياسة مستمدة من هذا الروح صعب ، لأن جهار الدولة والمجتمع ،
وقواعد الحياة بكل مقوماتها ، والأصحاء لهنسي ونعقلي . كلها تقوم على أسس معينة يصعب
تغييرها قبل بذل جهود صحمة طويلة . وكما امتد الزمن رادت هذه الصعوبة ، واحتاجت
إلى جهود أصحح وطول

ثم بصاف إلى عامل الزمن الطويل عامل آخر حاصر ، وهو أننا لا نعيش في هذا لعالم
وحدنا . ولا نعيش كدنت في عزلة عنه . وتشتبك مصالحنا وقصائدنا مع هذا لعالم الذي
سطر عليه حصارة معينة ، دنت عقبة منقصة تماماً بعملية الإسلام - كما سبين فيما بعد -
بجعل خطوات في سبيل استئناف حياة إسلامية صحيحة . خطوات بطيئة من جهة ، ورات
تكاليف غلنا من جهة أخرى

ونمد يزيد هذا العامل الأخير أهمية . أن هذا لعالم العربي الذي تشتبك مصالحنا معه
قوى من في الوقت الحاضر ، وليست لنا لسيطرة عليه أو القوة المكافئة لقوته كما كنا في
أول عهد لإسلام ؛ ثم هو في لوقت ذاته عدو لنا ، وعدو لدين بوجه خاص . لذلك لن
يدعنا شئ نظاماً إسلامياً من جديد ، وستأنف حياة إسلامية صحيحة . ما لم نبدل جهوداً
مصاعمة ، كان يمكن الاقتصاد فيها لو كانت لنا لسيطرة على العلم العربي أو القوة المكافئة
لقوته ، أو لو كان هو صديداً لنا ، وندبنا الذي نريد العودة إليه

إلا أن هذا كله لا يعني أن العودة إلى النظام الإسلامي مستحيلة . وكل ما يعنيه عمل
مسير صحح ، في حاسة إلى جهود غير عادية ، وقبل كل شيء في حاسة إلى حماسة في

الإيمان به ، وحرية في اقتحام العقبات لمصودة في طريقه ، وصبر على الجهد شاق الوحد
به ، وثقة في ضرورته لعالم لإسلامي وسعاً لإسائي كله ، وعفوية بشائية متكررة ليس
وطيفتها مجرد ترفيع الوقع ، بل بشاء واقع حديد كامل غير مرقع
ولعبه من الحقائق ذات القيمة في هذا المحاب . أن يشير إلى أن الحصار العربية الراهنة
قد قادت لعالم إلى حروب شامتين خلال ربع قرن ، كما قادت بعد الحرب الثانية إلى انقسام
بين نكتتين الشرية والعربية . وإلى مهدد دائم بحرب ثالثة ، وإلى اضطراب في كل
مكان . وإلى جوع وعري ونؤس في ثلاثة أرباع المعمورة . وأن النظم العالمي كله اليوم في
حالة تحليل واضطرب وبحث عن أسس جديدة ، وتنقيب عن رادروحي يرد إلى الإنسانية
نقبة من الإنسانية

ولا سعي مع هذا - أن تتعامل أكثر مما يجب باستعداد عدم العربي بقبول أسس
حصارنا الإسلامية ، فهذا موضوع آخر . نعم إن رجلاً كهذا قد شو يقول أن لعالم
العربي قد جد يتجه هذا الاتجاه ، ويسأله في الطريق إليه يقول
« لقد تسأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوربا عدداً ، وهو قد بدأ يكون مقبولاً
لديها اليوم . لقد عمد رجال الإكبروس في العصور الوسطى إلى تصوير الإسلام في حدث
لأنوار ، ودلت بسب الخهل أو بسب التعصب بدمهم . والواقع أنهم كانوا يسرفون في
كراهية محمد وكراهية دينه ويعيدونه حصياً للمسيح . أما أنا فأرى وجباً أن يدعى محمد
مفتد لإسانية ، وأعتقد أن رجلاً مثله إذا بولى رعامه عام الحديث لنجح في حل مشكلاته .
وأحل في لعالم السلام والسعادة . وما أشد حاجة النعم إليهما !

« لقد أدرك مفكرون مصنفون قاموا في القرن التاسع عشر ، ما لدين محمد من قيمة
دينية من هؤلاء كـ بيل وجوته ، وحبر . ذلك حدث تحول صريح في موقف
أوربا من الإسلام . وقد تقدمت أوربا تقدماً كبيراً في هذا القرن المنتم العشرين ، وبدأت
تحب عقيدة محمد . ولعلها تذهب في القرن الثاني إلى بعد من ذلك فتعترف بتدري هذه
العقيدة لحل مشاكلها . وقد دان كثيرون من قومي ومن أهل أوربا دين محمد في الحاضر
وهذا يحب قادري على أن يقول إن تحول أوربا إلى الإسلام قد بدأ »

ولكن يرى أن بوعزة يرد شو لا نزل مجرد بوعزة - إن لم تكن محسرة لشعور المسلمين
ليصمتوا ويتظنوا اعتناق الأوربيين ليسيم ! وعلى كل حال فإن انتظار تحققها سابق
على الأقل لأراه ليسين رئيسيين :

ولهما هو هذا العداء لموروث الإسلام في أعماق الطبيعة الأوربية ولأمريكه ، والذي

(١) عن كتاب « حياة محمد » شكل نقلاً عن مجلة نور الإسلام عدد ٤٠ من ٥٧٢٠ سنة ١٣٥٢ هـ

بعديه في العصر الحديث تعارض مصححة الاستعمار العربي وشرقي مع وجود هذه العقبة في طريقه .

وثانيهما أن العقيدة الأوربية تأصلت على أسس مادية ، أثر الفكرة الروحية فيها صئيل ، مدد الحاضرة الرومانية إلى العصر الحديث . وهذا القوم يحتاج إلى تفصيل لا تقتصر مائته على دلالة في هذا الموضع ، بل تمتد إلى الإجابة على هذا السؤال : هل يمكن أن تتعاون الحضارة الإسلامية والحضارة العربية ؟ وما حدود هذا التعاون ؟

نقدت في أوائل هذا الكتاب أن أوروبا لم تكن مسيحية في يوم من الأيام . وذلك بسبب أن طبيعة الصرع فيها على رقعة من الأرض صغيرة صسة ، جعلت مادي المسحة السمحة لا تمتد حدودها في تلك التربة العسنة ، وذلك فوق ما في طسعه المسحة من زهد وعدم احتمال بالحياة الدني . فالآن نصيف إلى هذين العاملين عاملاً ثالثاً أثراً إليه هناك إشارة عابرة ، وهو وجود الإمبراطورية الرومانية العريقة في طريق مسيحية ، وبقاء بعض الإمبراطورية أساساً للحضارة الأوربية الحديثة . على الرغم من انتقال المسيحية إليها ، بدلت هذه على هامش الحياة .

ونقتطف ما فقرت من كتاب « الإسلام على مفترق الطرق » نجد فيها الكفاية وبعاء « كانت الفكرة التي تقوم عليها الإمبراطورية الرومانية الاحتياج للهوية ، واستغلال الاقوام الآخرين لهائده الوطن الأم وحده . وفي سبيل الترفيه عن فئة متمترة لم ير الرومانيون في ضمهم سوءاً ، ولا في ظلمهم انحطاطاً . وإن « العدد الروماني » الشهير كان عدلاً برومانيين وحدهم . ومن الذين أنتموها كهدا كان ممكناً فقط على أسس إدراك مادي خاص للحياة والحضرة : إدراك مادي هديه على التأكيد فوق فكري ولكنه على كل حال بعيد عن جمع القيم الروحية . إن الرومانيين في الحقيقة لم يعرفوا الدين : وإن فهم التقليدية لم تكن سوى محاكاة شاحنة للحرفات انبوابية . لقد كانت أشد سكت عن وجوده حطاً للعرف الاجتماعي ، ولم يكن يسمح له قط بالتدخل في أمور الحياة الحقيقية : بل كان عليها أن سطق بالحرر على أسس عرافية إذا سثلت مثل ذلك ، ولكن لم يكن ينتظر منها أن تسمح لشرايع خلقية !

« تلك كانت التربة التي عمت فيها المدينة العربية الحديثة . ولقد عمت بلا شك مؤثرات أخرى كثيرة في بناء تطورها ، ثم إنها بطبيعة الحال قد بدلت وحورت في ذلك الإرث لثقافي الذي ورثه عن رومية في أكثر من ناحية واحدة . ولكن الحقيقة اسقية ن كل ما هو اليوم حصفي في الاستشرف العربي سحيه والأحلاق يرجع للمدينة الرومانية . وكما أن الحو الفكري والاجتماعي في رومية القديمة كان معاً نحتاً ولا ديباً . لا على الاقتراض

من الحقيقة - وكذلك هو الحق في العرب الحديث - ومن غير أن يكون لدى الأوربي برهان على بطلان الدين المطلق ، ومن غير أن سلم بالحاجة لمثل هذا البرهان . يرى التفكير الأوربي الحديث - فيما هو يتسامح بالدين وحيداً يركم - أنه عرف اجتماعي - برك ، على عموم ، الأخلاق المطلقة خارج نطاق الاعتبارات العملية . إن المدينة العربية لا تمجد الله البتة ، ولكنها لا ترى محلاً ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي . لقد اضطعت مصيلة من المعبر الفكري في الإنسان ، أي من عجزه عن الإحاطة بمجموع الحياة . وهكذا يميل الأوربي الحديث إلى أن يسبب الأهوية العمية فقط إلى تلك الأفكار التي تقع في نطاق عموم التحريية وتلك التي ينتظر منها على الأقل أن تؤثر في صلات الإنسان الاجتماعية بطريقة مدروسة . وما أن قصة وجود الله لا تقع تحت هذا الوجه ولا تحت ذلك ، فإن العقل الأوربي يميل بداءة إلى إسقاط «الله» من دائره الاعتبارات العملية !

«وهنا معرض سؤال كيف يمكن هذا الاتجاه أن يتفق وطريقة التفكير المسيحي ؟» ليست النصرانية - المفروص فيها أن تكون هيكل الروحي للمدينة العربية - عقيدة منسبة على الأخلاق المطلقة كما هي الحال في الإسلام ؟ لا شك في أنها كذلك ولكن حينئذ لا يمكن أن يكون ثمة حظ فاح من أن تعتبر أن اسدية لعربية الحديثة نتاج النصرانية . إن الأسس الفكرية الحقيقية في العرب يجب أن تطلب في فهم الرومانيين لقلعاء للحياة على أنها قصة منعه حالية من كل استشراف مطلق ، ويمكن التعبير عنها كما يلي : «ما أما لا يعرف شيئاً معيلاً - من طرق الاحترار العلمي والتفكير في الحساب - لا عن أصل الحياة الإنسانية ولا عن مصيرها بعد موت الجسد» فإن من الحير لما أن يحصر قواماً في وجوده بمكانا المادي والفكري . من غير أن يسمح لأنفسها بأن تنقيد بالأخلاق المطلقة ولقصداً الأدبية لمسية على دعاوى تتحدى الأدلة العلمية . فلا ريب إذن في أن هذا الاتجاه الذي تتميز به المدينة العربية الحديثة ، لا نجد قولاً في التفكير الديني المسيحي كما لا نجد قولاً في الإسلام أو في كل دين آخر ، وذلك لأنه لا ديني في جوهره . وهكذا تكون نسبة نتائج المدينة العربية الحديثة إلى النصرانية خطأ تاريخياً عظيماً . إن النصرانية ساهمت في جزء يسير جداً من الرقي المعنى المادي الذي هاق به العرب ، في مدينته الحاضرة ، كل ما سواه . وفي الحق أن ذلك التناح قد برر من كتماح أورب المتناول للكنيسة المسيحية ولاستشرافها للحياة . ثم إن للنصرانية اليوم في نظر السواد الأعظم معنى شكلياً فقط كما كانت حال آفة رومية ، تلك الآلهة التي لم يكن يسمح لها ، ولا ينتظر منها ، أن يكون لها جهود حقيقية على المجتمع . ولا ريب في أنه لا يزال في العرب أفراد عديدين يشعرون ويذكرون على أسلوب ديني ، ويسندون جهود القاطن حتى يوفقوا بين معتقد بهم وبين روح حصارهم ، ولكن هؤلاء شواد فقط ، إن الأوربي العادي - سواء عليه أكان ديمقراطياً أم فاشياً أم ملشياً ،

صانعاً أم مفكراً - يعرف ديناً إيجابياً واحداً هو التعبد بلقي المادي ، أي الاعتقاد بأن ليس في الحياة هدف آخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر ، أو كما يقول التعبير اندارج - «علية من ظم الطبيعة» إن هي كل هذه الدبابه إنما هي لمصانع العظيمة ودور ليسها والمختبرات الكيماوية وساحات الرقص وإنما كن تولد لكهرباء ، وأما كهنة هذه الدبابة بهم الصبارفة والمهندسون وكواكب اسيميا وقادة لصاعحات وأنطال الطيرن . وإن النتيجة التي لا مفر منها في هذه الحال هي الكدح للوع القوة والمسرة ، وذلك يحقق حصصات متخاصمة مدحمة بالسلاح ، ومصصمة على أن يصي بعضها بعضاً حيناً تتصادم مصاصحها المتفدنة . أما على لحاب الثقافي فتشيجة ذلك خلق نوع شرعي تنحصر هسفته الأخلاقية في مسائل الفائدة العملية ، ويكون أسمى عارق لديه بين الخير والشر إنما هو التخدم المادي . انتهى

والخلاصة لهذا كله أن الصمير الأوربي الحالي ليس على استعداد لاستشعار روح الإسلام ولاستعانة به في حل مشكلات الإنسانية . وإن يكن ذلك ليس مستحيلاً بعد عدة انقلابات وتطورات أخرى ، وبعد أن يبدأ العام الإسلامي دنه في استشعار حياة إسلاميه واصحة اعالم ، مستفنة الأسس ، يجد في العرب لواقعي التفكير ، حقائق عممية قائمة تجذب حسه ، وتغلب تفكيره . وإن كان اعتقادي الحاص أن أجيالاً متطاونة متقصي قبل أن يستطع العرب استشعار روح الإسلام على نحو من الأنحاء .
والخلاصة بهذا كله كذلك أن أسلوب التفكير الإسلامي القائم على العبادات الحممية للأعمال ، لا يستطيع الائتماء بأسلوب التفكير العربي الحاصر القائم على العايب المعية للأخلاق ؛ وهذا ما يجب علية أن يحسب حسابه ، ونحن نعمل لتحقيق حياة إسلامية سليمة ، فلا نحاول ترفيع هذه الحياة باستعارات ستوردها من الخارج ، لأن هذه الترفيع لن تستقيم مع مسيج تفكيرنا الأصيل

واندين يريدون من أصحاب الدعوة إلى الإسلام أن يستعبروا ماصح الفكر العربية يسلمون بطريقة مد الحولة الأولى حين يحاولون تجديد حياتهم باستعارة الطرق العربية في التفكير والحة وانسوك ، وستهون إلى وأد الحاة التي يعملون لإحيائها ، لأنهم مد الخطوة الأولى يعدلون عن طريقها الطبيعي الوحيد ، وهو أن يفكروا على أسس إسلامية تجعل العصر الأخلاقي أصيلاً في ساء الحياة ، وتنظر للعايب الحقيقي للعمل ، ولا تحمل لخصمه هي العاية انعليا للأخلاق

ولقد رأينا في لفصول الأولى من هذا الكتاب ، أن لإسلام يحقق عايات الحياة الصالحة كلها ، وهو يحافظ على العصر لأخلاقي فيه ؛ وأن قيمة الحركة لكبرى كمنة في أنه لا تحري الحياة ؛ ولا يفصل بين الوسائل والعايات ؛ ولا يصرص لتعارض بين المادي والروحي

في كيان الحياة وفي طبيعته لكونه وليس ، بل يحرص أن الحياة وحدة كلية ، تسير بحملها نحو هذه الأهداف في توافق وانساق

يقدم لإسلام إبداء لشرعية فكرة كاملة عن الحياة هذه لفكرة قابلة دائماً للسمو في التفرع والتطبيق ، ولكنها غير قابلة لتعديل أو الترحيل في الأصل أو الاتجاه ويجب لكي تؤتي هذه الفكرة لكامة نتائجها الطبيعية كاملة ، أن تطبق تطبيقاً كاملاً ، وإلا فإن أقل تعديل في أساس واتجاهها يحدث فيها إحلالاً ، لا تتحقق معه صورة الحياة التي يرسمها الإسلام

أما السور الدائم في التفرع والتطبيق على أساس الفكرة الكلية فهو أمر طبعي تقره طبيعته الإسلام ، ويدعو إليه ، وتبهي له وسائله ، ويعترف بها فلاحتداد مفتوح دائماً ، وبسلطات الواسعة المتروكة للإمام الذي يحكم بشريعة الله كل هذه وسائل حبة لاستمرار السمو في التفرع والتطبيق مسيرة حركة الحياة ، وتبني حاجاتها المتحددة أمر واحد هو الذي يحث التزاهي ألا تخرج هذه التفرعات والتطبيقات على الأصول الأساسية للإسلام ، وألا تسنك اتجاهها غير اتجاهه ، أو تحتال على روح الإسلام وتتسبب بروح أخرى غير روحه القوية المستقيمة .

وعليه يقوم المجتمع المسلم بالفعل ، فيكون المحام مفتوحاً للاحتداد ولتطبيق شرائع هذا الدين على هذا المجتمع . وسيكون مدر قبولنا لأي تفرع أو رده ، أن يحرصه على فكره الإسلام الأساسية وروحه العامة ، في وافق فكره وروحه قبلناه ، وما حقيقها وفحصه ، على أن يكون مقررراً في معوسنا إلى درجة الإيمان والحماسة أننا نملك تصوراً عن الحياة نذكر به نملك أتباع أي دين أو فلسفة أو حضارة ، لأنه من صبح الله حقائق الحياة ولكن هذا كلام يحمل يحتاج إلى تفصيل الوسائل بعمية لنوع هذا المذهب العظيم فعلى بركة الله إذن نحد في هذا التفصيل

* * *

إن استئناف حياة إسلامية لا يتم بمجرد وضع تشريعات وقوانين وبظم مستمدة من الشريعة الإسلامية ؛ فهذا ركن واحد من ركنين يعتمد عليهما لإسلام دائماً في إقامة الحياة ، وهو الركن الثاني لا الأول أما الركن الأول ، فهو العقيدة الصحيحة التي تفرده الله سبحانه بالألوهية ومن ثم تفرده بالحاكمية ونكر على غير الله أن يدعي حق الألوهية ، بادعاء حق الحاكمية ومزادونه فعلاً

أما العدااة الإحيائية فهي جزء من تلك الحياة الإسلامية لا يتحقق كاملاً إلا بتحقيق تلك الحياة ، ولا يكفل له اسقام إلا بإقامتها على أساسها الوطيدة ، شأنها في ذلك شأن كل

نظام آخر ، لا بد أن يعتمد على الإيمان به والثقة بصلاحيته ؛ وإلا فقد أسسه لمعوبة ، وقام على القهر التشريعي والطغي وحده ؛ وهو قهر عمره مرهون بالفسرة على التملص منه . لذلك كان التشريع الإسلامي أدبى إلى لاتباع والطاعة لأنه يعتمد على عقيدة دينة ولذلك أيضاً يجب أن تكون نقطة البدء هي استحياء هذه العقيدة ، ونهى ما عنى بها من تحريمات وتاويلات وشبهات ، لتكون سداً لسطم لتشريعى الذى يشير به لتحقيق حياة إسلامية صحيحة . وذلك تقوم هذه الحياة - حين نقوم - على التشريع والتوجيه ، وسيلتي الإسلام الأساسيتين في تحقيق أهدافه جميعاً

يجب إذن أن نعيد بناء العقيدة الإسلامية على الأسس التي بناها في مطلع هذا الفصل في موس الأفراد والجماعات قبل أن نذكر في موضوع التشريع الإسلامي الذي ينظم الحياة

ولكن كيف ينبغي ب أن يكون عقيدة إسلامية بضافة ، ووسائل تربية : وعرف هكير ، هي في صميمها عربية ، وهي في صميمها معادية للمكرة الإسلامية أولاً لأنها تقوم على أساس مادي منهض بمكرة الإسلام عن الحياة ثانياً لأن محاربة الإسلام جزء أصيل في تكوينها ، سوء ظهر هذا لقصد واضحاً أو توارى في الشايب والشعاب ؟

إننا كما قلت نعلن هريمنا منذ الحولة الأولى إذا نحن اتخذنا المكرة العربية وسيتنا لإحياء المكرة الإسلامية فلا بد أولاً من التخلص من طريقة التفكير العربية ، ولا بد من اتخاذ طريقة تفكير إسلامية دائية ؛ لنصنع أن يحى انتاح حاصلاً غير هجين . إن مدبول « الحاكمة » في التصور الإسلامي لا يحصر في قصية تلي شريعة الحكم والتحاكم إياها ومن ثم لا تمثل العودية لله وحده في محرد تلي الشريعة منه وحده ، والتحاكم إلى هذه الشريعة وحدها متى قصروا الشريعة على معنى أصول الحكم وقوانينه . فإن هذا بدوره لا يمثل مدبول « الشريعة » في التصور الإسلامي ١

إن شريعة الله تمنى كل ما شرعه الله بتنظيم الحياة الشرية وهذا يمثل في أصول الاعتقاد وأصول الحكم ؛ وأصول السلوك ، وأصول المعرفة . يتمثل في للعقيدة والتصور وكل مقدمات هذا التصور ويتمثل في الأحكام التشريعية ويتمثل في قواعد الأخلاق والسلوك ويتمثل في القيم وموازين التي تسود لمجتمع . ونقوم بها الأشخاص والأشياء والأحداث . ثم يتمثل في المعرفة بكل جرسها وفي أصول انشط الفكرى والفنى حمة وفي هذا كله لا بد من التناقي عن الله ؛ كانتلقي في الأحكام التشريعية سواء سواء

والأمر في الحاكمة - في جانب المحتص بالحكم والقانون - قد يكون الآن مفهوماً بعد الذي سبقناه بشأنه من تقريرات . ولأمر في قواعد لأخلاق والسلوك قد يكون مفهوماً أن

يرجع فيها إلى أصول التصور الإسلامي جملة ، وإلى ما ورد عنها في كتاب الله وسنة رسوله مفصلاً ، ولأمر في القيم والمواري التي تسود المجتمع ، ويقوم بها الأشخاص والأشياء والأحداث ، قد يكون كذلك مفهومها إلى حد ما ، إذ إن القيم السائدة في مجتمع ما ، ترجع مباشرة إلى التصور السائد فيه للوجود ، وبالعلاقات القائمة بين الوجود وحالته ، والعلاقات القائمة بين أطراف هذا الوجود ، وإلى لأهداف والغايات التي يهرس ذلك لتصويرها أهداف هذا المجتمع ، أو أنها الغاية من الوجود الإنساني جملة ..

وعلى سبيل المثال فإن غاية الوجود الإنساني في التصور الإسلامي هي عبادة الله - أي العبودية له وحده ولتحرر من عبادة العباد - ووظيفته هي الخلافة في الأرض عن الله ، واستغلال حقائقها ومسحراتها وأقوتها ، والتركيب فيها والتحسين ، وتنبيه الحياة وترقيتها بالإبداع المادي ، في ظل مسج الله وفي حدوده ، ليرتفع الإنسان في الحياة المادية إلى الاستمتاع برية الله التي أخرج عبده والطيبات من الرق ، ويرتفع في حياته الروحية لمطافه من الضغوط مادية . ومقاس التفاضل في الحدة في التصور الإسلامي هو التقوى . فإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وعلى أساس التقوى تقوم كل الأخلاق الإسلامية وكل قواعد السلوك هاتقوى تشع عن تمثّل ألوهية الله وعبودية الإنسان وتشعّ المشاعر التي يقوم عليها لأخلاق كنه . وقد تحدثنا من قبل عن هذه المقدمات ولكننا نذكرها لندل على أن للإسلام قيمة الخاصة وهي تتلقى من ذات المصدر الذي تتلقى منه لعقيدة ، ولا تتلقى من مصدر آخر لأنها من مقتضى لعبودية لألوهية الله وحده . وهي بعض معاني «شريعة الله» في مدلولها الحقيقي ، الذي لا يحصر في المدلول المتداول لكلمة الشريعة

ومن ثم فإن أصول الاعتماد والتصو ، وأصول الأخلاق والسلوك ، وأصول القيم والمواري التي تسود حياة المجتمع - بحمتها - لا ينشأها المسلم من أي مصدر آخر ، لا المصدر الرمزي والأمر في هذا التلقي هو أمر العقيدة هاتقوى من غير الله فيه سابع لأصل لاعتراض «عبودية إنسانة للألوهة المصدرة» شأنه شأن التلقي في الشرائع القانونية ، الذي أسلمنا حكم الله فيه .

ليست هناك أخلاق زرعية ، وأخلاق صناعية ، وليست هناك قيم خاصة بالمجتمع الزراعي . وقيم خاصة بالمجتمع الصناعي ليست هناك أخلاق للمجتمع البرجوازي ، وأخلاق للمجتمع الصعاليك (بروليتاريه) وليست هناك قيم للمجتمع البرجوازي وقيم للمجتمع الصعاليك . ليست هناك أخلاق رأسمالية وأخلاق اشتراكية ولا قيم رأسمالية وقيم اشتراكية . إنما هناك فقط أخلاق إسلامية وأخلاق جاهلية وقيم إسلامية وقيم جاهلية هناك قيم وأخلاق تنشق من تصور أن هناك ألوهة واحدة ، وعبودية شاملة لكل شيء وكل حي . وأخلاق وقيم تنشق من تعدد لأرباب - في شتى صور الوثنية - وتعرف الصمير

الشري وتغرق الحياة الشريعة بين الأرباب المتفرقة ١ هنالك أخلاق وقيم تنشق من التصور الإسلامي للوجود ، ولعلاقته بمحيطه ، ولمركز الإنسان في هذا الوجود ، ولعناية وجوده ووظيفته ، ووسع ارتباطاته وعلاقاته بالكون المادي وبالأحياء وبشيء حسه كذلك ، وعلاقة هؤلاء جميعاً بالله وأخلاق وقيم تنشق من التصورات الجاهلية في شتى أشكالها وصورها والتصورات الجاهلية هي كل ما عدا التصور الإسلامي . وهي السبل المتفرقة التي لا تنتقي بصراط الله الواحد - كما يسه هو في كتابه لا كما بصورة الناس بأهوائهم - ومن ثم لا تصل إلى الله أبداً !

والأوصاف الاجتماعية تحملها ، والأوصاف الساسة تحملها ، والأوصاف الاقتصادية يحملها .. هي مروج عن التصور الاعتقادي ، وتطبيق واقعي للقيم المشتقة من هذا التصور . ومن ثم فالثقل فيها كلها لا يجوز أن يكون له مصدر آخر غير مصدر التصور الإسلامي أو غير مصدر الشريعة الإسلامية - بمدلولها الحقيقي الذي لا يحصر في المدلول المتداول لكلمة الشريعة والتلقي فيها عن المصدر الرمائي وحده ، هو مقتضى الإقرار بالعبودية الشاملة للألوهية المتعردة والشأن فيه شأن التلقي في الأحكام القانونية التي يحصر فيها مدلول « الشريعة » المتداول ١ ويدور حولها معنى « الحاكمية » المتداول كذلك والشريعة تشمل نطاقاً والحاكمية أوسع مدى من هذا المدلول المتداول !

على أن هذا كله قد يكون مفهوماً شيئاً ما ولا يكون الحديث فيه هنا مستنداً ، ولا عربياً عن قراء مثل هذه البحوث وإن كان ينبغي التأكيد على أن الأمر في هذه الشؤون كلها هو أمر لعقيدة فهو يتعلق مباشرة بالإقرار أو عدم الإقرار بالعبودية الشاملة للألوهية المتعردة .

أما الأمر الذي قد يكون غريباً بعض الشيء فهو الرجوع في شأن النشاط الفعلي ، والنشاط الفكري ، والنشاط العلمي إلى التصور الإسلامي ، وإلى مصدره الرمائي باعتباره أن هذا الشأن يتعلق بالعبادة . ومن مقتضيات الاعتراف بالعبودية الشاملة للألوهية المتعردة !

وفي النشاط الفعلي صدر كتاب كامل يتخصص ببيان هذه القضية باعتباره أن النشاط الفعلي كله ، هو تعبير إنساني عن تصورات الإنسان وانفعالاته واستجاباته وبوجهاته . وهذه كلها يحكمها - بل يبتشها - في النفس المسماة تصورها الإسلامي شموله بكل جوانب الكون والنفس والحياة ، وعلاقتها بدرئ الكون والنفس والحياة وتصورها خاصة لتحقيق هذا الإنسان ومركزه في الكون وعناية وجوده ووظيفته وقيم حياته وكيفية منصمته في التصور الإسلامي الذي سس هو مجرد تصور فكري إنما هو تصور اعتقادي صرح

مؤثر فعال دافع مسطر على كل انبعاث في الكون الإنساني^(١) وستحدث عن هذه المسألة هنا باختصار في الفقرات التالية في هذا الفصل

فإن قضية النشاط الفكري والعلمي ، وصورته رد هذا النشاط إلى التصور الإسلامي ومصدره الرباني حقيقة للإقرار بعبودية الشئمة بالألوهة المنفردة أي تحقيقاً لإسلام مسلم من ناحية العقيدة فهذه هي القضية التي قد تقتضي ما يربأ كاملاً لأنها قد تكون - بالقياس إلى نراء هذا عصر حتى المسمين منهم ، الذين يرون حتمية رد الح كعية والتشريع لله لتتحقق صفة الإسلام والإيمان - غريبة أو غير مطروقة

إن المسلم لا يبحث أن يتلقى في أمر يختص بالعقيدة والتصور العام للوجود ، أو يختص بعبادة ، أو يختص بالخلق ، أو يختص بالنظم والموازين التي تحكم في المجتمع ، أو يختص بالمبادئ والأصول في النظم السياسي والاقتصادي أو الاجتماعي ، أو يختص بتفسير بواطن النشاط الإنساني وحركة تاريخه إلا من ذلك المصدر الرباني ولا يتلقى في هذا إلا عن مسم يثق في دينه وتقواه ، ومزاولة لعقيدته في الحياة

ولكن المسلم يملك أن يتلقى في العلوم سحته ، كالكيمياء والطب والأحياء والفلك والصناعة والزراعة وطرق الإدارة - من الناحية الفنية لإدارته أنجته - وطرق العمل من هذه الناحية كذلك ، وطرق الحرب والقتال من هذا الجانب أيضاً إلى آخر ما يشه هذا النشاط يمكن أن يتلقى في هذا كله عن المسم وغير المسم ، وإن كان لأصل في المجتمع لمسلم حين يقوم أن يسعى لتوفير الكفاءات في هذه الحقول كما باعتباره فروع كفية ، يجب أن تخصص فيها أفراد متفقط عن الدين ، ولا أتم لمجتمع كنه إذا لم يوفر هذه الكفاءات ولم يوفر لها الجو الذي تتكون فيه ونعيش وتعمل وتنتج ولكن إلى أن يتحقق هذا فإن للفرد المسم أن يتلقى في هذه العلوم السحة وتطبيقاتها العمسة من المسم وغير المسم ، وأن يتمتع فيها عهد المسم وغير المسلم ، وأن يشغل فيها مسلم وغير المسلم لأنها من الشؤون الدخلة في قول لرسول - صلى الله عليه وسلم - « أتم أعلم بأمور دياركم » وهي لا تتعلق بتكوين تصور المسلم عن النجاة والكون والإنسان وعناية وجوده ، وحقيقته وظيفته ، ونوع ارتباطاته بالوجود من حوله ، وبحال الوجود كله ولا تتعلق بالمبادئ والشرائع والأنظمة والأوضاع التي تنظم حياته أفراداً وجماعات ومن ثم فلا خطر فيها على ريع عقيدته ، وارتدده إلى الخهية !

فما يتعلق بتفسير النشاط الإنساني كنه أفراداً ومجتمعات - وهو يتعلق بالنظرة إلى « نفس » الإنسان ، « وحركة تاريخه » ، وما يختص بتفسير شأن هذا الكون ، وشدة

(١) كتاب « منهج الفئ الإسلامي » محمد عطف

هذه الحياة ونشأة هذا الإنسان ، من ناحية ما وراء الطبيعة (وهو ما لا تتعلق به العلوم البحتة من كيمياء وطبيعة وفلك وأحياء وطب الخ) فالشأن فيه شأن الشرائع القنونية والسادى ولأصول التي تنظم حياته ونشاطه مرتبطة بالعقيدة فلا يجوز لمسلم أن يتلقى فيه إلا عن مسلم ، يثق في دينه وتقواه ، ويعلم أنه يتلقى في هذا كله عن الله . والمهم أن يربط هذا في حس المسلم بأمر عقيدته . وأن يعلم أن هذا مقتضى عبوديته لله وحده . أي مقتضى إسلامه !

به قد يقرأ كل آثار النشأة الجاهلي ولكن لا يكون منه تصوُّره في هذه الشؤون ، كما يعرف كيف تتصرف الجمعية ، ويعرف كيف يصحح هذه الانحرافات البشرية بردها إلى مقومات التصور الإسلامي

إن اتجاهات الفلسفة حملتها واتجاهات تفسير لتأريخ الإنسان حملتها واتجاهات علم النفس حملتها (فيما عدا بعض الملاحظات والمشاهدات دون تفسيراتها العامة) ومباحث الأخلاق حملتها . واتجاهات دراسة لأدب المقارنة حملتها . واتجاهات التفسيرات الاجتماعية حملتها (فيما عدا الإحصاءات والمعلومات المباشرة . لا النتائج العامة المستخلصة منها) . إن هذه الاتجاهات كلها في الفكر الجاهلي غير الإسلامي قديماً وحديثاً متأثرة تأثيراً مباشراً بتصورات جاهلية وقائمة على هذه التصورات ، ومعظمها - إن لم تكن كلها - تنصم في أصولها للمهجة عداً ظاهراً أو خفياً بتصور الديني حمئة ، وللتصور الإسلامي على وجه الخصوص !

والأمر في هذه الألوان من النشاط الفكري والعلمي ليس كالأمر في علوم الكيمياء والطبيعة والفلك ولأحياء والطب وما إليها .. ما دامت في حدود التجربة الواقعية ، وتسجيل نتائج لواقعية دون محاورتها إلى التفسير العنسي في صورة من صوره . وذلك كتشاور «الداروين» مثلاً بجانب إثبات المشاهدات وترتيب في علم الأحياء إلى محال القول - بدون دليل وبدون حجة للقول كذلك إلا الرغبة والهوى - إنه لا ضروره لاقتراض وجود قوة خارجة عن العالم الطبيعي لتفسير نشأة الحياة ونظورها !

إن لدى المسلم لكفاية من بين ربه الصادق عن تلك لشؤون كلها في المستوى البشري تبدو فيه محاولات الشر في هذه المجالات هزيمة مصحكة فضلاً على أن الأمر كله يتعلق تعلقاً مباشراً بالعقيدة عقيدة الألوهة الواحدة والعبودية الشاملة فاعده هذا التصور وحقيقته الكبرى ..

إن حكاية أن الثقافة تراث «إنساني» لا وطني له ولا حس ولا دين هي حكاية صحيحة عندما تتعلق بالعلوم البحتة وتطبيقاتها العملية - دون تجاوز هذه لمطقة إلى التفسيرات الفلسفية لنتائج هذه العلوم - ولا إلى التفسيرات الفلسفية بنفس الإنسان ونشاطه وتاريخه ،

ولا إلى الفن والادب والتعبيرت الشعورية جميعاً ولكنها فيما وراء ذلك إحدى مصادم اليهودية العنصرية التي يسميها جميع الحواجر كلها - في ذلك بل في أول ذلك حواجر العقيدة والتصور - لكي ينفذ منها اليهود إلى جسم العالم كله ، وهو مسترح محذر ، ثم تراول اليهودية فيه نشاطها الشيطاني وفي أوله نشاطها الربوي الذي ينتهي إلى جعل حصيلة كد البشرية كلها تؤول إلى أصحاب المؤسسات المالية الربوية من اليهود !!!

ولكن الإسلام يعتبر أن هذا نوع من ثمن من ثقافة - فيما وراء العلوم اسحة وتطبيقاتها لعملية - الثقافة الإسلامية ، لقائمة على قاعدة التصور الإسلامي والثقافة اليهودية القائمة على مباح شتى كلها ترجع إلى قاعدة واحدة قاعدة قيمة الفكر البشري إله ، لا يرجع إلى الله في مراده وثقافة الإسلام شاملة لكل حقول النشاط الفكري والواقعي الإنساني ، وفيها من القواعد والمباح والخصائص ما يكمل نمو هذا النشاط وجويته دائماً ، ولكي أن نعلم أن الانحاء التحريبي ، لدى قامت عنه الحصار الصناعية الأوربية المحاصرة ، قد نشأ انداء في المجتمعات الإسلامية ، مستمداً أصوله من التصور الإسلامي وتوجيهه إلى الكون وصيغته الواقعية ومدحراته وأقواته ثم امتثلت النهضة في أوربا هذا المسح واستمرت نميه وترقيه ، بما ركز وتركه هائياً في العام الإسلامي سبب بعد هذا العالم تدريجياً - بفعل عوامل كمنة في محيطه وبفعل الكيد والحقوم الصهيوني والصليبي عليه من حارجه - عن عقيدته وبصوره ومهجه الأساسي ثم قطعت أوربا ما بين المسح الذي اقتنسته وبين أصوله الاعتقادية الإسلامية ، وشردت به هائياً بعيداً عن الله ، في أثناء شروده عن الكيه لتي تستطيل على الناس - بعباً وعدواً - باسم الله ١

وكذلك أصبح نتاج الفكر الأوربي محمته - شأنه شأن نتاج الفكر الخاهلي في جميع الأركان في جمع انتفاع - شيئاً آخر ، طبيعة محتلفة من أساسها عن مقومات التصور الإسلامي ووجدت يرجع المسلم إلى مقومات تصوره وحدها وألا يأخذ إلا من مصدر الرئائي في استطاع نفسه ، وإلا فلا يأخذ إلا عن مسلم تقي ، يعلم عن دينه ونقواه ما يطمسه إلى الأبد عنه

إن حكاية فصل العلم عن صاحبه ، لا يعرفها الإسلام فما يختص بكل العلوم المتعلقة بمقومات التصور ، لمؤثرة في نظرة الإنسان إلى الوجود والحياة والنشاط الإنساني والأوضاع والقيم والمواري والتفديد والعادات ، وسائر ما يتعلق بحياة الكائن الإنساني من هذه النواحي .

إن الإسلام يتسامح أن يتلقى المسلم عن غير المسلم وعن غير التقي من المسلمين في علم الكيمياء البحتة أو الطبيعة أو الفلك أو الطب أو بصاعة أو الزراعة أو الأعمال الإدارية أو الكتابية وذلك في الحالات التي لا يجد فيها مسلماً تقياً يأخذ عنه في هذا كله

كما هو واقع اليوم الشئ من بعدنا عن ديننا وسبحا وتصوريا لمقتضيات الخلافة في الأرض - بإذن الله - وما يلزم لهذه الخلافة من هذه العلوم والمهارات المختلفة ١ ولكنه لا يتسارع أن يتلقى أصون عقيدته ولا مقومات تصوره ، ولا تفسير قرآنه وحديثه وميرة سيرة ولا مسح تاريخه وتفسير نشاطه ولا مذهب مجتمعه ولا نظام حكمه ولا منهج سياسته ، ولا موجهات منه وأدبه وتعبيره . من مصادر عبر إسلامية . ولا أن يتلقى عن غير مسلم يثق في دينه وتقواه

إن الذي يقرب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة ، كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع ، في معظم حقول لمعرفة الإنسانية ما هو من تخصصه وما هو من هوايته الثقافية ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره . فإذا هو يجد كل ما قرأه صليلاً صليلاً إلى جانب ذلك لرصيد الضمير - وما كان يمكن أن يكون الأمر إلا كذلك - وما هو بادم على ما قصي فيه أربعين سنة من عمره . وإنما عرف الحاخامية على حقيقتها وعلى انحرافها وعلى صالحتها وعلى قزائنها وعلى جمعيتها ونفادتها وعلى عرورها وادعائها كذلك ١ وعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقي !! ومع ذلك فليس ينبغي في هذه الفقرة رأياً في أيدينا فالأمر أكبر من أن يُقضى فيه بالرأي ، وأنقل في ميرون الله من أن يعتمد المسلم فيه على رأيي ، إنما هو قول الله - سبحانه - وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - بحكمته في هذا الشأن ، ورجع فيه إلى الله وإلى الرسول كما يرجع الدين آمواً إلى الله وإلى الرسول فيما احتلوا فيه إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر

يقول الله سبحانه عن الهدف النهائي لليهود والنصارى في شأن المسلمين صفقة عامة
 «وَأَوَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَدْرٍ حَسِداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ نَعْدٍ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْمُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (البقرة ١٠٩)

«وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَسْعَ بِلَتْمِهِمْ . فُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَادِي . وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ نَعْدٍ مَا حَافَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ..» (البقرة ١٢٠)

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَصِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ آتَوُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَاذِبِينَ» .. (آل عمران ١٠٠)

وحين تتحدد الهدف النهائي لليهود والنصارى في شأن المسلمين على هذا النحو القاطع ،

يكون من اللأله انظر بحطة ناسم يصدرن في أي ميحث من ميحث المتعقة بالعتقة
الإسلامة أو التاربع الإسلامي ، أو التوحية في نظام المجتمع لمسلم أو في سيسته أو قتصاده
إلى خير أو إلى هدى أو إلى نور والذين يظنون ذلك فيما بعد هؤلاء الناس بعد بيان الله
سبحانه إنما هم المغفلون !

كذلك يتحدد من قول الله سبحانه : قل - إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ، المصدر الوحيد
الذي يجب على المسلم لرجوع إليه في هذه الشؤون نفس وراء هدى الله لا الضلال وليس
في غيره هدى ، كما تصد صيغة الفصر الواردة في نص : إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ،
ولا سبل إلى الشك في مدلول هذا النص ولا في تأويله كذلك !

كذلك يرد لأمر الفطع بالإعراض عن بقول عن ذكر الله ، ويصدر هيامه عن
شؤون الحياة لدي ، ويصص كذلك عن مثل هذا لا يعنى إلا ظناً ، والمسلم مهى عن
تباع الظن وأنه لا يعلم إلا صهراً من الحياة الذي هو لا يعلم عما صحيحاً

« فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرٍ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْغِئُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَنْ سَيِّدِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَهْتَدَى » النجم ٢٩ - ٣٠

« . يَعْمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ آخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » (الروم ٧)

والذي يعمل عن هدى الله ولا يريد إلا الحياة الدنيا - وهو شأن جميع العلماء - النوم !
- لا يعلم إلا هذا لصهر وليس هذا هو العلم الذي يش المسلم في صاحبه فيتلقى عنه
في كل شأنه إنما يحور أن تلقى عنه في حدود علمه المادي لحث ولا يتلقى عنه تفسيراً
ولا تأويلاً عما للحياة أو متعلقاتها التصورية كما أنه ليس هو العلم الذي تشير إليه الآيات
لقرآنية ، وتنتي على أنه فأي علم لا يؤدي إلى الاهتداء إلى الله ، ولا يقوم على إدراك
فصل الله في تعليم الإنسان ما لم يعلم ، وفي محه ابتداء القدرة على الإدراك ، وفي تسخير
الوهميس الطبيعية له .. أي علم لا يقوم على هذه الأسس هو علم صاكن مهمل ، وليس هو
العلم لدي نقصده الآيات القرآنية وشي عليه كما يفهم الذين يترعون بمصوص بقرآنية
من مياقه ليستشهدوا بها في غير مواضعها !

إن العلم ببيعة الحار ليس مقصوراً على علم العقيدة ، وعلم الفرائص لدية
والعلم بشمن كل شيء ، وتعلق بالقوانين الطبيعية وتسخيرها في خلافة الأرض تعلله
بالعقيدة والمعرض على سوء ولكن العلم الذي ينقطع عن قاعدته الإيمانية ليس هو
العلم الذي يعيه القرآن ويشي على أنه . إن هذا ارتباط بين القاعدة الإيمانية وعلم الفلك ،
وعلم الأحياء ، وعلم الطبيعة ، وعلم الكيمياء ، وعلم الطب ، وسائر هذه العلوم المتعلقة
بالوهميس الطبيعية والقوانين الحيوية إنما كلها تؤدي إلى الله ، حين لا يستحلها أهوى

المحرف للانعقاد عن الله . كما . نحه المنهج الأوربي في لهضة علمية - مع لأسف - بسب
الملايسات السكدة التي قامت في التاريخ الأوربي خاصة ، بين المشتغلين بالعلم وبين الكيسة
العاشمة ! ثم ترك أثره العميقة في مساهج الفكر الأوربي كله ، وفي طبيعة التفكير الأوربي
وترك الرواسب المسممة بالعداء لأصل التصور الديني حملة - لا لأصل التصور الكسبي وحده
ولا سكية وحدها - في كل ما أنتجه الفكر الأوربي في كل حق من حقول المعرفة
سواء كانت فسميه ميثاقيريقية ، أو كانت بحوثاً عممة بحثة لا علاقة لها - في الظاهر -
ببوصوح ديني .

ويد تقرر أن مساهج الفكر العربي ونجاح هذا الفكر في كل حقول المعرفة ، يوم ابتداء
على أساس تلك الرواسب المسممة بالعداء لأصل التصور الديني حملة . فإن تلك المساهج
وهذا النجاح شد عداء للتصور الإسلامي خاصة ، لأنه يعتمد هذه بصفة خاصة ، ويتحرى -
في حالات كثيرة - وفي حطة معملده . تبسيع العقيدة والتصور والمفهومات الإسلامية ،
ثم تحطيم الأسس التي يقوم عليها نمير المجتمع مسلم في كل مقوماته . ومن ثم يكون من
العملة المزرية لاعتقاد مساهج الفكر العربي وعنى نتاجه كذلك في الدراسات الإسلامية
ومن ثم يجب بحيطه كذلك في دراسة العلوم البحتة . التي لا بد لك في موقفا الحاصر من
تنقيها من المصادر العربية - من ثمة طلال فلسفة تتعلق بها . لأن هذه الطلال معادية في
أساسها ستصور الديني حملة ، وللتصور الإسلامي بصفة خاصة . وفي فسر منها سكي لتسميم
البسوع الإسلامي الصافي .

وسبحاون فيما يلي أن نقول كلمة مفصلة عن الأدب والتاريخ بوجه خاص ، وكيف
تدرس هذه الجواب دراسة مأمومة لشئثة «المسلم» وتنقية صميره من شوائب الخهلة التي
تعر وجه الأرض جمعاً .

إن لأدب هو لتفسير الشعوري للحياة . وهو مسعث من المسع الدي تصب فيه جميع
المسمات والديادات والتجارب والمؤثرات في بيئة من البيئات
ولقد يكون الأدب أشد المؤثرات في تكوين فكره وحديه عن لحية ، وفي طبع
النفس البشرية بطابع خاص . ومن ها يجب أن يكون بنا أدب نبع من التصور الإسلامي
ولعله يحسن أن نقول ها كلمة مفصلة عن مساهج الأدب الإسلامي

الأدب - كسائر العلوم - تصير مرج عن قيم حية ينفع بها صمير الفنان . هذه القيم
قد تختلف من نفس إلى نفس ، ومن بئة إلى بئة . ومن عصر إلى عصر ، ونكتها في كل
حال تنشق من تصور معين بحياة ، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون ، وبين بعض
الإنسان وبعض

ومن العث أن يحاول تحريد الأدب أو العلوم عامة من القيم التي يحاول التعبير عنها

مشيرة ، أو لتعبير عن وقعها في الحس الإنساني . هيأ لو أملاحا - وهذا ممتنع - في
تجريدتها من هذه القيم . من يجد بين يديها سوى عبارات حاوية ، أو خطوط جوفاء ، أو
أصوات عمل ، أو كتل صماء

كذلك من انبعث محاولة فصل تلك القيم عن التصور الكلي لوجود والحياة ، ولارتباطات
فيها بين الإنسان ولكون والأحياء والأحداث . وبين بعض الإنسان وبعض . ومستوي أن
يشعر الإنسان بأن له تصوراً خاصاً بالحياة أو لا يشعر ، لأن هذا قائم في نفسه على كل
حال ، وهو الذي يحدد قيم الحياة في نظره ، ويلون تأثرته بهذه القيم
والإسلام تصور معين للحياة ، تستق منه قيم خاصة لها . فمن الطبيعي إذن أن يكون
التعبير عن هذه القيم ، أو عن وقعها في نفس القاص ، ذا لون خاص

وأهم خاصية للإسلام أنه عقيدة صحيحة حادة فاعده خالقة مشقة . تملأ هراع العيس
والحدة ، وتستمد الطاقة البشرية في الشعور والعمل ، وفي الوجدان والحركة ، فلا سقي فيها
غراعاً للقلق والحيرة ، ولا للتأمل الصانع الذي لا يشئ سوى لصور والتأملات
وأبهر ما فيه هو الواقعية العملية حتى في محال التأملات والأشواق . فكل تأمل هو
إدراك أو محاولة لإدراك طبيعة العلاقات الكونية أو الإنسانية ، وتوكيد للصلة بين الحائق
والمحقوق ، أو بين ممرات هذا الوجود . وكل شوق هو دفعة لإشياء هدف ، أو لتحقيق
هدف ، مهما علا واستطال

وقد جاء الإسلام بتصوير لحياة وترقيتها . لا يرضى بوقعها في زمن ما أو في مكان
ما ، ولا مجرد تسجيل ما فيها من دوايح وكرايح ، ومن برعات وقبود ، سواء في فترة خاصة ،
أو في المدى الطويل .

مهمة الإسلام دائماً أن يدفع بالحياة إلى التجدد والنمو والترقي ، وأن يدفع بالطاقات
البشرية إلى الإثراء والانطلاق والارتفاع .

ومن ثم فلا أدب أو فن المنشق من التصور الإسلامي للحياة ، قد لا يحفل كثيراً
بتصوير لحظات الصعف البشري ، ولا بتوسيع في عرصها ، وبطبيعة الحال لا يحاول أن
يررها ، فضلاً على أن يربها بحجة أن هذا الصعف واقع ، فلا ضرورة لإنكاره أو إحصائه .
إن الإسلام لا يكر أن في البشرية ضعفاً ، ولكنه يدرك كذلك أن في البشرية قوة .
ويدرك أن مهمته هي تغيب القوة على الصعف ، ومحاولة رفع البشرية وتطويرها وترقيتها ،
لا تبرير صحتها أو تزيينها .

والأدب أو الفن المنشق من التصور الإسلامي للحياة قد يلم أحياناً بلحظات الصعف
البشري ، ولكنه لا يلبث عندها إلا ريثما يحاول رفع البشرية من رهدة هذه اللحظات ،
ويطلقها من عقاب الضرورة وضعفها . وهو لا يصنع هذا متأثراً بالمعنى الضيق لمفهوم

والأخلاق، إنما يصعده متأثراً بطبيعة التصور الإسلامي للحياة، وبطبيعة الإسلام ذاته في تحديد الحياة وترقيتها، وعدم الاكتفاء بواقعها في لحظة أو فترة.

والنظرة الإسلامية لا تؤمن سلبية الإنسان في هذه الأرض، ولا بعبثة الدور الذي يؤديه في تحديد الحياة وترقيتها. ومن ثم فالأدب أو الفن المستق من التصور الإسلامي لا يهدف للكائن البشري بضعفه ونقصه وهبوطه ولا عملاً فراع مشاعره وحبائه بأطراف اللذائذ الحسية، أو بالتشهي الذي لا يخلق إلا القلق والحيرة والحسد والسلبية. إنما يهدف هذا الكائن بأشواق الاستعلاء والطلاقة، وعملاً فراع حياته ومشاعره بالأهداف الشريفة التي تحدد الحياة وترقيتها سواء في صميم الفرد أو في واقع الجماعة.

وبيست الحظوظ الوعظية هي سبيل الأدب أو الفن المستق من التصور الإسلامي، فهذه وسيلة بذائية وبيست عملاً فياً بطبيعة الحال.

كذلك ليست وظيفة هذا الأدب أو الفن هي تروير الشخصية الإنسانية أو الواقع الحيوي، وبرار الحياة البشرية في صورة مثالية لا وجود لها. إنما هو الصدق في تصوير المفردات الكمية أو الظاهرة في الإنسان، والصدق كذلك في تصوير أهداف الحياة اللاتفة بعالم من البشر، لا بقطيع من الذئاب!

الأدب أو الفن المستق من التصور الإسلامي أدب أو فن موجه، يحكم أن الإسلام حركة تحديد وترقية مستمرة للحياة، فهو لا يرضى بالواقع في لحظة أو حل، ولا بمره أو يزيه لمجرد أنه واقع. فمهمته الرئيسية هي تغيير هذا الواقع وتحسينه، وإيحاء الدائم بالحركة الحادثة المشتة بصور متجددة من الحياة.

وقد ينتقي في هذا، مع الأدب أو الفن الموجه بالتفسير الددي للتاريخ، ينتقي معه لحظة واحدة ثم يتركان.

فانصرع الطغي هو محور الحركة التطويرية في ذلك الفن. أما الإسلام فلا يعطي النصرع الطبقي كل هذه الأهمية، لأن نظريته إلى أهداف الشريفة أوسع وأرقى. إنه لا يرضى بالظلم الاجتماعي ولا بقره، ولا يهتم للناس بالمرضى به أو بالتداده. وهو يعمل فيما يعمل لمكافحة وتدينه. ولكنه لا يقيم حركته على الحقن الطبقي، بل على أربعة في تكريم الإنسان ورفعته عن ذلك الحصوع للحاجة والضرورة، وإطلاق إسمائته المدعة من الانحصار في الطعام والشراب وسوءات الجسد على كل حال.

فالبحور الذي تدور عليه حركة النمو والتحد في المبع الإسلامي هو ترقية البشرية كلها، ودفعها إلى الاطلاق والارتفع، وإلى الخلق والابتداع. وفي الطريق تلم بالأمه الطبقات وقيودها، ليحطم هذه القيود، ويريل تلك الآلام.

إيه لا يحقر آلام البشر ، ولكنه لا يستخدم الحقد الطبي لإراثتها ، لاعتباره أن الحقد
 دته قيد يحول دون انطلاق البشرية إلى آفاق أعلى ١
 أما كيف يعالج هذه الآلام علاجاً واقعياً عملياً ، لا وعظياً ولا حيداً ، فقد تحدثنا عنه
 في غير هذا الموضع ، إنما المهم أن نقرر هنا أن لأدب أو الفن الإسلامي أدب أو فن موحه
 موحه بطبيعة التصور الإسلامي للحياة وارتدات الكائن الشرقي فيها ، وموحه بطبيعة المنهج
 الإسلامي ذاته ، وهي طبيعة حركته دفعه لإشياء ولإبدع ، ولترقي ولارتدع ، وسب
 أعني التوجيه لإبحاري على نحو ما يفرسه أصحاب مذهب التفسير المادي للتاريخ ، إنما
 أعني أن تكيف النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة ، هو وحده سلهم صواباً من
 الفنون غير التي يهتمها به التصور المادي ، أو أي تصور آخر ، لأن التعبير الفني لا يخرج
 عن كونه تعبيراً عن النفس كتعبيرها بالسوك في واقع الحياة .

وأخيراً فإن الإسلام لا يحارب الفنون ذاتها ، ولكنه يعارض بعض التصورات ولهم
 التي تعبر عنها هذه الفنون ويقم مكانها في عالم النفس - تصورات وفيما أخرى ، فادره
 على الإبحاء بتصورات جمالية إبداعية ، وعلى إبداع صور فنية أكثر جمالاً وصلاقة ،
 تبتق بشاقاً رانياً من صبيعة تصور الإسلامي وتكيف خصائصه المميزة
 ولا ينبغي أن يفهم من هذا تحريم الأدب الأوربية على الناشئة المسمة فالذي يعبه
 هو مجرد لاحتبار والانتقاء في هذه الآداب ما تلتئم روحه من بعض الجوانب مع الروح
 الإسلامية لا لأنه حث على لفصائل وتنقح للردائس ، فالأدب ليس مبراً خطايا لوعظ
 ولإرشاد ولكن لأنه يسطر إلى لحياة نظرة روحه أرفع من الماده ، ولأنه يعرف ، يفهم
 المعوية لحياة فهذا اللون من الأدب تنفق في روحه مع منهج الإسلامي في عمومته وتمكن
 دراسته مع حسن الاختيار

• • •

ولتاريخ فرع من أدب ، ولكنه ذو طبيعة خاصة . ودو حظورة كذلك فالتاريخ
 تفسير لوقائع لحياة ، ولا بد أن يتأثر بالفسف والتصور العام للحياة وستؤدي تفسيراته
 على هذا النحو إلى تكوين صورة عن الحياة تختلف اختلافاً رئيسياً عن التصور الإسلامي
 لانتجاه الحياة والتاريخ

وهو قد ذلك من المؤرخين لأهم دوريون في العالم جعلوا محور التاريخ العاني
 هو تاريخ أوروبا وهم في هذا معذورون بحكم الفطرة البشرية ودلت ذلك أعصينا عن
 الأثرة العربية والعرو الأوربي فدراسة ناشئت لتاريخ ، تلت روحه وهذه طرقتة ، يجعلهم
 يخرجون مفكرتين خاطئين

الأولى أنه لا أثر للعوامل الروحية في سير خط الزمن ، أو أن هذا الأثر ضعيف ضئيل

والثانية أن أوروبا هي محرقة حظ الزمن ، وأن للإسلام بلدات ليس له إلا أثر ضئيل صعب .

وأثر كل من هذين الفكرين مؤد وحطير ، سوء في تكوين فكرة عامة عن الحياة والحق والتسوك ، و في الشعور بعمرة الإسلام أمام التيار الأوربي الخاروف يجب أن تأخذ في وضع تاريخ عالمي عام ، من وجهة النظر الإسلامية في تفسير الحوادث والوقائع ، فلا نغرد صريفة بغير النظر الأوربية به انعمل الحطير على أن يصح أو لا في هذا التاريخ في موضعها الحقيقي لا نتجاوزها ، وعلى أن يبرر دور انشورية بصفة عامة ، ودور الإسلام بصفة خاصة في حط سير التاريخ .

إن التاريخ ليس هو الحوادث ، إنما هو تفسير هذه الحوادث ، والاهتمام إلى الروابط الظاهرة والحقبة التي تجمع بين شتات ، وتعمل منها وحدة مما سكة الحفص . متفاعله الخريبات ، مملدة مع الزمن وانبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكن ولكي يفهم الإنسان الحادثة ويمسرها ، ويربطها بما ملها وما تلاها ، يعني أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقومات النفس انشورية جميعها روحية وفكرية وحيوية ، ومقومات الحياة انشورية جميعها معوية ومادية وأن يفهم روحه وفكره وحسه للحادثة ، وبسحب لوقعها في مداركه ، ولا يرفض شيئاً من استحداثها إلا بعد تحرج وتمحص ونقد وعلى ذلك فإن التاريخ الإسلامي يجب أن تعاد كتابته على أسس جديدة ونسج حر يجب أن ينظر إلى الحياة الإسلامية من زوطة جديدة وتحت أضوء جديدة ، لكي تعطي كل أسرارها وإشعاعاتها ، وتكشف بكل عناصرها ومقوماتها

وفي هذه الدراسة الجديدة يجب أن تكون المصادر الإسلامية هي المرجع الأول ، بعد أن يعيش الباحث معضه وروحه وحسه في حو الإسلام كعصيدة وحركة وفكرة ونظام وفي حو الحياة الإسلامية كقطعة من حياة انشورية الوعية وهذه الحياة في هذا الحو ضرورية جداً لفهم حو إدراكه حبعاً ، لا يفهم تلك الحياة بحسب ، بل لإدراكها ككائن حي ، وإدراك مواقع الحوادث والوقائع في جسم هذا الكائن الحي وإنه ليعر على البحث في أنه فترة من حياة الإنسانية أن يدركها إدراكاً حقيقياً داخياً إلا أن يتجاوز منها بكل دابته ، وأن يعيش في حوها بكل مؤثراتها ويحياها عييت هذه حصبة قاصرة على حياة الإسلامية ، وإن كانت كثر وصوحاً باقيا إلى حياة الإسلامية لأن مقومات هذه الحياة تختلف في كثر من أنواعها ومهياتها عن مقومات الفترة الحاضرة

وبه ليصعب أن تصور إمكان دراسة حياة الإسلامية كاملة دون إدراك كامل لعصده الإسلامية . وللتصور الإسلامي عن ألوهية والكون والحياة والإنسان ، ولطبيعة استجابة

لنسم تلك العقيدة ، وطريقته في الاستجابة للحياة كلها في ظل تلك العقيدة . وهذه الحقائق كلها لا يمكن أن تطلب إلا عند بحث مسمى ، يعيش في حركة إسلامية ، وهي الحقائق التي لا بد من معرفتها عند إعادة كتابة التاريخ الإسلامي

به لا بد من إدراك البواعث الحقيقية لتصرفات الناس في حلال هذه الحياة التاريخية الإسلامية . وعلاوة هذه البواعث بالحوادث ، والتطورات ، والاعلامات ولا بد من ربط هذا كله بنظام العقيدة الإسلامية وما فيها من روح ثورية - لا في شكلها الخارجي وحظوظها العملية فحسب - ولكن في تفسيرها للعلاقات الكونية ، والعلاقات الإنسانية ، والاعلامات الاجتماعية وفي تصويرها لنظام الحكم وسياسة المال وعرق التشريع ووسائل التنفيذ الخ وهي كلها من مقومات الحياة . وبالكافي من مقومات لتاريخ هذه الحياة

إن معارك الحرية ، والمعاهدات السياسية ، والاحتكاكات الدولية وما إليها مما يعنى به التاريخ غالباً أكثر من صوره . بها كلها محكومة عوامل أخرى هي التي يجب أن نرعى عند كتابة التاريخ هذه العوامل هي التي يختلف الباحثون في إدراكها وتقديرها

كل يخصص لفلسفة التي تسيطر على تفكيره وتقديره ، أي لطريقة إدراكه للحياة في عمومها . وبما حدث أسلم الذي يعيش في حركة إسلامية ، أدرك هنا في دراسة الحياة الإسلامية ، لأن طريقة إدراكه للحياة تمت بصلته إلى حقيقة هذه العوامل المؤثرة في سير التاريخ . ومن ثم فهو أقدر على التمسك بها واستشعارها ، والاستجابة لها استجابة كاملة صحيحة

وعنى صوره إدراكه لطبيعة العقيدة الإسلامية ، وطريقة استجابة المسلمين لها ، يستطيع أن يربط دوافع الحياة الإسلامية في تلك الفترة لتاريخية ، والفهم الإنسانية الكاملة فيها ، وأسباب النصر والهزيمة في كل خطوة . وأن يتصور الحياة الظاهرة والباطنة لتلك الجماعات الإنسانية في عهد الإسلام الأول وفي المراحل التي أسسها فيها ، فيصم إلى الجوانب الظاهرة التي لا يدرك العريون سواء في العباد ، كل الجوانب الروحية الحسية التي يعدها الإسلام واقعاً من الواقع ، ويحبها حساباً في سير الزمان وتشكل الحياة في كل زمان ومكان . ولما كانت الحياة الإسلامية فترة من الحياة البشرية ، والمسلمون جماعة من بني الإنسان

في حيز من الزمان والمكان ، والإسلام رسالة كونية بشرية غير محدودة بالزمان والمكان فإن التاريخ الإسلامي لا يمكن فصله من التاريخ الإنساني

وقد تأثرت تلك الفترة - من غير شك - بمواجهة الإسلام فيها للجاهلية ، والتعامل مع تلك العوامل التي كانت واقعة عند مولد الإسلام . ثم أثرت بدورها في تجارب البشرية من بعد ، وخاصة تلك الجهات التي امتدت إليها أوجاورتها فلا بد أن عند كتابة لتاريخ الإسلامي من الإلمام بالصورة التي انتهت إليها الإنسانية قبل مولد الإسلام ، والحالة التي صارت إليها المجتمعات البشرية في الأرض ، وخاصة من جهة لفائدة الدينيه وسائر

ما يتعلق بها من أفكار وفلسفات ونظريات ، ومن ناحية الأوضاع الاجتماعية وما يتعلق بها من نظم الحكم وسياسة المال وعلاقات المجتمع والأحلاق والعادات والأفكار ، لكي تتبين على صحتها حقيقة دور الإسلام وطبيعته ، ويمكن تفسير استجابة العالم لهذا النظام الجديد قبولاً أو رفضاً ، وتصور أسباب انصراف وعوامل لنصر واهزيمة كاملة ، وعناصر التفاعل والتدافع والتلاق والانعكاس على مر الأيام

وإذا كان الإلزام بوصف العالم بذلك ضرورياً ، فإن الإلزام بوصف حرية العربية وتصور الحياة فيها من كافة نواحيها أكثر ضرورة بوصفها مهد الإسلام الأول من جهة ، ومركز التجمع والانسياب من جهة أخرى .

فهل كانت مصادفة عابرة أن يظهر هذا الرسول بهذا الدين في هذا الموضع من الأرض في هذا الزمان ؟ أم أن هالك بعدما مقبوراً ، وقصداً مقصوداً ، وتديراً معيناً ، وترتيباً مرصوعاً ، لتلتقي هذه الظواهر كلها حيث التفت ، كي تؤدي دور معيناً ، ليس أقل نائحه تحصيل خريطة العالم في عالم الظاهر وفي عالم الشعور على هذا الوصف الذي صارت إليه الأمور ، منذ ذلك التاريخ العبد ؟!

ولعن هذا الحاطر أن سوق إلى دراسة «محمد رسول» في هذا السياق الكوني بتاريخ معين في شخصه ، وفي سببه ، وفي شدة حياته ، وفي تقاليد بيئته . وفي سائر ما يحيط بالفرد الإنساني من مقومات ، عوامل مقصودة ، وموافقات مدبرة ، وأنها لم تكن مصادفة عابرة أن يشار إليه من بين الجموع البشرية لحادثة ، وأن يقال له أنت فاشد هذا الحدث الكوني الذي لم يسبق ولم يلحق بتظير

ولعله كذلك أن يسوق إلى دراسة طبيعة هذا الحدث ، وأفكاره الكلية التي يتضمنها ، قل أنه في دراسة الأحداث والانقلابات العملية التي تم على أساسها وبذلك تنبأ مثل هذا التاريخ صورة مسكلمة الخواص لكل الأوضاع والأحوال التي شأت عنها الاستجابات التي وقعت بالفعل في تاريخ الإسلام في الفترة التي تلت ظهوره ، كما ينبغي له تفسير هذه الاستجابات تفسيراً صحيحاً ، مستكلاً لكل عناصر الحكم والتقدير

وبذلك يستحيل التاريخ عمليه استبطان وتحاوي في صائر الأشياء والأشخاص ، ولأزمان والأحداث ، ونصن ساموس الكون ، ومدارج الشرية ، ونصح كائناً حياً ، ومادة حياة

ومتى استقام البحث على ذلك المسح الذي أسلفنا ، ويردت تلك المقومات الأساسية لطبيعة الدعوة ، وطبيعة الرسول ، وطبيعة البيئة التي استقبلت الدعوة واستقبلت الرسول ،

وطبيعته المجتمع الإنساني الذي كان معاصر مولد الإسلام ؛ وطبيعة العقائد والأفكار التي كانت تسوده يومذاك ..

متى برزت تلك لقومات الأساسية ، سهل تتبع نشاطها وتفاعله وصورته ، وأمكن تصوير وتصوير خطوات الدعوة على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه الخطوات التي تسير متأثرة بتلك المفومات كلها ، وتفاعل بعضها مع بعض ، وتيسر له ولناس في هذا الخيل ، يعرف كيف اختار الرسول رحله ، ومن أية طيبة كان هؤلاء الرجال ، وكيف صاغ الرسول رحله ، وكيف أعدهم للمهمة العظمى ، وكيف بنى الرسول نظامه ، وعلى أي الأسس قام هذا النظام ، وكيف تحولت خبرته العربية مهذاً لهذا الدين الجديد ، وهذا النظام الجديد ، وماداً كان في طبيعتها وفي ظروفها وفي رحلتها وبيوتها وعشائرها ، وفي علاقتها الاجتماعية ، وملاساتها الاقتصادية والجغرافية والحيوية من استعداد لظبية هذا الحدث أو معارضة ، إلى آخر هذه المباحث التي تصور المرحلة الأولى من مراحل حياة الإسلام ، و من تاريخ الإسلام ، والتي تصح تسميتها باسم « الإسلام على عهد الرسول » ثم تليها مرحلة الثانية مرحلة « المد الإسلامي » ذلك عهد اسباح الإسلام في مشرق الأرض ومعارها عندما فرض ذلك الفتح الإسلامي العجيب الذي لم يعرف له العالم نظيراً في مرعته وقوته لا من ناحية الفتح العسكري وحده ، ولكن من ناحية التأثير الروحي والفكري والاجتماعي أيضاً . أي من الناحية الإنسانية الشاملة ، التي شهدت تحولاً كاملاً في خط سير التاريخ على مولد هذا الدين الجديد ، وانتشاره ذلك الانتشار العجيب ، وهذا ندو قيمة المنهج الذي أشرنا إليه ، ويمكن تتبع أعمد المذم واليسر ، التي قام بها الإسلام في تلك الرقعة لمساحة التي امتد إليها ، وشاعله مع الأفكار والعقائد التي كانت مائدة فيها ، ومع لطعم الاجتماعيه التي كانت تطلها ، ومع الظروف الاقتصادية ، والمخلفات التاريخية ، وملاسات الإنسانية ، في نصب دفاع لأرض ، وأكثرها حضرة في ذلك الزمان

وحده الإسلامي لم يقف عند الحدود التي وصفت إليها فتوحاته العسكرية ، فلقد امتدت لموجة عسكرية ، والحصارة التي كوّب إلى ما وراء حدود العالم الإسلامي قطعاً ولا بد من دراسة آثار هذا المد فيما وراء هذه الحدود ، دراستها طرداً وعكساً في حياة العالم الإسلامي ذاته ، وفي حياة العالم غير الإسلامي كنه . فقد أخذ هذا العالم من الإسلام وعطى ، وقد تأثر به وأثر فيه . ودراسة هذه التفاعلات في ضوء المنهج الذي صورنا خصائصه ، كهيئة أن تبنى صورة من التاريخ غير مسبوقة ، ذات حيوية خاصة ، وذات طابع خاص ، بل كهيئة أن تبنى صورة للعالم الإنساني وخطواته الحية مختلفة قليلاً أو كثيراً عن الصورة التي عتاد العربيون أن يسموها ، والتي اعتدنا نحن أن نراها !

ثم نحيء دور «انحصار المد الإسلامي» وعلى صوء المصح وصوء دراسة المراحل التاريخية السابقة يمكن أن نشي أساب هذا الانحصار وعوامه الداخلية ولحارجيه حصعاً إن كبت هذه العوامل من طبيعة العقيدة الإسلامية والنظم الإسلامي كما برعم من بقون الشهاث على الإسلام ، أو أنها من صصح المسلمين أنفسهم . ومن صصح عده هذا الدين في العالم غير الإسلامي ؟ ثم هل كان هذا الانحصار شاملاً أم حثياً ؟ ومنطجياً أم عميقاً ؟ وما أثر هذا الانحصار في حط سير لتاريخ ، وفي تكييفه أحوال البشر وفي قواعد التفكير والسلوك ، وفي العلاقات الدولية والإسابية ؟ وما ورب الأفكار والنظم والعقائد التي استحدثتها الإسابية بقباس إلى نظائرها في لإسلام ؟ وماذا كسب البشرية وماذا خسرت من ور ؟ بحصار المد الإسلامي وظهور هذا المد لأوربي الذي ، تزال تظلم بقباه ؟ ومن ثم يصصح يحدث عن «حاصر الإسلام» طبيعياً وفي أوانه ، قائماً على أسسه الو صحة الصربعة ، وليس حديثاً تمليه عاطفة أو التعصب من هذا الجانب أو ذك ، ويصحح التاريخ الإنساني - في صوء منهجنا لحاصر - مسلسل الحلقات ، متشيك الأواصر ، ويتحدد دور لإسلام في هذا التاريخ في لماضي وفي حاصر ، ونش حطوطه في المستقبل على صوء لماضي والحاصر

. . .

هذه إشارات محصة للعمل في الدائرة الفكرية للتمهيد بوحود المعني للإسلام ولكن شيئاً من هذا كله من يكون د قبه قبل أن يدرك العصاة المؤمنة في الأرض أن هذا الدين عقده تمثل في إفراد الله سبحانه «لأوهيه» ، ومن ثم إفراده «بحاكميه» «دين» تمثل في نظام برحم هذه العقده وأن يدرك كذلك أن هناك بوقفاً في «وحود» لإسلام وأن الحظوة الأولى هي إعادة وعود الإسلام عقيدة . ويمكن بعد ذلك وعوده نظام وأن يستيقنوا أن المستقبل هذا الدين ، على الرغم من هذا التوقف الموقوت والله المستعد

في مُفترق الطرق

والآن قبل أن نحن سیر ؟

يجب أن نقف لحظة لنسأل أنفسنا هذا السؤال ؛ ولوجه حياتنا في الاتجاه الذي نريد .
إن العالم بعد حربين متوالتين ينقسم اليوم إلى كتلتين كبيرتين كتلة الشيوعية في الشرق ، وكتلة الرأسمالية في الغرب . هذا ما يبدو في ظاهر الأمر ، وما تلوكه الألسن ، ويقر به الأدهان . فأما نحن فنعقد أنه انقسام ظاهري لا حقيقي ؛ وأنه انقسام على المصالح لا على المبادئ ؛ وأنه صراع على السع والأسواق لا على العوائد والأفكار . طبيعة التفكير الأوروبي الأمريكي لا تعترف في حقيقتها عن طبيعة التفكير الروسي . كلتاها تقوم على تحكم الفكرة المادية في الحياة ، وإذا كانت روسيا والصين وما بينهما قد صارت شيوعية مادية فإن أوروبا وأمريكا لا تفرقان عنها في التصور المادي للحياة والتاريخ .

فليس وراء التفكير المادي الذي يسود الغرب ، ويرد الأخلاق إلى المنفعة ، ويدعو إلى التناحر على الأسواق والمصالح . ليس وراء هذا التفكير الذي يهيئ العصر الروحي من الحياة ؛ ويبني الإيمان بغير العمل والتحرية ، ويحتقر المثل العليا المجردة ، ويكره وجود حقائق للأشياء إلا وضعفها - على نحو ما تصنع فلسفة الراحماتزم - ليس وراء هذا التفكير إلا المادية الدركسية في صورة أخرى .

إنه لا يوجد اختلاف في طبيعة التفكير الأمريكي والروسي ، ولكن توجد اختلافات في الظروف الاقتصادية والاجتماعية . والذي يمسك الأمريكي العادي أن يكون شيوعياً ليس فكرة عن الحياة ترفض التفكير المادي للكون والحياة والتاريخ ، بل لأن الفرصة مهيأة أمامه يصحح ثراً ، ولأن أحر العامل مرتفع كذلك .

فلا يحدعنا أن نرى الصراع قوياً وغيثاً بين كتلتين الشرق والغرب . فكنتاهما لا تملك إلا فكره مادية عن الحياة ، وكنتاهما قريب في طبيعة تفكيرها من لأخرى . وكنتاهما لا تتراجعان على مبدأ أو فكرة ، إنما تتنازعان النفوذ في العالم ، والرياح في الأسواق . ونحن هذه الأسواق .

أما الصراع الحقيقي العميق ، فهو بين الإسلام وبين الكتلتين العربية والشرقية جميعاً . فالإسلام هو القوة الحقيقية التي تقف لقوة الفكرة المادية التي تدين بها أوروبا وأمريكا وروسيا والصين على السواء . الإسلام هو الذي يتصور الكل الشامل المتناسق عن الوجود والحياة ؛ ويقم التكامل الاجتماعي في المحيط الإنساني مقام الصراع والتطاحن ، ويجعل للحياة قاعدة روحية تصلها بالحائق في السماء ، وتسيطر على اتجاهها في الأرض ، ولا

تنتهي بالحياة إلى تحقيق أعرض مدية بحثه ، وإن كان لشاط المادي المشر عبادة من عادات الإسلام

وحقيقة إن الأديان الروحية - وفي مقدمتها المسيحية - تكرر المادية الأوروبية الأمريكية . كما تكرر المادية الشيوعية ، لأشهما من طبيعة وحدة تتعارض مع الفكرة الروحية في الحياة ولكن المسيحية - فيما أرى - لا نحسب قوة إيجابية في موجهة الأفكار المادية الجديدة ، فقد سبت إلى أن تكون ديانة فردية عربية سلبية ، لا تملك الحياة أن تنمو في ظلها النمو الدائم الفعال . وقد عجزت عن مسيرة الحياة العميقة في الأحداث متلاحمة ، ولم يسيطر على الحياة الواقعة ، لأنها - كما صنعها الكنيسة والمجتمع المقدسة - بعيدة عن واقعيات الحياة .

والمسيحية كما انتب إليه لا تستطيع أن تماري لأحوا الاجتماعية والاقتصادية الدائمة التغير ، لأنه ليس لي صميمها أية فكرة عن الحياة الواقعة العميقة . فأما الإسلام فهو نظام كوني كامل ، فيه العقيدة ، وفيه التشريع ، وفيه التنظيم الاجتماعي والاقتصادي الخاص للوجود والتشريع ، القابل للنمو في الفروع والتطبيقات وهو يقدم للنسرية تصوراً كاملاً شاملاً عن الوجود والحياة ، وعظماً عميقاً واقعياً للمجتمع ، وشريعة مفصلة وقابلة للنمو الترميمي الذي يقابل حاجات المجتمع المتجددة وهو يقيم نظامه على أساس تصور شامل عن الحياة يرفض التفكير المادي ، ويقيم السلوك على أساس العصر الروحي الأخلاقي ، يرفض فكرة المصلحة لقرينة . وبذلك يصطدم اصطداماً مباشراً بالعقيدة المادية السائدة في الكتلتين الشرقية والعربية ، ويرفع بحياة إلى أفق أعلى من تلك الآفاق القريبة ، التي يستنرفها أورنا وأمريكا وروسيا على السواء .

* * *

من ذلك لاستعراض السريع يبدو جلياً أن الصراع الحقيقي في المستقبل لن يكون بين الرأسمالية والشيوعية ، ولا بين المعسكر الشرقي والمعسكر العربي . ولكنه سيكون بين المادية المثبتة في لأرض كلها وبين الإسلام . أو بتعبير أصح وأدق ستكون بين النظام الذي يجعل العبودية لله وحده ، ويخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وبين سائر الأنظمة الأرضية التي تقوم على أساس من عودته العباد للعباد

والمعسكر الشرقي والغربي على السواء يدركان هذه الحقيقة ويعملان معاً - على كل ما بينهما من منافسات ومن متناقضات - على سحق حركات البعث الإسلامي في كل مكان ، وعلى حرب الإسلام بكل صور الحرب في كل مكان

وهذا ما يعني أن يدركوا إلى الله ، فلا يسجدوا لهذا التراع الطاهر بين المعسكرات المختلفة ، وبين الأنظمة المختلفة

إن الإسلام هو القوة الحقيقية التي يحسبها المعسكران كل حساب ، وبقي أن يعرف أصحاب الإسلام هذه الحقيقة وأن يقوموا بحفظهم على هذا الأساس

وحركات البعث للإسلامي اليوم في مفترق الطرق ، ونقطة البدء الصحيحة في الطريق الصحيح ، هي أن تبيين الشرط الأساسي لـ «وجود» الإسلام ، أو عدم وجوده ، وأن تستيقظ أن «وجود» الإسلام اليوم قد توقف ، وألا تفرح هذا التقرير الخطير ، ولا يتعاطفها الأمر ، فتتجهم عن رؤيته والظهر به ، وأن تعلم أنها تستهدف إعادة إنشاء الإسلام من جديد ، أو بتعبير أدق رده مرة أخرى إلى حالة «الوجود» بعد أن توقف هذا الوجود فترة

هذا طريق والطريق الآخر أن نطرح هذه الحركات - لحظة واحدة - أن الإسلام قائم وأن هؤلاء الذين يدعون الإسلام ويتسمون بأسماء مسلمين هم فعلاً «مسمون» ، وأن الأوصاع «العلمانية» السائدة في الأرض هي أوصاع «إسلامية» كالوضع يدي أمامه أتناورك . والأوصاع التي سارت على سبيلها كما يريد «ولفرد كانتول سميت» وأمثاله والمخدوعون به ولحادعون ، أن يلقوا في روع الناس !

هذا طريق وذلك طريق وحركات البعث للإسلامي اليوم على مفترق الطريق ، فإن سارت في الطريق الأول سارت على صراط الله وهذه ، وعلمت بها تواضعه توفيقاً في «وجود» الإسلام ذاته ، وأنها تستهدف ما استهدفه محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولجماعة المسلمة الأولى ، وأنهم ستلقى مثمناً لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، من الاصطهاد والتعذيب ، ومن الضرر والمصيبة ، ثم من الضرر والتأييد ، والتمكين في الأرض في نهاية المطاف .

وإن سارت في الطريق الثاني الذي بدأها عليه مستر «ولفرد كانتول سميت» وصرده والمخدوعون به والمخدعون ، فستسير وراء سراب كاذب تلوح فيه من بعيد «عمائم» بحرف الكلام عن مواضعه ، وتشترى آيات الله ثمناً قليلاً ، وترفع راية الإسلام على مساحد الصرار ، ويضع لافتة إسلامية على معسكرات الفجور والاحتلال !

إن حركات البعث الإسلامي تشنّ اليوم على وجه الأرض كلها ، وتفتحم على الصليبية عريضا في قلب أمريكا وأوروبا ، وتستفص في آسيا وأفريقيا - على الرغم من كل ما رصدته الصليبية والنصيرية من الأجهرة والأوصاع التي تحاول سحقها وبكى هذه الحركات يمكن أن تذهب وراء السراب لحادع ويمكن أن تسلك الطريق القاصد

ورحمتها في الله كبير ، أن يفتح البصائر على الحق ، وأن يفتح العيون على الواقع والله إلهادي والموفق والمعين

المحتويات

صفحة	
٧	الدين والمجتمع بين المسيحية والإسلام
٢٠	طبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام .
٣١	أسس العدالة الاجتماعية في الإسلام
٣٢	التحرر الوجداني
٤٤	مساواة الإسمائية
٥٢	التكافل الاجتماعي
٦٣	وسائل العدالة الاجتماعية في الإسلام .
٧٥	سياسة الحكم في الإسلام
٨٧	سياسة المال في الإسلام
٨٨	الملكية الفردية
٨٨	حق الملكية الفردية
٩٠	طبيعة الملكية الفردية
٩٤	وسائل التمليك الفردي
١٠٠	طرق تنمية الملكية
١٠٨	طرق الإيداع
١١٤	فريضة الزكاة
١١٨	فرائض غير الزكاة
١٢٦	من الواقع التاريخي في الإسلام
١٨٢	حاضر الإسلام ومستقبله
٢١٤	في مهرق الطرق

بمدر عن دارالشروق—

في شرعة قانونية كاملة

مكتبة الأستاذ سيد قطب

- في طلال القرآن
- مشاهد انقيامة في القرآن
- التصوير الفني في القرآن
- الإسلام ومشكلات الحضارة
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته
- نقد الأدبي أصوله ومناهجه
- مهمة الشاعر في الحياة
- هذا الدين
- السلام العالمي والإسلام
- معالم في الطريق
- دراسات إسلامية
- نحو مجتمع إسلامي
- في التاريخ فكرة ومباح
- تفسير آيات الرضا
- تفسير سورة الشورى
- كتب وشخصيات
- المستعمل هذا الدين
- معركتنا مع اليهود
- معركة الإسلام والرأسمالية
- العدالة الاجتماعية في الإسلام

مكتبة الأستاذ محمد قطب

- الإنسان بين المادية والإسلام
- مسيح الفرس للإسلام
- مسيح التربية الإسلامية (الجزء الأول)
- مسيح التربية الإسلامية (الجزء الثاني)
- معركة العقائد
- في النص والاهتمام
- التطور والثبات في حياة البشرية
- دراسات في النفس الإنسانية
- هل نحن مسلمون
- فسات من الرسول
- شبهات حول الإسلام
- جاهلية لقرن العشرين
- دراسات قرآنية
- مفاهيم ينبغي أن تصحح
- مذاهب فكرية معاصرة
- تحت الطبع
- كيف يكتب التاريخ الإسلامي
- استشرفون والإسلام

من كتب دار الشروق الإسلامية

- مصحف الشروق المفسر الميسر
مختصر تفسير الإمام الطبري
نحفة المصاحف وقمة التفسير
في أحجام مختلفة وطبعات منفصلة لبعض الأجزاء
- تفسير القرآن الكريم
الإمام الأكبر محمود شلتوت
الإسلام عقيدة وشريعة
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- الفتاوى
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- من توجيهات الإسلام
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- إلى القرآن الكريم
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- الوصايا العشر
الإمام الأكبر محمود شلتوت
- المسلم في عالم الاقتصاد
الأستاذ مالك بن نبي
- أنبياء الله
الأستاذ أحمد بهجت
- نبي الإنسانية
الأستاذ أحمد حنين
- ربانية لا رهبانية
أبو الحسن علي الحسيني الندوي
- الحجة في القراءات السبع
تحقيق وتقديم الدكتور عبد العال سالم مكرم
- الفكر الإسلامي بين العقل والوحي
الدكتور عبد العال سالم مكرم
- على مشارف القرن الخامس عشر الهجري
الأستاذ إبراهيم بن علي الوزير
- الرسالة الخالدة
الأستاذ عبد الرحمن عزام
- محمد رسولاً نبياً
الأستاذ عبد الرزاق نوفل
- مسلمون بلا مشاكل
الأستاذ عبد الرزاق نوفل
- الإسلام في مفترق الطرق
الدكتور أحمد عروة
- العقوبة في الفقه الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي
- موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي
- الجرائم في الفقه الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي
- مدخل الفقه الجنائي الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي
- القصاص في الفقه الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي
- الدبة في الشريعة الإسلامية
الدكتور أحمد فتحي بهنسي
- الإسراء والمعراج
فضيلة الشيخ منولي الشعراوي

مناسك الحج والعمرة في ضوء المذاهب الأربعة
الدكتور عبد العظيم الطعني

أيها الولد المحب

الإمام الغزالي

الأدب في الدين

الإمام الغزالي

شرح الوصايا العشر

للإمام حسن البنا

القرآن والسلطان

الأستاذ فهمي هويدي

غفايا الأبراء والمعراج

الأستاذ مصطفى الكيت

الخطابة وإعداد الخطيب

الدكتور عبد الجليل شلي

تاريخ القرآن

الأستاذ إبراهيم الأبياري

الإسلام والمبادئ المستوردة

الدكتور عبد المعمر النمر

سلطة أعلام الإسلام ١٦/١

سلطة أهل البيت ٦/١

إسهام علماء المسلمين في الرياضيات

تأليف الدكتور علي عبد الله الدفّاع

تعريب وتعليق الدكتور جلال شوقي

مراجعة الدكتور عبد العزيز السيد

الخبر الواحد في السنة والتراث وأثره في الفقه

الإسلامي

الدكتورة سهير رشاد مهنا

الأديان القديمة في الشرق

دكتور رؤوف شلي

القضاء والقدر

فضيلة الشيخ متولي الشعراوي

قضايا إسلامية

فضيلة الشيخ متولي الشعراوي

التعبير الفني في القرآن

الدكتور بكري الشيخ أمين

أدب الحديث النبوي

الدكتور بكري الشيخ أمين

الإسلام في مواجهة الماديين والملحنيين

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

اليهود في القرآن

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

أيام الله

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

مسلمون وكفى

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

الدعوة الوهابية

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

قال الأولون - أدب ودين

الأستاذ السيد أبو ضيف المدني

قل يا رب

الأستاذ السيد أبو ضيف المدني

الإيمان الحق

المستشار علي جريشة

الجديد حول أسماء الله الحسنى

الأستاذ عبد المغني سعيد

الجائز والممنوع في الصيام

الدكتور عبد العظيم الطعني

رقم الإيداع : ٨٩/٣٩٠٥
التقديم المرفوع : ٩٧٧ - ١٤٤٨ - ١٣٢٣ - ٤

مطالبیغ الشروقی

تعداد کل: ۲۱ نفر
مردان: ۱۸ نفر
زنان: ۳ نفر



في ظلال القرآن
العدالة الاجتماعية في الإسلام
خصائص التصور الإسلامي ومقوماته
النقد الأدبي أصوله ومناهجه
كتب وشخصيات
الإسلام ومشكلات الحضارة
التصوير الفني في القرآن
مشاهد القيامة في القرآن
معركتنا مع اليهود
تفسير سورة الشورى
تفسير آيات الربا
دراسات إسلامية
السلام العالمي والإسلام
معركة الإسلام والرأسمالية
في التاريخ فكرة ومنهاج
معالم في الطريق
هذا الدين
المستقبل لهذا الدين
نحو مجتمع إسلامي

العدالة الاجتماعية في الإسلام



6221102001656

دار الفنون